



مختصر كتاب

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لشهاب الدين ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ هـ)

الجـزء الأول



اختصار وتقديم

د. عـامـر النجـار

مختصر

مسالك الأبصار

فى ممالك الأمصار

1

ابن فضل الله العمرى، أحمد بن يحيى بن فضل
الله القرشى،١٣٠١ ـ ١٣٤٩.
مختصر مسالك الإبصار فى ممالك الأمصار/
ابن فضل الله العمرى؛ اختصار: عامر النجار. ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٢.
٣٠٠ ص ؛ ٢٤سم. ـ (مختصرات تراثية)
تدمك ٢ ٠٥٢ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ العالم ـ تاريخ.
٢ ـ الأرض.
أ ـ النجار، عامر. (مختصر)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٣٨٠/ ٢٠١٢

I. S. B. N 978 - 977 - 448 -052 - 2

ديوى ٩٠٩

مختصر
مسالك الأبصار
فى ممالك الأمصار

ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ)

أ.د. عامر النجار

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٢

المختصرات التراثية

- الكتاب: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ١
- تأليف : شهاب الدين ابن فضل الله العمرى.
- اختصار وتقديم : د. عامر النجار
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الطبعة الأولى : ٢٠١٢ م

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www. egyptianbook. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg

- الغلاف والإخراج الفنى : صبرى عبدالواحد

- يقع الكتاب الأصلى فى ٢٦ مجلدًا.
وتم اختصاره إلى أربع مجلدات.

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

رئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

مدير التحرير

محمد علوان سالمان

سكرتير التحرير

أحمد محمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

العمرى حياته ومؤلفاته

اسمه ونسبه:

لقد ذكر العمرى فى مقدمة كتابه «مسالك الأبصار» اسمه ونسبه الذى يصل إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إنه أحمد بن يحى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف أبى الفضل نصر بن منصور بن عبد الله بن عدى بن محمد بن أبى بر عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر بن عبد الله الصالح بن أبى أسامة عبد الله ـ وقيل ابن عبد الله بن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى عفا الله ولطف به آمين[1].

وانتسابه لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له موقع عظيم فى نسبه، حيث كرر مررًا انتسابه لعمر بن الخطاب وأنه سليل عشيرة عربية من قريش تنحدر من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

والعمريون ينتسبون إلى بطن قريش، وهو عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وهم موجودون بكثرة فى بلاد الشام ومصر[3].

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوط رقم (٢٧٩٧/ ١) أحمد الثالث استانبول، الورقة (٢).

(٢) العمرى: مسالك الأبصار (قبائل العرب القرنين السابع والثامن الهجريين) ح: دوروتيا كرافولسكى، المركز الإسلامى للبحوث ببيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥) ص ١٥٦.

(٣) قلائد الجمان لقبائل العرب عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الكتب الإسلامية (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢)، ص ٨٣.

وكنيته أبو العباس، ولقبه شهاب الدين[١].

مولده:

غالبًا ما يكون تحديد تاريخ الولادة محل خلاف بين العلماء إن لم يصرح المترجم بسنة ولادته، فابن فضل الله العمرى اختلف في تاريخ مولده، لكن الذى عليه جلة العلماء ومنهم الصفدى أن مولده كان فى اليوم الثالث من شهر شوال سنة سبعمائة[٢].

وتبعه المقريزى، وابن قاضى شبهة، وابن تغرى بردى، والسيوطى، وكان مولده فى دمشق.

حياته ونشأته:

نشأ الشهاب العمرى فى دمشق وقضى فترة صباه بها، وكانت دمشق حينها تزخر بالعلوم والمعارف فكان الشهاب كالنحلة يتنقل بين أزهار العلوم، فتلقى تعليمه على أيدى كبار علمائها ومشايخها فى ديوان الإنشاء بحكم والده القاضى محى الدين فى الجامع الأموى[٣] وباقى مدارس دمشق[٤].

وكان الشهاب مرتبطًا بوالده طوال هذه الفترة والتى تمتد من مولد ابن الشهاب سنة (٧٠٠هـ) وحتى سنة (٧٢٩هـ) فتربى على يديه وكرع مناهل علمه، فكان له الأثر الأكبر فى تعليمه وتثقيفه، خاصة على وظيفة ديوان الإنشاء وطبيعة عمله، وكذلك استفاد أيضًا من العاملين فى ديوان الإنشاء إذ كان مجمع الأدباء وأصحاب المعارف والخبرات.

وكانت لرحلاته إلى مصر مع والده أثر كبير فى إثراء معارفه وعلومه مما جعله موسوعة علمية مرتحلة متنوعة مع ما أوتى من فكر ثاقب، وذاكرة طيبة تحفظ كل ما

---

(١) الوافى بالوفيات: , الصفدى (٨/ ٢٦٨).
(٢) الوافى بالوفيات: الصفدى (٨/ ٢٦٨).
(٣) ابن العماد: شذرات الذهب (٣/ ١٥٦) ابن حجر: الدرر (٢/ ٤٣١).
(٤) ابن قاضى شبهة (٢/ ٣١٥).

تلقيه في طريقها، فالرحلة فى طلب العلوم كانت هى المحك والميزان الذى توزن به المعارف والعلوم، ورافد أصلى لها، حتى كان الشخص الذى لم يترحل فى طلب العلم كان غالبًا مثار جدل واستخفاف لعلومه بين الناس، وبين الشام ومصر كانت توجد محطات كثيرة عبر الطريق، ومراكز علمية سجلتها الرحلات والمشيخات، والسماعات، والبرامج والفهارس، فكان المرتحل يخرج فى علم ويمضى في علم ويستقر فى علم، وكانت رحلات ابن فضل الله العمرى فى الشطر الأول فى حياته فى وقت صفاء الذهن وتعطشى إلى المعرفة.

أما المرحلة الثانية من حياة الشهاب فتبدأ عام (٧٢٩هـ) عندما انتقل والده من دمشق إلى مصر ليتولى كتابة السر، فقد رافق والده إلى هناك وعمل معه مساعدًا فى ديوان الإنشاء واستمر العمرى فى عمله في القاهرة حتى سنة (٧٣٢هـ) حيث عاد مع والده إلى دمشق ولم يستمر فى دمشق طويلًا حتى رجع إلى مصر مرة أخرى مع والده فى العام التالى بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاون(١).

وفى المرحلة الأخيرة استقل العمرى بالعمل فى كتابة السر بسبب مرض والده(٢) استمر فى كتابة السر فى مصر إلى أن ولى السلطان الناصر أحمد الأقباط النصارى كتابة السر فى دمشق استجابة لطلب الأمير تنكر نائب الشام، مما جعل الشهاب يتكلم عليه لدى السلطان، وإنه لايصلح للكتابة فى ديوان الإنشاء، فتجاهل السلطان كلامه مما أثار حفيظة الشهاب،ورفض كتابة أمر السلطان، ووجه كلامًا خشنًا للسلطان الناصر، ثم قام من مجلس السلطان مغضبًا فتوقع الأمراء أن يوقع به السلطان شرًا لكن سرعان ما تدخل الوالد وقدم اعتذاره للسلطان عن موقف ابنه فقبل السلطان اعتذاره، وولى أخاه علاء الدين كتابة السر بدلًا منه(٣) ولقد مكث الشهاب أحمد فى منزله بالقاهرة دون ممارسة أى عمل أو كلفة، فهزه الحنين إلى وطنه، فطلب الإذن من السلطان ليرجع إلى دمشق، لكن السلطان رفض ذلك بشدة وتحرك غضب السلطان المستكن فى صدره من موقفه السابق فأمر بالقبض عليه، وسجنه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل، فنكل

---

(١) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٤) ابن تغرى بردى المنهل (٢/ ٢٤٦)، ابن حبيب (٢/ ٢٣٨).
(٢) المقريزى الخطط (٣/ ١٠٦).
(٣) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٤) تاريخ الملك الناصر وأولاده ص ٢٤، ٢٥.

به وأذله بعد حياة ناعمة مترفة وكان هذا سنة (٧٣٩هـ) وكانت مدة سجنه ستة أشهر وثمانية عشر يومًا، وأفرج عنه فى ٣ ربيع الأخر (٧٤٠هـ)[١].

وفى شهر محرم سنة (٧٤١هـ) استدعاه السلطان الناصر وولاه كتابة السر فى دمشق فتوجه إلى دمشق ليقوم بوظيفته، واستمر فيها حتى مات السلطان الناصر رحمه الله[٢].

نشأته العلمية وتكوينه العلمى:

لقد رأينا سابقًا نشأة الشهاب وأثرها فى حياته العلمية مما جعله من الأعلام الكبار فى عصره مبرزًا فى علوم كثيرة فى اللغة والأدب والعروض والبلاغة، متقنًا لفن الإنشاء، عارفًا لأسرار البلاغة مسترسلًا فى الكتابة الديوانية مما بهر عقول معاصريه، ولم يكن لأحد من أقرانه القدرة التى كان يملكها العمرى، لأنه تلقى تعليمه على أيدى علماء عظام سارت بذكرهم الركبان نذكرهم على سبيل الترتيب الزمنى لتلقيه العلوم: بداية تعليمه على يد والده محى الدين بن فضل الله فى دمشق حيث درس وتخرج على يديه فى الأدب[٣] كما درس الأدب على يد الشهاب محمود، حيث قرأ عليه جملة المعانى والبيان، ودرس عليه كثيرًا من تصانيفه وجملة من الدواوين وكتب الأدب[٤]. وتلقى علم العروض والأدب على يد الشيخ شمس الدين ابن الصائغ[٥].

وقرأ الفقه على الشيخ الزملكانى وبعضًا من العروض، وقرا الفقه أيضًا على شهاب الدين ابن المجد قاضى القضاة والشيخ برهان الدين الفزارى وكان مدرسًا فى المدرسة البدرائية بدمشق[٦].

ودرس الأصول على يد الشيخ شمس الدين بن محمد الأصفهانى، وأذن له بالإفتاء على مذهب الشافعى[٧].

---

(١) المقريزى: الخطط (٣/ ١٠٧).
(٢) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٥) ابن حجر: الدرر (١/ ٣٣٣).
(٣) ابن قاضى شبهة (٣/ ١٧).
(٤) الصفدى: الوافى (٨/ ٢٥٥).
(٥) الصفدى: أعيان مصر (١/ ٤١٨).
(٦) ابن قاضى شبهة (٣/ ١٩).
(٧) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٣) الصدفى (٨/ ٢٥٣).

ودرس على شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه الأحكام الصغرى[١]، كما قرأ العربية على الكمال القاضى شبهة فى الجامع الأموى بدمشق، وقاضى القضاة شمس الدين بن مسلم فى المدرسة الصالحية بدمشق[٢] وعلى أثير الدين بن حيان اللغة والنحو، وقد كان له أثر كبير فى قوة الشهاب النحوية، إذ كان يتلزم أبو حيان منهجًا علميًا فى تدريس النحو لطلبته، وهو لا يدرس النحو إلا إذا كان فى سيبوية وفى التسهيل لابن مالك أو فى تصانيفه[٣] ومن شيوخه أحمد بن على بن محمد بن يعقوب الجرائدى، والحجار، ومن النساء، ست الوزراء وست القضاة وغيرهم كثير[٤].

تلاميذه:

لم يتخذ العمرى التدريس مهنة له، لأنه كان منشغلًا بالوظائف المنوطة به من قبل السلطان، لذلك لا نكاد نجد فى المصادر ذكرًا لتلاميذ الشيخ الشهاب إلا ما كان من أمر محمد بن عبد الله الشبلى الذى رحل إلى القاهرة فى سنة (٧٣٢هـ) لطلب العلم فالتقى بشهاب الدين هناك، فأخذ عنه العلم، وكتب كثيرًا من إنشائه[٥].

آثاره العلمية:

لقد ترك لنا العمرى أثارًا عظيمة تدل على سعته فى الإطلاع فى ميادين شتى من علوم عصره، نحاول فى هذه الترجمة أن نذكر ما وصلنا من تأليف هذا العالم الجليل التى يتصدرها كتابه الفذ الفريد (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار).

١ ـ تذكرة الخاطر[٦] وهو من أعمال العمرى المفقودة.

---

(١) أعيان العصر (١/ ٤١٨).
(٢) ابن حجر: الدرر (٤/ ٢٥٨).
(٣) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٣)، الصفدى: الوافى بالوفيات (٥/ ٢٦٨).
(٤) ابن تغرى بردى: المنهل (٢/ ٢٦٢)، ابن حجر الدرر (١/ ٣٣٢).
(٥) الصفدى: الوافى (٣/ ٣٧٨) ابن حجر: الدرر (٣/ ٤٧٨) ١١.
(٦) كشف الظنون (١/ ٣٢٦).

٢ ـ الجواهر الملتقطة[١]: وهى مجموعة من المكاتبات من إنشاء العمرى، نقل عنه القلقشندى فى صبح الأعشى.

٣ ـ حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء[٢] وهى قصيدة رائية فى مدح الخلفاء العبيديين.

٤ – الدعوة المستجابة فى مجلد واحد[٣].

٥ – دمعة الباكى ويقظة الساهر[٤] وهو كتاب فى الأدب يوجد نسخة منه فى المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس برقم (٥٤٣٢) تحت اسم «يقظة الساهر ورتبة الخاطر».

٦ ـ الدرر الفرائد[٥]: وهو تراجم لطائفة من ملوك ووزراء وقضاة وعلماء وأدباء وشعراء المغرب، ولازال هذا الكتاب مخطوطًا، وتوجد نسخة منه بمعهد المخطوطات العربية بمصر رقم (١٦٠٩ تاريخ).

٧ ـ الشتويات[٦] وهى رسائل إخوانية كتبها ابن فضل الله فى فصل الشتاء.

٨ ـ فواضل السمر فى فضائل آل عمر[٧]: جمع فيه فضائل آل عمر، وهى عائلته المنتسبة إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم ذكر تاريخها ورجالاتها وانتسابها إلى أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٩ ـ نفحة الروض[٨] هو كتاب فى الأدب من أعمال ابن فضل الله العمرى المفقودة.

---

(١) القلقشندى: (٩/ ٣٢٠).
(٢) حاجى خليفة (١/ ٥١٥).
(٣) العمرى: التعريف ص ٨، حاجى خليفة (١/ ٥٧٧).
(٤) حاجى خليفة (١/ ٥٨٠).
(٥) العمرى: التعريف ص ٨.
(٦) الزركلى: الأعلام (١/ ٣٤٥) يوجد نسخة من المخطوط مصورة بمعهد المخطوطات بمصر تحت رقم (٤٩٨ آداب).
(٧) العمرى: مسالك الأبصار (قبائل العرب) ص ٣٨.
(٨) الصدفى: الوافى بالوفيات (٨/ ٢٥٥).

١٠ ـ النبذة الكافية لمعرفة الكتاب والقافية[١] وهو كتاب تعليمى لأساليب الكتابة الإنشائية وقول الشعر.

١١ ـ المبكتات[٢]: وهو أيضًا من مؤلفته المفقودة.

١٢ ـ ذهبية العصر[٣] ترجم فيه لمشاهير شعراء المائة الثامنة من معاصريه، وذكر فيه أشعارهم وأخبارهم على نهج يتيمة الدهر للثعالبى، ويوجد نسخة من ذهبية العصر فى مكتبة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم (١٨٧٠).

١٣ ـ التعريف بالمصطلح الشريف[٤] وهو كتاب فى مصطلح الكتابة الديوانية والقوانين التى يجب مراعاتها والطريقة التى يسير عليها كتبة الدواوين في المراسلات الخاصة بالدولة، وقد استفاد منه القلقشندى فى كتاب «صبح الأعشى» والخالدى فى كتابه «المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا»[٥].

كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

أولًا: لمحة سريعة حول الكتاب:

الكتاب موسوعة عظيمة القدر اعتمدها كثير من المؤرخين ممن عاصره ومن جاء بعده، وقد اختلف الباحثون والعلماء فى عدد أسفار الكتاب وأجزائه، فذكر الصفدى مرة أنه فى عشرة أجزاء كبيرة ولا يعلم أن لأحد مثله[٦] ومرة ثانية ذكر الصفدى بأن هذه الموسوعة تقع فى أكثر من عشرين مجلدًا[٧] كذلك فعل الكتبى وهو معاصر لابن فضل

---

(١) الزركلى: الأعلام (٢/ ٢٥٤).
(٢) المقريزى: المقفى (١/ ٧٣٣).
(٣) ابن حجر: الدرر (١/ ٣٢٠).
(٤) ابن حجر: الدرر (١/ ٣٣٣) طبع كتاب التعريف بالمصطلح الشريف طبعتين الأولى بالقاهرة عام (١٣١٢ هـ وطبعة حديثة محققة عام (١٤٠٨هـ) بتحقيق محمد حسين شمس الدين.
(٥) توجد نسخة مصورة من التعريف بالمصطلح الشريف بمعهد المخطوطات العربية بمصر برقم(١٠٠١ تاريخ).
(٦) الصفدى: الوافى بالوفيات (٨/ ٢٥٥) دار صادر، بيروت (١٤٠١ هـ، ١٩٨١هـ).
(٧)الصفدى: أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٤٢٠) تحقيق: على أبو زيد مع أخرين، دار الفكر (١٤١٨هـ).

الله العمرى ـ ذكر أن مسالك الأبصار تقع فى أكثر من عشرين مجلدًا[1] وقال ابن قاضى شهبة: إن الكتاب يقع فى سبعة وعشرين مجلدًا[2].

والموسوعة تنقسم إلى قسمين كبيرين: القسم الأول يتناول فيه ابن فضل الله العمرى الأرض، والثانى عن الإنسان، وكل قسم منهما وزعه على نوعين، وكل نوع قسمه إلى أبواب وكل باب قسمه إلى عدة فصول.

فالقسم الأول تحدث فيه عن الأرض، وما اشتملت عليه فى البر والبحر.

ففى الباب الأول تناول حال الأرض ومقدارها من خلال ستة فصول، بين من خلالها كيفية الأرض ومقدارها، وأسماء الأرض وصفاتها، وأسماء التراب وصفاته، والغبار وصفاته، وأسماء الرمال وصفاتها وأحوال الأرض.

والباب الثانى فى ذكر الأقاليم السبعة، وتناول فصوله الثلاثة وتقسيم الأقاليم، وما وقع فى الأقاليم من المدن والجزائر العامرة برًا وبحرًا، وتصويرها بأشكالها وبيان أطوال الأنهار فى كل إقليم.

والباب الثالث فى البحار وما يتعلق بها من رياح مع نبذة من عجائب البحر والبر.

والباب الرابع في القبلة والأدلة عليها من خلال ستة فصول حول أقوال الفقهاء فى القبلة، والاستدلال عليها بالنجوم، والرياح، والجبال، والأنهار، وقبلة كل أرض.

وخاتمة الباب فصل جامع يتضمن الحديث عن تداخل الشهور، والكواكب الثابتة، والسيارة، وصورة الأفلاك، والحديث عن الخسوف والكسوف.

والباب الخامس: فيدور حول الطرق ومعاريجها واستوائها.

أما النوع الثانى: فى ذكر الممالك فيشمل خمسة عشر بابًا:

الباب الأول: فى مملكة الهند والسند.

---

(١) الكتبى: فوات الوفيات، تحقيق إحسان على، دار الثقافة، ببيروت ١٩٧٣.

(٢) ابن قاضى شبهة: طبقات الشافعية (١٩/٣) تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، الهند (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩هـ)

الباب الثانى: فى ممالك بيت جنكيز خان.

الباب الثالث: فى ممالك الجبل.

الباب الرابع: فى مملكة الجبال.

الباب الخامس: فى مملكة الأتراك بالروم.

الباب السادس: فى مملكة مصر والشام والحجاز.

الباب السابع: في مملكة اليمن.

الباب الثامن: فى مملكة المسلمين بالحبشة.

الباب التاسع: في ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل الممتد إلى مصر.

الباب العاشر: فى مملكة مالى وما معها.

الباب الحادى عشر: فى مملكة جبال البربر.

الباب الثانى عشر: فى مملكة إفريقيا.

الباب الثالث عشر: فى مملكة بر العدوة.

الباب الرابع عشر: فى مملكة الأندلس.

الباب الخامس عشر: فى ذكر العرب الموجودين فى وقته وأماكنهم.

أما القسم الثانى من الكتاب، ففى سكان الأرض من طوائف الأمم وهو أنواع:

النوع الأول: يتناول ابن فضل الله العمرى من خلاله مشاهير قراء المشرق والمحدثين فيه، ومشاهير قراء المغرب المحدثين فيه، والفقهاء فى الجانبين المشرق والمغرب ومشاهير قراء ومحدثى وفقهاء الديار المصرية والأئمة الأربعة وأصحابهم فى الجانبين الشرقى والغربى.

وأصحاب الأئمة الأربعة فى مصر، وأهل اللغة، وأرباب المعانى والبيان، والحكماء والفلاسفة والأطباء، وأهل علم الموسيقى، والوزراء فى المشرق والمغرب وفى ديار

مصر، وكتاب الإنشاء ممن خدم الفقهاء والملوك في المشرق، والكتاب المغاربة ومن تقدم منهم إلى مصر.

ثم تناول موضوع الخطابة قبل الإسلام، والخطباء بالمشرق والمغرب ومصر، ثم الشعر والشعراء فى الجاهلية المخضرمين، والشعراء فى دولة بنى أمية، والشعراء فى دولة بنى العباس، وجماعة المخضرمين فى الدولتين الأموية والعباسية، ثم ذكر شعراء الجانب الشرقى والغربى والشعراء فى مصر.

وبعد الحديث عن الإنسان العالم والفقيه واللغوى، والحكيم والفيلسوف والطبيب والموسيقى والوزير والخطيب والشاعر انتقل إلي الحديث عن الحيوان والدواب والطير والهوام والحشرات وحيوان الماء، ثم انتقل إلى الحديث عن النبات ثم النجوم ثم المعادن.

أما النوع الثانى من القسم الثانى من كتاب مسالك الأبصار فقد تناول من خلاله الكلام على الديانات والملل والنحل.

والنوع الثالث فى الكلام على طوائف المتدينين.

والنوع الرابع في ذكر تاريخ الدول التى كانت قبل الإسلام، والدول الكائنة فى الإسلام.

ومن هذا الغرض السريع لموسوعة مسالك الأبصار نستطيع أن نلمس بوضوح تام مدي الجهد الذى بذله ابن فضل الله العمرى فى جمع مادته التى حوت بحرًا زاخرًا من المعلومات، ومن هنا كانت أهمية هذه الموسوعة التى عكف على نشرها وتحقيقها عدد من الباحثين والمستشرقين.

ولقد أخرج المجمع الثقافي بالإمارات العربية المتحدة أجزاء مختلفة من مسالك الأبصار فى طبعات محققة فاخرة، مثلًا السفر الأول الخاص بالمسالك والآثار والأقاليم قام بتحقيقه الأستاذ عبد الله بن يحى السريحى ونشر عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

والسفر السابع الخاص بأهل اللغة والنحو والبيان قام بتحقيقه عبد العباس عبد الجاسم ونشره عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣).

والسفر الثامن الخاص بطوائف الفقراء ـ الصوفية قام بتحقيقه بسام محمد بارود ونشر عام (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١).

والسفر التاسع الخاص بالحكماء والفلاسفة قام بتحقيقه الأستاذ بسام محمد بارود.

والسفر السادس عشر الخاص بشعراء العصر العباسى قام بتحقيقه الدكتور محمد إبراهيم حور عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وقبل ذلك كانت هناك جهود طيبة عملت على نشر هذه الموسوعة الكبيرة، فقد نشر الأستاذ أحمد زكى باشا الباب الأول من النوع الأول من القسم الأول من هذه الموسوعة نشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة عام (١٩٢٤).

ونشرت المستشرقة دوريتا كرافولكس الفصل الخاص بقبائل العرب فى القرنين السابع والثامن الهجريين (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، كذلك نشرت الفصل الخاص بدولة المماليك البحرية، نشره المركز الإسلامى للبحوث ببيروت عام (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م).

ونشر الدكتور أيمن فؤاد سيد الفصل الخاص بمملكة اليمن، نشرته دار الاعتصام بالقاهرة عام (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

ونشر الدكتور محمد سالم العوفى الفصل الخاص بمملكة الهند والسند عام (١٤١١هـ/ ١٩٩٠).

ونشر محمد عيسى الحريرى الجزء الخاص بالسيرة النبوية فى مسالك الأبصار طبعة عالم الكتب، ببيروت (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

ونشر عبد الحميد صالح حمدان الفصل الخاص بالحيوان والنبات والمعادن عام (١٤١٦/ ١٩٩٦) نشرته مكتبة مدبولى بالقاهرة.

كذلك قام محمد نايف الدليمى بنشر الجزء العشرين الخاص بالحيوان والنبات، نشر عالم الكتب، ببيروت (١٩١٤هـ/ ١٩٩٩).

والحقيقة أن المؤرخين والعلماء عرفوا قيمة مسالك الأبصار فأثنوا على الكتاب

ثناء كبيرًا، منهم الصفدى الذى قال عن المسالك «إنه كتاب حافل لا يعلم أن لأحد مثله»[1].

وقال عنه ابن تغرى بردى «لو لم يكن له ـ أى الكتاب ـ إلا التسمية التى سمى بها لكفاه»[2].

إن «مسالك الأبصار» دائرة معارف كبرى لا غنى عنها لكل باحث فى التاريخ وخاصة من يهتم بتاريخ الممالك، وجغرافية العالم الإسلامى، وتراجم العلماء والفلاسفة والأدباء والأطباء والفقهاء وغيرهم.

ثانيًا: أهمية موسوعة «مسالك الأبصار» ومصادرها:

ابن فضل الله العمرى من المؤرخين الذين جمعوا تراثًا عربيًا أصيلًا وتاريخًا وحضارة، لكونه عاش فى مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامية المفعمة بالأحداث فى شتى الميادين، وهو مؤرخ وكاتب يسير من طراز فريد، وحيث أنه في الجزء التاسع من موسوعته «مسالك الأبصار» يتناول فى الأصل الحديث عن تاريخ علماء وحكماء، فحرى بنا أن نشير إلى منهجه فى كتابة التاريخ بصفة عامة فى هذه الموسوعة الكبرى، وبخاصة فى القسم التاريخى من موسوعته.

والقسم التاريخى من موسوعته مصدر مهم لدراسة التاريخ الإسلامى عامة وعصر سلاطين المماليك خاصة، يتجلى ذلك فيما يحتويه من معلومات مهمة تتعلق بالبلاد التى ارتبطت مع الدولة المملوكية بعلاقات دبلوماسية أو معلومات خاصة بوصف إقليم من أقاليم العالم المعاصر لهذه الدولة، وأمر مهم أيضًا يتعلق بالقيمة التاريخية أنها حفظت لنا هذه الموسوعة مادة تاريخية علمية غزيرة فقدت مصادرها الأصلية، فنقلت لنا الوضع الجارى فى ذلك الوقت. ويرجع السبب فى تلك الأهمية إلى ما توفر للمؤلف من اطلاع على الوثائق الرسمية فى الدولة، بالإضافة إلى لقاء كثير من سفراء ومندوبى

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات (٨/ ٢٥٥).
(٢) ابن تغرى بردى: المنهل الصافى (٢/ ٢٦٥).

تجار الدول الأخرى، وذلك بحكم وظيفته فى ديوان الإنشاء، بالإضافة إلى أن ابن فضل العمرى يعد شاهد عيان لمعظم الأحداث ومعاصرًا لها ومشاركًا فى صنع أحداثها، لهذا فهو مصدر وثائق مهم فى تلك الفترة التى عاصرها مما يزيد من أهمية القسم والمعلومات التاريخية للموسوعة العمرية ولا سيما الفترة التى عاشها، وكذا أصالة المصادر التى استقى منها معلوماته وهى:

١ ـ إما وثائق رسمية ضمتها ملفات الدولة أو أرشيفاتها وهى لا تحتمل الخطأ أو التشكيك.

٢ ـ وإما شاهد لأحداث التقى بها واستقى منها معلوماته.

ولقد سلك ابن فضل الله العمرى فى تنظيم قسم التاريخ من موسوعته المنهج نفسه الذى اتبعه مؤلفو المصادر التى نقل منها مادته التاريخية، كالذهبى وأبى الفداء وغيرهما. واتبع العمرى طريقة أبى الفداء فى عناوين الأخبار ذاكرًا عنوانًا لحكم ملك ثم يورد الأحداث المتعلقة بذلك الملك إلى أن ينتهى عند أخبار ملوك الهند حيث يبدأ النقل من المسعودى، والذى اتبع العمرى أيضًا طريقته فى ذكر عناوين بارزة للأخبار التى يكتب عنها.

وقد لجأ العمرى إلى الدمج بين الأخبار المنقولة من مؤلف أبى الفداء، وبين تلك المنقولة من مؤلف المسعودى فينقل من تلك تارة ومن الأخرى تارة أخرى مثلما هو الحال فى أخبار ملوك الفرس.

وخالف العمرى أبا الفداء والمسعودى فى طريقة ترتيب الأخبار بل أتبع طريقة أخرى ذكر فيها أخبار ملوك العجم أولا على اختلافهم، ثم أخبار ملوك العرب، ثم أيام العرب وحروبهم، مختتمًا بذلك الأخبار لما قبل الهجرة النبوية لتكون كالمقدمة للتاريخ الإسلامى.

ثالثًا: مصادر مسالك الأبصار:

لقد اتسم عصر ابن فضل الله بالموسوعية، ومن أبرز سماتها الاعتماد على السابقين فيما

كتبوا بصورة واضحة، وكان العمرى أحد هؤلاء الذى اعتمدوا على المؤرخين الأوائل وكتب التراجم وغيرهم.

والقسم التاريخى يعكس نصية النقل الذى لجأ إليه متلزمًا المادة العلمية فى النقل، حيث لم يهمل ذكر مؤلفى المصادر التى نقل عنها أو ذكر مؤلفاتهم، بالإضافة إلى إيراد المصادر التى اعتمد عليها أولئك المؤرخون فى أحيان أخرى كما هو مكتوب فى المصادر التى ينقل عنها. ولقد استقى العمرى مادة كتابه من مصادر عديدة منها:

(أ) المشاركة فى صناعة الأحداث التى يكتب عنها، فهو من أقرب الأشخاص للسلطان المملوكى رأس الدولة، حيث كان يكتب الوثائق بنفسه أو يشرف عليها مما أتاح له معرفة كثير من أسرار الدولة ومعرفة كثير من رجالاتها وعلمائها البارزين فيها.

(ب) ومنها المصادر الشفوية: ولقد أوضح الأسلوب الذى اتبعه فى الرواية الشفوية حيث قال:

ويأخذ فى هذا الباب على التحرير فى أكثر ما عرفناه والتحقيق لأكثر مما نعرف بتكرار السؤال واحدًا بعد واحد عما يعلمه من أحوال بلده وما فيها وما اشتملت عليه فى الغالب، ونواحيها، وكنت أسأل الرجل عن بلاده ثم أسأل الآخر والآخر لأقف على الحق فما اتفقت عليه أقوالهم أو تقاربت أثبته، وما اختلف فيه أقوالهم أو اضطرب تركته، ثم ترانى أترك الرجل المسئول مدة أناسيه فيها عما قال ثم أعيد عليه السؤال على بعض ما كنت سألت فإن ثبت قوله الأول أثبت ما قاله، وإن تزلزل أذهبت فى الريح أقواله، كل هذه لاتروى فى الرواية وأتوثق فى التصحيح[1].

ولقد اعتمد العمرى على رواة ثقات كما ذكر فى نصه البديع على اختلاف أنواعهم، منهم إما رحالة أو تجار وفدوا إلى الدولة المملوكية فالتقى بهم واستفاد منهم، وكان من هؤلاء يحى بن الحكم الذى سافر إلى إيران فلما رجع روى لابن فضل الله العمرى ما شاهد وخبر من أحوالها.

---

(١) مسالك الأبصار (١/ ٢).

ومنها المصادر المكتوبة:

١ ـ الوثائق الرسمية الخاصة بالدولة المملوكية، حيث حظى بكتابتها والإشراف على إصدارها والإطلاع عليها بحكم عمله كاتبًا للسر فى ديوان الإنشاء.

٢ ـ وإلى جانب الوثائق الرسمية أوضح ابن فضل الله فى مقدمته للموسوعة أنه نقل من الكتب التى صنفت والموثوق فيها ما يتعلق بتقسيم الأقاليم، وأقوال القدماء واختلاف آراء الحكماء، وأخبار الدول والملل ومشاهير الأعلام، والتواريخ وموضحًا بأنه لا ينقل إلا عن أعيان الثقات والذين عرفوا فى ذلك العصر بالتدقيق فى النظر والتحقيق فى الرواية[١].

فمن المصادر الذى نقل عنها تاريخ أبى الفداء المسمى «المختصر فى أخبار البشر» وقد أوضح العمرى فى بداية الجزء الخامس والعشرين أنه اعتمد بصورة كبيرة على ما كتبه أبو الفداء بالإضافة إلى اقتطافه بعض الأخبار والأحداث عن غيره أو ما ذيل به كتابه، وكان نقل العمرى عن أبى الفداء من أول ذلك الجزء مع تغييرات بسيطة فى ترتيب بعض الكلمات وترتيب بعض الجمل إضافة إلى حذفه بعض الكلمات والأخبار[٢].

٢ ـ أما المصدر الثانى الذى اعتمد عليه فى نقل مادته التاريخية فهو كتاب «دول الإسلام للذهبى»، فيبدأ النقل عنه مع بداية أحداث سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٩٣م) حتى نهاية الجزء السابع والعشرين وبالتحديد أحداث شهر جمادى الآخر سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م). وكان نقله عن الذهبى بنصية واضحة جدًا فلم يضف إلى ما نقله عنه شيئًا يذكر»[٣].

٣ – ومن المصادر المكتوبة أيضًا التى نقل عنها «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودى الذى نقل عنه فى الجزء الخامس والعشرين الكثير من الأخبار، مثل : أخبار ملوك الهند والصين والترك والفرس وغيرهم، واتسم نقله عن المسعودى بالاختصار والإيجاز»[٤].

---

(١) مسالك الأبصار (١/ ٢).
(٢) مسالك الأبصار (٢٥/ ٢ـ٣٦).
(٣) مسالك الأبصار ٢٧ (٣٧٥ ـ ٣٨٣، ٤٠٠ ـ ٤٠٩).
(٤) مسالك الأبصار (٢٥/ ٢٥ ـ ٥٩).

والحقيقة أن ابن فضل الله العمرى لم ينقل إلا عن ثقات وهذا ما ذكره فى مقدمة مسالك الأبصار، حيث يقول «ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات من ذوى التدقيق فى النظر والتحقيق للرواية.. فإن نقلت عن بعض الكتب المصنفة فى هذا الشأن فهو من الموثوق به فيما لابد منه»[1].

ومن هنا تبدو الثقة فيما نقله عن علماء ثقات، ولعل ذلك سر من أسرار انتشار كتاب مسالك الأبصار لدي الباحثين والمؤرخين والعلماء.

تأثيره فى المؤرخين الذين أتوا بعده:

بقدر ما تأثر العمرى بأبى الفداء والذهبى والمسعودى وغيرهم فقد كان للعمرى ومؤلفاته تأثير واضح فى المؤرخين اللاحقين ومناهجهم فى التأليف وأساليبهم فى الكتابة الموسوعية.

من هؤلاء المؤلفين الذين تأثروا بالعمرى فى مؤلفاتهم القلقشندى صاحب موسوعة «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» التى كان موضوعها الرئيسى الكتابة الديوانية، فقد تأثر بمؤلفات العمرى عامة والمسالك خاصة، فنراه فى تقسيم الكتاب وتبويبه وترتيبه تأثر بالعمرى فى كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف، حيث قسمه إلى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة متبعًا العمرى فى ذلك، كما استفاد من الموسوعة العمرية: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» وفى المقالة الثانية الخاصة بذكر الممالك وهى فى القسم الأول من موسوعة العمرى، وأشار القلقشندى إلى نقله فى ذلك الموضوع.

وكان للعمرى ومؤلفاته تأثير كبير فى مؤرخى العصر المملوكى، وكان عمدتهم فى الكتابة التاريخية فى هذه الفترة، وممن استفاد منه المقريزى فى كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» والمعروف بالخطط المقريزية، فقد نقل وصفه لقلعة الجبل كما نقل عنه أيضًا الخلع والأزياء الخاصة بالممالك حتى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون[2].

---

(١) مسالك الأبصار (١/ المقدمة).

(٢) مسالك الأبصار ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ص ٧٩ - ٧٨٤ وانظر المقريزى، الخطط (٣/ ٣٥٥).

وهكذا استمر تأثير العمرى فيمن بعده متخذين من كتابه المفيد الكبير هذا مصدرًا تاريخيًا مهمًا لا يكاد يستغنى عنه من يريد الكتابة عن هذا العصر فى شتى المجالات والميادين.

رحم الله العمرى، فقد كان مفخرة عظيمة لتراثنا وشامة لامعة فى جبين هذه الأمة، فقد استفاد وأفاد وبقيت كتبه العظيمة منهجًا ثريًا وبحرًا زاخرًا يأخذ منها العلماء والباحثون ما أرادوا.

السفر الأول

المسالك والآثار والأقاليم

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الراجى عفوه، أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف بن أبى الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدى بن محمد أبى بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر بن عبيد الله الصالح بن أبى سلمة - وقيل: أسلمة - بن عبيد الله بن أبى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى عفا الله عنه ولطف به آمين: لقد طالعت الكتب الموضوعة فى أحوال الأقاليم وما فيها، فلم أجد من قنّن أحوالها، ومثّل فى الأفهام صورها، لأن غالب تلك الكتب لا تتضمّن سوى الأخبار القديمة، وأحوال الملوك السالفة، والأمم البائدة، وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب أهلها، ولم يبق فى مجرّد ذكرها عظيم فائدة، ولا كبير أمر، وخير القول أصدقه، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، فاستخرت الله تعالى فى إثبات نبذة دالّة على المقصود فى ذكر الأرض وما فيها ومن فيها، الأظهَر فالأظهر، والأشهر فالأشهر.

- القسم الأول من الكتاب: فى ذكر الأرض وما اشتملت عليه برا وبحرا، وهو نوعان: النوع الأوّل فى ذكر المسالك، وفيه أبواب.

الباب الأوّل
فى مقدار الأرض وحالها، وفيه ستة فصول

الفصل الأوّل
فى كيفية الأرض ومقدارها

الذى تلخّص فى أقوال أهل العلم والنظر فى الهيئة: أن العالم كرة، والأرض مركزها، والماء محيط بها لا يفارقها، إلا ما انكشف.

فالأرض فى جوف الماء، والماء فى جوف الهواء، والهواء فى جوف الفَلَك: كالمُحَّة فى جوف البيضة فى القشر.

ووضعها وضع متوسِّط. والهواء إما جاذب لها إلى جهة الفلك أو دافع عنه. وذهب بعضهم إلى أنها مستقرة بالوضع: فالأرض فى فلك الماء، وفلك الماء فى فلك الهواء، وفلك الهواء فى فلك النار «وهو الأثير»، وفلك النار فى فلك القمر، وفلك القمر فى فلك عُطارد، وفلك عُطارد فى فلك الزُّهَرَة، وفلك الزُّهَرَة فى فلك الشمس، وفلك الشمس فى فلك المرّيخ، وفلك المرّيخ فى فلك المُشترى، وفلك المُشترى فى فلك زُحَل، وفلك زُحَل فى فلك البروج «وهو المُكَوْكَب»، وفلك البروج فى الفلك الأطلَس.

الفصل الثانى
فى أسماء الأرض وصفاتها

قال الثعالبيُّ، فى فقه اللغة:«إذا اتّسعت الأرض، ولم يتخلَّلْها شجر أو خَمَر، فهى الفضاء، والبَرَاز، والبَراح، ثم الصحْراء، والعَرَاء؛ ثم الرَّهاء والجَهْراء.

فإذا كانت مستوية مع الاتّساع، فهى: الخَبْت، والجَدَد؛ ثم الصَّحْصح، والصَّرْدَح؛ ثم القاع، والقَرْقَر؛ ثم القَرَق، والصَّفْصَف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتّساع، بعيدة الأكناف والأطراف، فهى،السَهْب، والخَرْق؛ ثم السَّبْسَب، والسَّمْلَق.

فإذا كانت مع الاتّساع والاستواء، والبعد، لا ماء فيها، فهى،الفَلاَةُ والمَهْمَه؛ ثم التَّنُوفَة والفَيفاء؛ ثم النَّفْنَف والصَّرْمَاء.

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يُهتدى فيها لطريق، فهى،اليَهْمَاء.

فإذا كانت تُضلُّ سالكها، فهى: المُضِلَّة، والمَتِيهَة.

فإذا لم يكن بها أعلام ولا معالمُ، فهى: المَجْهَل، والهَوْجَل.

فإذا لم يكن بها أثَر، فهى: الغُفْل.

فإذا كانت قَفْراء، فهى: القِيُّ.

فإذا كانت تُبيد سالكَها، فهى: البَيْدَاء.«والمفازة كناية عنها».

فإذا لم يكن بها شيء من النبت، فهى: المَرْت والمَليع.

فإذا لم يكن فيها شيء، فهى: المَرات والسُّبْرُوت والبلْقَع.

فإذا كانت الأرض غليظة صُلبة، فهى: الجَبُوب؛ ثم الجَلَد؛ ثم العَزاز؛ ثم الصَّيداء؛ ثم الجُدْجُد.

فإذا كانت صُلبة يابسة من غير حصى، فهى: الكَلَد؛ ثم الجَعْجاع.

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهى: البُرقة، والأبْرَق.

فإذا كانت ذات حصىً، فهى: المَحْصَاة والمَحْصِيَّة.

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهى: الأمْعَز والمَعْزاء.

فإذا اشتملت عليها كلّها حجارة سُود، فهى: الحَرَّة واللاَّبَة.

فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهى: الجَزيز.

فإذا كانت الأرض مطمئنَّة، فهى: الجَوْف، والغائط؛ ثم الهَجْل، والهَضْم.

فإذا كانت مرتفعة، فهى: النَّجْد والنَّشْزُ.

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظ، فهى: المَتْن، والصَّمْد؛ ثم القُفُّ، والفَدْفَد، والقَرْقَر.

فإذا كان ارتفاعها مع اتّساع، فهى: اليَفَاع.

فإذا كان طولها فى السماء مثل البيت وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع، فهى: التل؛ وأطول وأعرض منها: الرَّبوة، والرابية، والأكَمَة؛ ثم الزُّبْيَة وهى التى لا يعلوها الماء.«وبها ضرب المثل، فى قولهم: بلغ السيل الزُّبى«؛ ثم النَّجْوَة«وهى المكان التى تضنُّ أنَّه نجا بك«؛ ثم الصَّمَّان،«وهى الأرض الغليضة دون الجبل«.

فإذا ارتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غِلَظ الجبل، فهى: الخَيْف.

فإذا كانت الأرض ليِّنة، سهلة، من غير رمل، فهى: الرَّقاق«والبَرْث«؛ ثم المَيْثَاء والدَّمِثَة.

فإذا كانت طيبة التربة، كريمة المنبت، بعيدة الأحساء والنزور، فهى: العَذاة.

فإذا كانت مخيلة النبت والخير، فهى: الأرِيضة.

فإذا كانت ظاهرة، لا شجر فيها ولا شيء يختلط بها، فهى: القَرَاح، والقِرْواح.

فإذا كانت مهيّأة للزراعة، فهى: الحَقْل، والمَشارَة، والدَّبرَة.

فإذا لم تُهيَّأ للزراعة، فهى: بور.

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهى: الفِلّ والجُرُز.

فإذا كانت غير ممطورة، وهى بين أرضين ممطورتين، فهى: الخَطِيطَة.

فإذا كانت ذات ندى ووخامة، فهى: الغمِيقَةُ.

فإذا كانت ذات سباخ، فهى: السَّبَخَة.

فإذا كانت ذات وباء، فهى: الوبيئة والوبِئَة«على مثال فعيلة وفَعِلة«.

فإذا كانت كثيرة الشَّجر، فهى: الشَّجْراء والشَّجِرة.

فإذا كانت ذات حيّات، فهى: المُحَوَّات.

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهى: المُسبِعة والمُذئبَة.

الفصل الثالث
فى أسماء التراب وصفاته

تراب وجه الأرض يقال له البَوْغَاء.

والدَّقْعاء، التراب الرِخْو الرقيق الذى كأنه ذَريرةٌ.

الثرى، التراب النَّدِيّ «وهو كل تراب لا يصير طينا لازبا إذا بُلَّ».

المور، التراب الذى تمور فيه الريح.

الهَباء، التراب الذى تُطيِّره الريح، فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم. «يلزق لزوقا» عن ابن شُمَيْل».

«الهابى،الذى دقّ وارتفع» عن الكسائيّ».

السافِياء والدَّأْماء، التراب الذى يُخرجه اليربوع من جحره ويجمعه.

الجُرثومة، التراب الذى تجمعه النمل عند قريتها.

العَفاءُ، التراب الذى يُعَفِّى الآثار. وكذلك العفر.

الرَّغام، التراب المختلط بالرمل.

السَّماد، التراب الذى يُسمَّد به النبات. فإذا كان مع السِّرقين فهو الدَّمال.

وإذا كان الطين حُرّا يابسا، فهو: الصَّلْصال.

فإذا كان مطبوخا، فهو: الفَخَّار.

فإذا كان عَلِكًا لاصقا، فهو: اللَّازِبُ.

فإذا غيّره الماء وأفسده، فهو: الحَمَأ.

الفصل الرابع
فى أسماء الغبار وصفاته

النَّقْع والعَكُوب، الغبار الذى يثور من حوافر الخَيْل وأخفاف الإبل.

العَجاجَة، الغُبار الذى تثيره الريح.

الرَّهج والقَسْطَل، غبار الحرب.

الخَيْضَعَة، غبار المعركة.

العِثْيَر، غبار الأقدام.

المَنِين، ما تقطّع منه.

الفصل الخامس
فى أسماء الرمال وصفاتها

«ما استرقَّ« من الرمل، يقال له: العدَاب.

الحَبْل، ما استطال منه.

الَّلبَب، ما انحدر منه.

الحِقْف، ما اعْوَجَّ منه.

الدِّعصْ، ما استدار منه.

العَقَدَ، ما تعقّد منه.

العَقَنْقَلم ما تراكم «وتراكب« منه.

السِّقْط، ما جعل ينقطع ويتَّصل منه.

النُّهْبُورَة، ما أشرف منه.

التَّيْهُور، ما اطمأنّ منه.

الشَّقِيقة، ما انقطع وغَلُظَ منه.

الكَثِيب والنَّقا، ما احدَوْدَب وانهال منه.

العاقِر، ما لا يُنبت شيئا منه.

الهِدَمْلة، ما كثر شجره منه.

الأَوْعس، ما سهُل ولانَ منه.

الرَّغام، ما لان منه، وليس بالذى يسيل من اليد.

الهَيَام، ما لا يُتمالك أن يُمسك منه باليد، للينه.

الدَّكادك، ما الْتَبَد بالأرض منه.

العانِك، ما تعقّد منه، حتى لا يقدر البعير على المسير فيه.

والكثير من الرمل يقال له، العَقَنْقَل؛ فإذا نقص، فهو: كثيب؛ فإذا نقص منه، فهو: عَوْكل؛ فإذا نقص منه، فهو: سِقْط؛ فإذا نقص منه، فهو: عَدَاب؛ فإذا نقص منه، فهو: لَبَب.

الفصل السادس
فى أحوال الأرض

هذا فصل قصدنا إفراده، لنزيده وضوحا، وسنذكره جملة وتفصيلا، ونستطرد فى ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما يندرج معها، وذكر جمل من الآثار القديمة.

الجبال

والذى نقول الآن: إنّ الجبال كلَّها متشعِّبة من الجبل المستدير بغالب معمور الأرض. وهو المسمّى بجبل قاف، وهو أُمّ الجبال. كلُّها تتشعب منه. فتتصل فى موضع، وتنقطع فى آخر. وهو كالدائرة، لا يُعرف له أوّل على التحقيق. إذ كانت الحلقة المستديرة، لا يُعرف طرفاها. وإن لم تكن استدارته استدارة كُريَّة، ولكنّها استدارة إحاطة، أو كالإحاطة.

وقد زعم بعضهم أن أُمّهات الجبال جبلان: خرج أحدهما من لدن البحر المحيط فى المغرب، وأخذ جنوبا؛ وخرج الآخر من لدن البحر الروميّ وأخذ شمالا؛ حتّى تلاقيا عند السدّ. وسمَّوا الجنوبيَّ قاف، وسمَّوا الشماليَّ جبل قاقونا. والأظهر «والله أعلم» أنه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة الأرض، وأنّه هو الذى تصدق عليه التسمية بجبل قاف فى كل قطر ومكان؛ ولا يُعرف فى الجنوب إلاّ بهذه التسمية، ويُعرف فى الشمال بجبل قاقونا. وبهذا تزول شبهة من ضنَّ أنّ كلاًّ منهما غير الآخر. والله أعلم.

فالربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن، وهو الربع الشرقيّ الآخذ إلى الجنوب.

وبه من الجبال فى جزر القُمْر العظمى من المعمور الخارج عن خط الاستواء: جبل يعرف بجبل قدم آدم، يقال: إنّ آدم u أُهبط عليه. وهو جنوبيّ جزيرة سَرَنْديب.

والربع الثانى

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربيّ الآخذ إلى الجنوب.

به من الجبال تحت الأمّ الخارجة من شعبتى البحر المشبهة بتفصيل السراويل المقدّمة الذكر، ثلاثة جبال:

الأول: منها وهو الشرقيّ جبل آخذ عن الأُمّ على جانب فرجة بينهما، ممتدًا إلى خط الاستواء حتّى وقع عليه وينقطع عنده. وتقع مدينة لقمرانة فى ذيله على شرقيه، وبوشة فى ذيله على غربيه.

ويليه «الثانى«على غربيه وهو جبل آخذ إلى مدينة نسويه. وينقطع هناك.

ويليه «الثالث«على غربيه وهو جبل يعرف بجبل حاقولى. ذكر صاحب جغرافيا فى لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين. يأخذ على شرقيّ النيل حتى ينتهى إلى مدينة فرقوة حيث آخر خرجة البحر الهنديّ.

والربع الثالث

الغربيّ الآخذ إلى الشمال

به من الجبال جبل آخر فى جزيرة الأندلس، فى جنوبيّها من البحر الشاميّ من أشبيليّة إلى بَطَلْيَوْس، وانصبَّ منه نهران: أخذ أحدهما على أشبيليّة مارّا بينها وبين مالقة حتى صبَّ فى البحر الشاميّ، والثانى منهما أخذ على البيرة وصبَّ فى البحر المحيط.

والربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، هو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها.

به من الجبال، جبل منقطع ما بين جبال السند وبين بوار. وشماليّ القموج يجرى نهر مُكْران حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك.

ومن ذلك جبل ينزل به غُرْغُر النار. به باب الصين.

فأما الجبل الممتدّ على الشام

فإن أوّله بالمشرق من الصين بالبحر المحيط. فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتى فرغانة إلى جبال البُتم الممتدّ بها نهر السُّغْد إلى أن يصل الجبل لإلى جيحون فينقطع، ويمضى فى وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِع ثُمَّ«وصِلَ«فى وسطه. ويستمرّ الجبل إلى الجوْزان ويأخذ على الطَّالَقَان إلى أعمال مَرْوِ الرُّوذ إلى طُوس.

فأمّا جبال مكّة

فأعظمها وأحقها بالتقديم وإن بَعُدَ عن مكة مكانا جبل عرفات، موقف الحجيج الأعظم، وركن الحج الأكبر.

ومنها **جبل أبى قُبَيس** ولونه أدكن إلى البياض قليلا، وإنما قيل له أبو قُبَيْس لأن الحجر الأسود اقْتُبس منهً وقيل هو اسم رجل من مذحج كان يُكَنَّى أبا قيس عُرً ف به لأنه أول من بنى فيه.

وجبل الخندمة وهو أعلى أبى قبيس من ناحية المشرق. وهو جبل أحمر محجّر. فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلّقة.

وجبل قُعَيْقِعَان وهو يقابل أبا قُبَيْس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقيّ والميزاب. وهو حدّ أخشبَيْ مكة.

وجبل أجياد إنما سمى بأجياد لأن الله تعالى لمّا أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل: «إنِّى مُعطيك كنزا من كنوزى، لم أعطه أحد من قبلك. فاخرج فناد بالكنز، يُأتِكَ«. قال: فخرج إسماعيل «وما يدرى ذلك الكنز ولا يدرى كيف الدعاء به«حتَّى أتى أجياد.

وشامة وطُفَيْل تحت الثَّنيَّة السفلى غربيّ ذى طُوى.

ومن ناحية الشرق فى طريق مِنى جبل ثبير. وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة فى عَطَف وادى إبراهيم«عليه السلام«من يسار المارّ إلى مِنى.

جبل حِرَاء وهو على يسار المارّ إلى مِنى أيضا. وهو الجبل الذى كان حُبِّب إلى رسول الله ﷺ الخَلوة فيه.

جبل ثور ليس فى جبال مكة أعلى منه ولا أوعر. وهو خلف مكة على طريق مكة. يسمَّى ثور أطحل.

جبال المدينة

وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأشهرها:

جبل أُحُد وهو جبل أحمر أعلاه دَكْدكٌ. بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلا فى شمالّيّ المدينة.

جبل سَلْع وهما أشهر الجبال هناك. وجبل ثور وغلط فيه بعضهم. وجبل عير والحرم ما بينه وبين أُحُد.

الأنهار المعروفة

فالربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقيّ الآخذ إلى الجنوب. وبه من الأنهار ما يُذكر.

فمن ذلك فى جزيرة القمر العظمى ثلاثة أنهار: شرقيُّها آخذ من قنطورا ومعلا.

ويليه ثانيها فى غربيِّه ينصبّ من جبل قدم آدم على مدينة سيابا، ويأخذ مارّا إلى مدينة قزدرا. ويبحر هناك بحيرة فى جنوبيها مدينة كيماما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس.

ويليها ثالثها فى غربيّه، ويخرج من الجبل المُشبه بياء محذوفة الذيل. يُطَوِّق بمدينة دَهْمِى.

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربيّ الآخذ إلى الجنوب وبه نهر ينصبّ من جبل

قاف، مارّا فى الشمال إلى خط الاستواءِ حتّى ينصبّ فى البحر الهنديّ شرقيّ قبَّة أرِين ومن ذلك نهر ينصبّ من الجبل المار على غربيّ مدينة لقمرانية حتّى ينصبّ عند خط الاستواء فى البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر النيل، وهو النهر الأعظم الذى لا يعدله فى عظيم نفعه شيء: لعظم ما عليه من البلاد وطوله فى الأمم. وهو ينصبّ من جبل القُمر.

والربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربيّ الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار: فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيليّة، ينصبّ من الجبل الفاصل بينها وبين قرطبة، وينصب فى البحر الشاميّ. وهو من أحسن الأنهار وأجلّها، محفوف بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه«أيام مُلك المسلمين لها«أوقات مسرّة ولهو.

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل الفاصل بين طُلَيْطِلَة ووادى آش، المبنيّ بسفحه الجنوبيّ قبة الزُّهَرَة. يأخذ الأوّل منهما جنوبا إلى قُرطبة، وينصب فى البحر الروميّ. ويأخذ الثانى شمالا بين بَطَلْيُوسَ وقُورَةَ، ويصب فى البحر المحيط.

ومن ذلك نهر الفرات يصبّ من جبال الروم ويأخذ على ملطيَّة، إلى سُمَيْساط، إلى الرَّقّة، إلى قرقيسيا، إلى الرحبة إلى الدلية، إلى عانة، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر المَلِك، ونهر صورا، ونهر الصَّراة.

الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرقيّ الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكر من أنهار: فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبّه بصليب ذهب أحد شعبه.

ينصب أحدهما من جنوبيّ هذا الجبل واقعا شرقيّ مدينة طغان الواقعة فى شمال هذا الجبل بغرب. يمرّ بين طغان وتركستان مغتربا، حتّى يصب فى بحيرة خِلاَط.

والنهر الثانى منهما ينصبّ من شرقيّ هذا النهر الأوّل وعلى سمته يمتدّ بنهر، ثم يتشعّب على شعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شماليّ مدينة طغورا مشرِّقا على قصر

الدَّهال المقارب لبلاد كنغد، ثم ينعطف آخذا إلى الجنوب يشق بلاد الهند حتّى يصب فى البحر الهنديّ، شرقيّ كوام. والشعبة الثانية منهما تأتى جنوبيّ الأرض المحفورة، على ما قيل، حتّى تصب فى البحيرة البلاّعة.

ومن ذلك نهر جيحون. ينزل من جبل قاقونا. وتمدّه أنهار من جبال تمدّه فيمتدّ حتى يخرج من هذا الربع إلى الربع الغربيّ القسيم له. فيصب فى بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر سيحون. الآخذ على بلاد فرغانة ويمده نهر الشاش ويخرج إلى حائط عبد الله بن حميد حتّى يصب فى بحر طبرستان.

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما فى معمورة الأرض من البحيرات المشهورة. ونحن نقسمها على البحيرات المشهورة نصفين:نصفا شرقيا ونصفا غربيا.

فالنصف الأول هو الشرقيّ فيه ما يذكر من البحيرات: فمن ذلك بحيرة كيماما. بجزيرة القُمر الخارجة عن خط الاستواء. وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين. وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة سَرَنْك بالهند. وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة، شرقى قراقرم بالشمال. وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة بخارا. وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة خوارزم. وهى ملح.

ومن ذلك بحيرة تهامة. يصب بها نهر اتكش فى بلاد الترك.

ومن ذلك بحيرة زَرَة ببلاد سجستان. وهى ملح.

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا. وهى عذبة. ولم ننبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنُعلِم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعمهما.

فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام؛ ومسجد النبى ﷺ؛ والمسجد الأقصى.

وهى التى تُشدّ إليها الرحال، وتُجِدّ إليها الركائب التَّرحال، تسرى إليها سُرى السحائب فى المحال، وتسمو والكواكب غَرْقى سُمُوَّ حَباب الماء حالا على حال.

روى أبو سعيد الخُدريّ عن النبيّ «ﷺ» أنه قال: لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدى،ومسجد بيت المقدس. رواه الإمام أحمد.

ذكر الكعبة

البيت الحرام. أوّل بيت وُضِع للناس، ورُفع على قديم الأساس. بُنى مثالا للبيت المعمور، ودُعِى إليه كل مأمور. وأذّن إبراهيم«صلوات الله عليه«إليه بالحجّ؛ ودعا إليه الناس فأتوه من كل فجّ. حَجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقادم. ويقال إنه لم يبق نبيّ حتى حجَّه. ويعدّ عدة أنبياء دُفنوا فى الحِجرِ منه. ولم تزل شعائره مكرّمة، ومشاعره محرّمة. عُظِّم فى الجاهليّة والإسلام، وحُرِّم من حيث بُنِيَت الأعلام { وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوب}، وهى البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزيارة قصد الوجوب. وبه الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى أرضه، والشاهد لمن حجّ وقبّله بأداء فرضه. سماء الدعاء، وحَرَمُ تحريم الدماء. يأمن به الحَمام ساكنا، ومن دَخَلَه كان آمِنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٍ بيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

وعن أبى ذرّ الغفاريّ قال: قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وضع فى الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاريّ، وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد.

قال ابن جرير الطبريّ: اختلف أهل التأويل فى قوله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْنَّاسِ} فقال بعضهم: تأويله «إن أوّل بيت وُضع للناس يُعبد الله فيه مباركا وهدى

للعالمين للَّذى ببكَّة». قالوا: وليس هو أوّل بيت وضع فى الأرض. لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن عليّ بن أبى طالب والحسن ومَطَر وسعيد «وأظنه ابن جُبير» ثم قال: وقال آخرون بل هو أوّل بيت وضع للناس. واختلف هؤلاء فى صفة وضعه أوَّل. فقال بعضهم: خلقه قبل الأرض، ثم دُحيت الأرض من تحته. وأُسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفى سنة، وكان عرشه على الماء على زَبَدة بيضاء، فدُحيت الأرض من تحته. ونحوه عن مجاهد وقتادة والسُّدِّى. وقال آخرون: موضع الكعبة موضع أوّل بيت وضعه الله فى الأرض. وأُسند عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن البيت هبط مع آدم. وحين أُهبط قال الله: أُهبِطُ معك بيتى يُطاف به كما يُطاف حول عرشى. فطاف حوله دم ومن كان بعده من المؤمنين. حتّى إذا كان زمن الطوفان، رفعه الله وطهّره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض. فصار معمورا فى السماء. ثم إن إبراهيم تتبع من أثرا بعد ذلك، فبناه على أساس قديم كان قبله. وقوله تعالى (لَلَّذى بِبَكَّةَ) يعنى للبيت الذى ببكّة. قال الزمخشريّ: وهو عَلَم للبلد الحرام. ومكّة وبكّة لغتان. وقيل: مكّة البلد، وبكّة موضع المسجد. وقيل: بكّة موضع البيت، ومكّة ما حوله. وقيل: بكّة البيت والمسجد، ومكّة الحرم كلُّه.

وأما صفة المسجد الحرام المحيط بالكعبة

فنقول: قد ذكر الأزرقيّ والماورديّ والسُّهيليّ وغيرهم، وفى كلام بعضهم زيادة على بعض: كان المسجد الحرام، أعنى المحيط بالكعبة فناء لها وفضاء للطائفين. ولم يكن له على عهد رسول الله«ﷺ» وأبى بكر جدار يحيط به. فضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها. وكانت الدور مُحْدِقة بالكعبة. وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية.

فلما استُخلف عمر، وكثر الناس، قال: «لابدَّ لبيت الله من فناء! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم». فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها فى المسجد، واتخذ للمسجد جدارا قصيرا، دون القامة. وكانت القناديل توضع عليه. وكان عمر أوّل من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

ثم لما استُخلِف عثمان، ابتاع منازل ووسعه بها. وبنى الأروقة للمسجد، فيما ذكر الأزرقيّ والماورديّ وغيرهما.

ثم إن ابن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة. واشترى دورا، من جملتها بعض دار الأزرق، اشترى ذلك البعض ببضعة عشرة ألف دينار. وجعل فيها عُمُدا من الرُّخام.

ثم عمره عبد الملك بن مروان؛ ولم يزد فيه، لكن رفع جداره، وجلب إليه السوارى فى البحر إلى جُدَّة؛ وسقفه بالساج. وعمَّره عمارة حسنة.

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُّخام.

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهديّ مرتين إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها تُوفيَّ المهديّ، واستقر بناؤه إلى الآن.

الصفا والمروة

أما الصفا فحجر أزرق عظيم فى أصل جبل أبى قُبَيْس، قد كُسر بدرج إلى آخر موضع الوقوف. وأكثر ما ينتهى الناس منها إلى اثنتى عشرة درجة أو نحوها.

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُعَيْقِعَان. كأنه قد انقسم على جزأين، وبقيت بينهما فرجة، يبين منهما درج عليها إلى آخر الوقوف.

دار النَّدْوة

قال الكلبيّ:«وكانت أوّل دار بنيت بمكة، ثم تتابع الناس فبنوا الدور. كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوّة وكثرة عدد، حتّى دانت لهم العرب».

قال الماورديّ: صارت بعد قصيّ لابنه عبد الدار. فابتاعها معاوية فى الإسلام من عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ، وجعلها دار الإمارة.

وروى الأزرقيّ أن معاوية اشتراها لما حجّ، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.

مِنًى

وهى بطحاء بين جبلين، مهدَّفة الجوانب، فيها مجتمع الحجيج. والمُحَصَّب منها موضع وهى على مدرجة السوق الأعظم، حيث ينصب كل سنة، أيام الموسم، يجتمع فيه الخليطان من شام ويَمَن، وتنزل الركوب به فى منازلهم: من شرف الوادى إلى حيث تُنحر البَدَنات تحت العقبة الأولى حيث تنصب سقايات الحاجّ.

أنصاب الحَرَم

هى العلامات المبنية على حدود الحرم.

وأوّل من بناها إبراهيم صلوات الله عليه، وأشار له جبريل إلى مواضعها. هكذا ذكره أبو عروبة والأزرقيّ وغيرهما.

وروى الأزرقيّ أن النبى«ﷺ» أمر بتجديد العلامات التى على الحرم، التى عملها إبراهيم، وجبريل يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية، وهذه العلامات بيّنة إلى الآن بحمد الله تعالى.

عَرَفات

مُلتقى الخليطين من شام ويَمَن، ومجمع البحرين من الزعقة إلى عَدَن. وبه يتجلّى الله على عباده، ويهبهم المغفرة. وبها الصخرات، موقف رسول الله«ﷺ» حيث تقف المحامل.

مسجد نَمِرة

ويسمّى مسجد إبراهيم، يقال: إن إبراهيم الخليل u بناه، ولا يصحّ هذا، وهو على يمين السالك من مكة إلى عرفات، قريب الطريق، مدانيا لعرفة، وعادة الخطابة به فى وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكّة المعظمة، وجُدُره قائمة، وكذلك مِنبره، ولا سقف له.

مسجد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هو بالتنعيم فى الحِلّ، عند أوّل الحرم. ولا يحضرنى من بناه. وكل مسجد هناك يسمّى

بهذا. وأشهرها المُصاقِب للطريق على يسار الداخل إلى مكة. وإنما نُسب إلى عائشة لكونها اعتمرت من التنعيم. ولعلَّها احترمت فى البقعة التى بُنى بها المسجد. وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وسمّى بذلك لمكان قبرها، وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودُفن مُحْرِما، على ما هو مذكور فى موضعه.

وميمونة هى بنت الحارث، إحدى أزواج رسول الله ﷺ، وكانت أُختها أُمّ عبد الله بن العبّاس.

المواقيت

فأما ذو الحُليفة فهو أبعد المواقيت، على عشر مراحل من مكّة، أو سبع منها، وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام، ومنها يُحرِم الآن الركب الشاميُّ، وبها آبار تسمّى آبار عليّ. وبعض الناس يقولون بئر المحرم.

والجُحفة موضع على ثلاث مراحل من مكة. «وهى بضم الجيم وسكون الحاء المهملة بعد الجيم».

وقَرْن المنازل«بفتح القاف وسكون الراء»، موضع على مرحلتين من مكة.

ويلملم«ويقال ألملم بالهمزة عوضا عن الياء»، موضع معروف على مرحلتين من مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

المسجد النبويّ

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه، وبجانبه حجرته المعظمة، التى ضمت أعظمه، ولله القائل:

يا خيرَ من دُفنت فى القاع أعظُمُه فطاب من طيبهنّ القاعُ والأكَمُ

نفسى الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنه فيه العَفَاف وفيه الجُود والكرمُ

قال أنس: «قدم رسول الله ﷺ فنزل فى علوّ المدينة، فى حيّ يقال لهم بنوا عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم إنه أرسل إلى ملإ بنى النجّار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم. فكأنى أنظر إلى رسول الله «ﷺ» على راحلته، وأبو بكر ردفه، وملأُ بنى النجار حوله حتّى ألقى بفناء أبى أيوب». قال: «وكان يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلى فى مرابض الغنم».

ثم إنه أُمِر بالمسجد. فأرسل إلى ملإ بنى النجار، فجاؤوا. فقال: يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله! ما نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى.

قال أنس: وكان فيه نخل، وقبور المشركين، وخَرِب. فأمر النبيّ «ﷺ» بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنُبشت، وبالخِرَب فسُوّيت. قال: فصفوا النخل قبلة، وجعلوا عُضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله، «ﷺ» معهم، وهم يقولون:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجره

قال السُّهيليّ: بُنى مسجد رسول الله «ﷺ» وسُقف بالجريد وجُعلت قبلته من اللَّبِن. ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض، وحيطانه باللَّبِن، وجُعلت عمده من جذوع النخل. فنخِرت فى خلافة عمر، فجدّدها.

بيوت النبيّ ﷺ

قال السُّهيليّ: كانت بيوت النبيّ «ﷺ» تسعة: بعضها من جريد مطيَّن بالطين وسقفها من جريد؛ وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: «لم يبلغنا أنه«ﷺ» بنى له تسعة أبيات، حين بُنِيَ المسجد. ولا أحسبه فعل ذلك. إنما كان يريد بيتا حينئذ لسَوْدَةَ، أُمّ المؤمنين. ثم لم يحتج إلى بيت آخر، حتّى بنى لعائشة فى شوّال سنة اثنتين. وكأنه «ﷺ» بناها فى أوقات مختلفة. والله أعلم».

مسجد قُبَاء

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أسَّسه لبنى عمرو بن عوف. ثم انتقل إلى المدينة.

وذكر ابن أبى خَيثَمة أن رسول الله «ﷺ» حين أسسه، كان هو أول من وضع حجرا فى قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبى بكر. ثم أخذ الناس بالبنيان.

قال السُّهيليّ: وهذا أوّل مسجد بُنى فى الإسلام؛ وفى أهله نزلت: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} فهو على هذا المسجد الذى {أُسِّسَ عَلَى التَّقوى}، وإن كان قد روى أبو سعيد الخُدريّ أن رسول الله r سئل عن المسجد الذى {أُسِّس على التقوى} فقال: هو مسجدى هذا. وفى رواية أخرى قال: وفى الأرض خير كثير. وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْم أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} ما الطهور الذى أثنى الله به عليكم؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة. فقال: هو ذاكم، فعليكموه.

قال السُّهيليّ: ليس بين الحديثين تعارض. كلاهما أسس على التقوى. غير أن قوله سبحانه {من أوّل يوم} يقتضى مسجد قُباء، لأن تأسيسه كان فى أوّل يوم من حلول النبيّ r دار هجرته والبلد الذى هم مُهَاجَرُه.

مساجد المدينة

قال السُّهَيْليّ: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبيّ r وكلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، فيما روى عنه أبو داود فى مراسيله، والدارقطنيّ فى سننه.

بقيع الغرقد

وهو مدفن أهل المدينة المنورة. وفيه تَدافُن أكثر أهل المدينة.

المسجد الأقصى

معْهَد الأنبياء، ومتعهِّد الأولياء، وثانى البيت الحرام فِى البناء، وأوّل القبلتين حال الابتداء. شَيَّدَتْ ملوك بنى إسرائيل معاهدَه، وشدّت بقباب البروج معاقدَه؛ ثم تدارك بنو أُميّة ذَماءه، وصفَّحوا أرضه وسماءه؛ وهذا هو على ما هو عليه من حمل

الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدّسة المعراج، حيث عرج بخاتم الأنبياء «ﷺ» من حضرة القدس، وبسط له بساط الأنس؛ ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل إليه مَلَك مقرّب ولا نبيّ كريم؛ وقد أمَّ فى ذلك المسجد بالنبيين، وصعد منه إلى أعلى عليين. وإلى صفيح تلك البقعة المحشر، وإنها يوم القيامة المَنْشر. والصخرة بها عرش الله الأدنى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهى التى تزف إليها عروس الكعبة زفا، وتُقسم الناس لشقاوة وزلفى، سره المسجد الأقصى، وقلب الفضائل التى لا تحصى.

وقد تقدّم حديث أبى ذرّ: «أوّل مسجد وُضع، المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى، وبينهما أربعون عاما».

قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

روى الحافظ أبو القاسم مكّيّ بن عبد السلام بن الحسين الرُميليّ المقدسيّ بسنده إلى كعب الأحبار، قال: أوّل من مات ودُفن بِحِبرى سارة وذلك إن إبراهيم خرج لما ماتت، يطلب موضعا يقبرها فيه. فقدم على صفوان، وكان على دينه. وكان مسكنه وناحيته حَبْرى. فاشترى منه الموضع بخمسين درهما. وكان درهم ذلك العصر خمسة دراهم. فدُفنت سارة فيه. ثم توفِّى إبراهيم فدُفن لصيقها. ثم توفِّيت ربْقَة زوجة إسحاق فدُفنت فيه. ثم توفى إسحاق فدُفن لزيقها. ثم توفِّى يعقوب فدُفن فى الموضع. ثم توفِّيت زوجته ليقى فدُفنت معه.

فأقام ذلك الموضع على ذلك إلى زمان سليمان. فلما بعثه الله، أوحى إليه أن ابنِ على قبر خليلى حَيْرا حتّى يكون لمن يأتى بعدك، لكى يُعرَف.

فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس، حتّى قدم أرض كنعان. فطاف فلم يصبه. فرجع إلى بيت المقدس. فأوحى الله إليه: يا سليمان، خالفتَ أمري! قال: يا ربِّ، قد غاب عنى الموضع. فأوحى الله إليه: امض فإنك ترى نورا من السماء إلى الأرض، فهو موضع قبر خليلى. فخرج سليمان ثانيا، فنظر فأمر الجنَّ فبنوا على الموضع الذى يُقال له الرامة. فأوحى الله إليه: إن هذا ليس هو الموضع، ولكن إذا رأيت النور قد التزق

بأعنان السماء. فخرج سليمان فنظر إلى النور قد التزق بأعنان السماء إلى الأرض. فبنى عليه الحَيْر.

قبر يُونس بن متّى عليه السلام

بقرية حلحول على يسار الذاهب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام. ويعرّج الزائر إليه. وعليه بناء وقُبّة. وله خادم.

قبر موسى بن عمران عليه السلام

بالقرب من أَرِيحاء، وتعرف القرية بِشَيحان.

مسجد دمشق

مسجدٌ عظيم، ومعبد قديم. لا يعرف على الحقيقة بانية ولا زمن بنائه. فتح المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يتعبَّد فيها زمن الرُّوم. وقد كان بعدهم معبدا لأمم مختلفة. وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم وأنهم بَنَوْهُ فيما بنوه من الهياكل السبعة التى اتخذوها للكواكب السبعة. جعلوا بيتا للمشترى. قالوا ولهذا استمر التعبدُّ فيه إن كان المشترى طالع الديانات والتألُّة. هذا ما زعموه.

مقام إبراهيم بِبَرْزة

روى مكحول عن ابن عباس، قال: وُلِدَ إبراهيم بغُوطة دمشق فى قرية يُقال لها بَرْزَة، بجبل قاسِيُون.

مغارة الدم

قال أبو زُرعة الدمشقى: سألت أبا مُسْهِر عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحمرة، موضع الحوائج. يعنى بذلك الدعاء فيها والصلاة.

مقام عيسى بالربوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعيّ عن حسّان بن عطية أن ملكا من بنى إسرائيل حضره الموت، وأوصى بالمُلك لرجل حتّى يُدرك ابنه. وكانوا

يؤمِّلون أن يُدرك ابنه فيُملِّكوه. قال: فمات فجزعوا عليه. فلما خرجوا بجنازته، وفيهم عيسى ابن مريم، دنا من أمّه فقال: أرأيتِ إن أنا أحييتُ لكِ ابنك، أتؤمنين بى وتتبعيني؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلت أكفانه تتحلَّل عنه. حتّى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتى انتهى إلى شِعب النيرب. فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم فى دنياهم ولا شبر من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقيت نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القدس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟ «فقال: يا غويّ، الطويل الغواية! إنى واجد فيما علمنى ربّى،عز وجل، أنى لا أُجرِّب ربّى حتّى أعلم أراض عنى أم ساخط عليّ» فأقبلت أمُّ الغلام، فقالت: يا معشر بنى إسرائيل! كنتم تبكون وتشقُّون ثيابكم جزعا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرينا به؟ قالت: إيتوه فآمنوا به. فأتوه فقالوا: خصلة بيننا وبينك! إن أنت فعلتها، اتبعناك. قال: وما هي؟ قالوا: تحيى لنا عُزَيرا. قال: دلُّونى على قبره. فنزل عيسى معهم حتّى انتهوا به إلى قبره. قال: فتوضأ وصلّى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفرّج عنه التراب. فخرج قد ابيضّ نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يابن مريم! قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لى ولا يتّبعونى حتّى أُحييك لهم. وهذا فى هدى قومك يسير. قال: فأقبل عليهم يعضهم ويأمرهم باتّباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيضّ؟ قال: سمعت الصيحة، فظننت أنها دعوة الداعية، حتّى أدركنى ملك، قال: إنما هى دعوة ابن مريم. فانتهى الشيب إلى ما ترى.

واختلف أهل التفسير فى تعيينها.

الكهف بقاسيون

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق: ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن المُعَلِّمين أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وبالله ربى أعتصم من الكذب، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانى. رأيت جبريل عليه السلام فى النوم. فقال لى: إن الله يأمرك أن تبنى مسجدا يُصلَّى فيه ويذكر اسمه؛ وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟

فسار إلى هذا الموضع الذى سميته أنا: كهف جبريل. وقلت: أنَّى لى بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد عظيم بمدينة الفسطاط. بناه عمرو بن العاص، موضع فسطاطه وما جاوره. وموضع فسطاطه منه، حيث المحراض والمنبر، وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلَّوْا فيه.

ولا يخلو من سكن الصلحاء. معمور الأوقات بالذكر. وبعقب صلاة الصبح فيه أوقات مشهودة ومواسم خير لا تعدُّ.

مسجد قرطبة

مسجدٌ عظيمٌ ليس فى مساجد المسلمين مثله بِنية وتنميقا، وطولا وعرضا، وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعا، ونصفه مُسَقَّف، ونصفه صحن للهواء.

وعدد قسيّ مسقَّفة تسعة عشر قوسا. وفيه من السوارى «أعنى سوارى مسقَّفة بين أعمدته وسوارى قبلته» صغارا وكبارا «مع سوارى القبة الكبرى وما فيها» ألف سارية.

بقية المزارات الأُخرى

وأما سائر المزارات فكثيرة جدا: لا تدخل تحت الحصر، لولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكره فى هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، على ما يغلب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس فى نسبة أماكن لا حقيقة لها. والله أعلم! فمن ذلك: قبر مالك بن الأشتر النخعيّ. قيل إنه على باب المدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

قبر حفصة، زوجَ النبى ﷺ، قيل: إنه ببعلبك. والصحيح أنها أمّ حفص، أخت معاذ ابن جبل. فإن حفصة ماتت بالمدينة.

دير إلياس النبيّ عليه السلام، ويقال: إنه كان محبوسا «فيه».

مشهد إبراهيم عليه السلام بقلعة بعلبك. جدّد بناءه الملك الأشرف موسى.

قبر أسباط، ببعلبك.

قبر نوح عليه السلام بقرية تعرف بالكَرَك، من أعمال بعلبك.

قبر شيت، بقرية تعرف بشَرْعِين بالقرب من كَرَك نوح. وقبر إلياس النبيّ بقربه.

البيوت المعظمة عند الأمم

الأبيات السبعة التى كان إليها حجُّهم:

أوّلها: البيت الحرام، كان يأتيه منهم من يتقرّب بزُحَل.

قلتُ: وإن صحَّ قولهم من قصد هؤلاء البيت الحرام من تعظيم، فلا عجيب. فإنه ما زال معظما فى الإسلام وقبل الإسلام، تحجُّ إليه طوائف الأمم فى كلِّ الأوقات، زاده الله إبقاء وأدامه، ووصل شرفه بيوم القيامة.

وثانيها: بيت فارس، على رأس جبل أصفهان. وبينهما ثلاثة فراسخ.

وثالثها: بيت مندرسان، ببلاد الهند. كان يأتيه منهم من يتقرَّب بالمرّيخ.

ورابعها: بيت كاوسان، بناه كاوس الملك، بمدينة فرغانة. كان يأتيه منهم من يتقرّب إلى الشّمس.

وخامسها: بيت غُمْدَان، بناه الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم من يتقرّب بالزُّهرة.

وسادسهم: بيت بأعلى بلاد الصين. بناه ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح. يأتيه منهم «من «يتقرّب لعطارد خاصة، ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامة. وهو سبع أبيات، فى كل بيت سبع كوى، يقابل كلَّ كوَّة صورة على صورة كوكب من الخمسة والعشرين. ولهم فيها أسرار بزعمهم.

وسابعها: بيت النُّوبَهار. بناه متوشر الهنديّ بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصابئة من يتقرَّب بالقمر.

البيوت والهياكل المعظمة عند اليونانيين

وأما بيوت اليونان فهى ثلاثة هياكل، وهى مشهورة فى العالم:

أوّلها: بيت بانطاكية، داخل مدينتها، على يسرة المسجد الجامع. وخربه المسلمون. ولما أتى ثابت بن قرّة بن زكريا الحرانيّ مع المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين، أتى هذا الهيكل وعظَّمه.

وثانيها: هو الهرم الذى على بُعد من الفسطاط.

وثالثها: بيت المقدس، كان قد شُرع فى بنائه، ثم شرع داود عليه السلام.

هياكل الصقالبة

وأما بيوت الصَّقلب فهى بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات استرقَّت عقولهم.

فأولها: بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات. قال البكريّ: وهذا البيت على الجبل الذى كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم. «قلت: لعله يكون على الجبل المستدير وهو المسمَّى فى إلشمال بجبال قاقونا».

وثانيها: على الجبل الأسود. تحيط به حبال عجيبة، ذوات طعوم مختلفة. وفيه صنم كبير، على صورة رجل شيخ، بيده عصا يُحرّك به عظام الموتى. وتحت رجله اليسرى غرابيب سود من صور الغُدَاف وغيرها.

وثالثها: يحيط به خليج من البحر، فى وسطه قبة عظيمة، بها صنم على صورة جارية.

هياكل الصابئة

وأما ما كان للصابئة. فكان لهم هياكل تسمى بأسماء، وهى: هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس. مستديرات الأشكال.

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع، وكانت لهم فيها دُخَن وقرابين يطول وصفها.

بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأوّل من ذكرها أفريدون. قال: لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية. وبالنور صلاح العالم. لأنها عندهم أصل كل حيّ ومبدأ كل تمام. لأنها تجذب الحيوان إليها كالفراش الطائر بالليل، وما يصاد بالليل بالسُّرُج من الوحش والطير والسمك كما يُصاد فى البصرة بإيقاد السُّرج فى الزواريق، فيطلع السمك من الماء حتّى يقع فى الزواريق. ويبطل أقوال المجوس فى اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار، فإذا رأى النّار ظنّه فُرجة إلى النهار، فقصده.

الديارات والحانات

فمنها **دير الكَلَب** وهو قرب مَعْلَثَايا، فى سفح جبل. والماء ينحدر عليه وقلالِيُّهُ مبيّنة بعضها فوق بعض، فى صعود الجبل. فمنظرها أحسن منظر. وينبوعه ينصبّ عليه من أعلاه.

دير أُبون وهو دير بين الجزيرة وثمانين. وهو دير جليل عند النصارى، وبه جماعة من الرهبان. ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام؛ وقد تقدَّم ما ذكرناه فى أمر قبره بكَرَك البقاع. والله أعلم أيّ بقعة ضمّته.

دير الزعفران وهو بالقرب من مَعْلَثايا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسينية. وهو فى لِحْفِ جبل تطلُّ عليه قلعة أَرْدَمُشت. وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها، وهو كثير الرهبان والقلاليّ. ولرهبانه يَسار ونَعَم ومزارع وبساتين.

دير قُنى وهو ببغداد والمداين.

ودير العاقُول أسفل منها باثنى عشر فرسخا. وإلى جانبه قرية كبيرة. أخرجت عدّة من الكتاب والوزراء. وهو حسن البناء، راكب على دجلة.

دير العَذَارى وهو بين سُرَّ من رأى وبغداد، بجانب العلث على دجلة، فى موضع

حسن. فيه رواهب عذارى. وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات، ولا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جواريَ حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ.

دير الباعوث: وهو على شاطئ الفرات، من جانبها الغربيّ. فى موضع نزه. وكانت العمارة قليلة حوله. وله خفراء من الأعراب. وله مزارع ومباقل وجُنينات. وفيه هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحسن، يقال أن لها مئين سنين، لم تتغير أصباغها، ولا حالت ألوانها.

دير السوسيّ: وهو فى الجانب الغربيّ بسُرَّ من رأى. ومنه أرضها. فابتاعها المعتصم من أهله.

دير عبدون: وهو بسُرَّ مَن رَأى إلى جانب المطيرة. قال: وسُمِّيَ دير عبدون لكثرة إلمام عبدون «أخى صاعد بن مخلد» به.

دَير زَكّى وهو قريب البليخ والفرات. فى أنزه البقاع، بين بساتين وأنهار وقلال وضياع.

دير القائم الأقصى وهو على شاطئ الفرات من جانبه الغربيّ فى طريق الرَّقَّة قال أبو الفرج: وقد رأيته وهو مَرْقب من المراقب التى كانت بين الروم والفرس، على أطراف الحدود.

دير ماسَرجَس قال أبو الفرج: لم يذكر أيّ دياراته؟ وله عدّة ديارات. منها دير بازاء البركان، فى ظهر قرية يقال لها كاذة.

دير الروم وهو بأرض بغداد.

دير الزَّنْدَوَرْد وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد. وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج وأعناب، وعنبها من أجود ما يُعتصر هناك.

دير دُومَالِس وهو فى باب الشماسيَّة. شرقيّ دجلة.

دَير سَمَالُو وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد. على نهر المهديّ. وهناك أرحية للماء وحوله بساتين وأشجار ونخل. آهل بمن يطرقه من أهل الخلاعة، وفى عيد الفصح لا يبقى أحد من النصارى ببغداد، حتّى يأتى إليه.

دير الثعالب وهو فى الجانب الغربيّ من بغداد، بباب الجديد. وهو بمكان متنزَّه لا يخلو من قاصد وطارق. ولا يتخلّف أحد من النصارى عن عيده. فمواطنه معمورة، وبِقاعه مشهورة.

دير مديان وهو على نهر كرخايا ببغداد. وكرخايا نهر يشقُّ من المحوّل الكبير ويمرّ على العبّاسية، ويشقُّ الكرخ، ويصبُّ فى دجلة.

دير أَشمُونى وأشمونى امرأة بُنى الدير باسمها ودُفنت فيه. وهو بُقْطُرُ بُلَّ.

دير سابُر وهو فى الجانب الغربيّ من دجلة، بين المزرفة والصالحيّة، فى بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمّارين، معمورة بأهل الطرب، والدير حسن عامر.

دير قُوطا وهو بالبردان، على شاطئ دجلة.

دير جرجس وهو بالمرزفة، أحد الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة، ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد فى السُّمريات، لقربه وطيبه. وهو على شاطئ دجلة، والبساتين محدقة به، والحانات مجاورة له، وبه كل ما يحتاج إليه.

دير الخُوَات وهو بعكبرا. وهو دير كبير عامر. وأكثر سكانه نساء مترهِّبات. وعيده الأحد الأوّل من الصوم.

دير باشَهْرا وهو على شاطئ دجلة. نزه كثيرة البساتين، على طريق سرَّ مَنْ رأى، منزلة المصعد والمنحدر.

دير مرمار وهو بسَّر من رأى، وعند قنطرة وصيف. حوله كروم وشجر.

دير سرجيس وهو بِطيزَنَاباذَ بين الكوفة والقادسيَّة على حافة الطريق. وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر. وكان بهذا أحد البقاع المعمورة، ونُزَهِ الدنيا التى تبتهج بها القلوب المسرورة.

ديارات الأَساقف قال الشابشتيّ: هذه الديارات بالنجف، ظاهر الكوفة، فى أوّل الحيرة. وهى قباب وقصور، تسمى ديارات الأساقف، بحضرتها نهر يعرف بالغدير،

عن يمينه قصر أبى الخصيب، وعن شماله السَّدير. والديارات بين ذلك.

دير زُرَارة وهو بين الكوفة وحَمَّام أعْيَن، على يمين الحاجّ من بغداد. نزهٌ، كثير الحانات والشراب. لا يخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف.

عُمْر مرتومان وهو بالأنبار، على الفرات، وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلاّيات والرهبان. عليه سور محكم البنيان، كالحصن العظيم.

دير الأبلق وهو بالأهواز.

عُمْر إتراعيل والشاهد فيه مار ميخائيل. قال ابن المستوفى: بينه وبين كفر عزّى أقل من ميل. وهو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة، وله نهر يجرى على بابه وكرم وشجر فى شرقيه، ورحى عامرة تطحن فوق الكرم. وبإزائه تلٌّ دير زارج.

دير باقوقا ذكره ابن المستوفى فى تاريخ إربل، قال: وهو إلى الآن باق، وفيه رهبان كثيرة.

دير سعيد وهو بالجانب الغربيّ من الموصل. مطلٌّ على دجلة، حسن البناء. حوله قلال كثيرة، حسنة العمارة، ظاهرة النضارة. فى كلِّ قلاّية منها جنينات لرهبانه، فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر، كثير النرجس.

الدير الأعلى وهو بالموصل، فى أعلى جبل، يُطِلّ على دجلة. يضرب المثل به فى رقة الهواء، وحسن المستشرَف تحته، والجزائر تتفرق خُلجانها وغُدرانها بإزائه.

دير مار مخايل وهو على ميل من الموصل. يركب دجلة فى بقعة حسناء. يُطِلّ على كروم وشجر. برّيّ بحريّ، سُهليّ جبليّ. وبه قَلاَليّ كثيرة فى غاية الظَّرف، محفوفة بأنواع الشجر، وأصناف الزهر.

دير مَتَّى هو بالموصل. من الجانب الشرقيّ، على جبل شامخ. يعرف بجبل متّى. يُشرف على رستاق نينوى والمرج. وهو حسن البناء، جيد الحصانة.

دير الخنافس وهو دير صغير بالموصل، بالجانب الشرقيّ، على قُلّة جبل شامخ، يُشرف على أنهار نينوى وضياعها، وفيه طِلَّسْمٌ ظريف يجتمع له فى وقت من السنة

الخنافس الصغار اللواتى كالنمل، حتّى تسودُّ حيطانه وبيوته وسقوفه وأرضه، مدّة ثلاثة أيام. ثم لا توجد. ولهذا سُمّى دير الخنافس.

دير باعربا وهو بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة، من الجانب الغربيّ. بإزاء جزائر كثيرة الشجر، قلّما خلت من سبعُ، وهو جليل عند النصارى، وفيه قبور يعظمونها. وبناء عجيب، وارتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع، وما حوله بناء يسنده، وله مزارع، وفيه بيت ضيافة ينزله من يجتاز عليه.

دير القيّارة وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة الغربيّ نُسب إلى عين فيه ومعدن، يستخرج منه القير. تحته حمّة عظيمة. يقصده من به علة أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام، مستنقعا فى مائها، فيبرأ فى علته. ويشفى من النقرس ويبسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات.

دير بارقانا وهو فوق الحديثة، على جانب دجلة الشرقيّ، راكب للماء، فى موضع نزه حسن. وبناؤه محكم. وقلاليُّه كثيرة الشجر والزهر. وله بساتين ومباقل. ويقال إنه ليس فى سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه.

دير أبى يوسف وهو قريب من بلد. بينه وبينها نحو فرسخ. على شاطئ دجلة، وموضعه حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين.

دير الشياطين وهو بالقرب من أوسل «بلد على قطعة من الجبل على دجلة «فى موضع حسن، وهواؤه رقيق لطيف، وقلاليُّه عامرة كثيرة الأشجار، وأرضه كثيرة الرياض.

دير مرسرجس وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ، على قُلّة جبل عال. يبين للناظر عدّة فراسخ.

دير صُباعى وهو على شاطئ دجلة الشرقيّ، فوق تكريت بقليل. وهو كثير الرهبان، وله مزارع وجنينات، ولرهبانه يسار وغنى.

عُمْر الزعفران وهو على رأس جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة من جانب، وعلى طور عبدين وقردى وبعض دياركم من جانب آخر؛ وبه كثير من الزعفران.

دير باربيثا وهو بنينوى، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة، وله عند النصارى قدر جليل.

دير حنظلة وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق، وموضعه حسن، لما فيه من جنينات رهبانه وأشجارهم، وما يُلبسه الربيع من الرياض.

دير الجاثَلِيق وهو قديم البناء، غربيّ دجلة، فى عرض حربى. على الحدّ بين آخر السواد وبين أوّل أرض تكريت، وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزُّبير.

دير مَرْيُحَنَّا وهو إلى جانب تكريت، على دجلة، عامر بالقلاَّيات والرهبان، مطروق مقصود، منزل لكل مسافر، وفيه ضيافة قائمة على أقدار الناس، وله مزارع متسعة وغلات كثيرة، وهو للنَّسطورية.

عُمْر كسكر وهو أسفل من واسط، فى الجانب الشرقيّ، فى القرية المعروفة ببرخوى وفيه كرسيّ المطران، وهو عمر كبير، كثير القلايات يُبَايَع عليها، ويحيط به بساتين كثيرة وغلات واسعة.

دير الأسْكُوان ذكر مُصَنِّف ديارات الحيرة، أنه راكب للنجف. قال: وهو أنزه دياراتها، وفيه قلايّ وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم. وهو حصن منيع، له سور عال، وباب من حديد، ومنه يُهبط إلى غدير الحيرة.

دير عبد المسيح وهو بالحيرة. بناه عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلة، ويقال: إنه عمّر دهرا طويلا.

دير الحريق هو بالحيرة. بناه النعمان بن المنذر على ولد كان له، عُدِيَ عليه وأُحرق فيه، وإلى جانبه قبة تُعرف بقبة السُّنَّيْق، وقبة تعرف بقبة غُصَيْن، وهما راهبان نسبا إليهما، وهما بديعتا البناء.

دير ابن مزعوق وهو بالحيرة، قريب دير الحريق. وهو أنزه البقاع، زهرًا ورقيق هواء وتدفُّق ماء.

دير مارَتْ مريم هو بالحيرة، من بناء المنذر، وهما ديران متقابلان، وبينهما مَدرَجَة الحاجّ وطريق السابلة إلى القادسية، وهما مشرفان على النجف.

قَلاَّية القَسّ وهى بالحيرة، فى موضع حسن، وكان القسّ الذى تنسب إليه من مِلاح النصارى. وكان ناسكا، ثم صار فاتكا.

دير حنّةَ الكبير قال الخالديّ: هو بالحيرة فى الأُكَيراح، غَير دير حنّة الذى قدَّمنا ذكره، يقال: إنه بُنى حين بُنيت الحيرة، وكان من أنزه الدِّيَرَة، لكثرة بساتينه وتدفق مياهه.

دير هند وهى بنت النعمان بن المنذر، بناه لها أبوها لتتعبّد فيه، فلما فرغ منه، خرجت من قصر أبيها تريده، فأقامت فى الطريق سنة تنزل المضارب فى نزه وصيد، والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ، وشقّ له بشر بن مروان نهرا من الفرات، ولم يزل النهر يجرى حتّى خرب الدير.

دير اللُّجُ وهو بالحيرة، مما بناه النعمان بن المنذر، وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناء: لما يطيف به من البساتين، وكان النعمان يأتيه يتعبَّد فيه، ويستشفى به من مرضه.

دير بنى علقمة وهو دير بناه علقمة بن عديّ اللخميّ، بالحيرة.

دير هند الأقدم وهى هند الكبرى بنت الحرث بن عمرو بن حجر، الملك، أم عمرو بن المنذر، الملك.

قبة السُّنَّيق وهى من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاجّ، وبإزائها قباب يقال لها السُّكُورة، جميعها للنصارى. وعيد الشعانين بها نَزِهٌ. يخرج فيه النصارى من السكورة إلى القبة فى أحسن زيّ، عليهم الصلبان وبأيديهم المَجامر، والقسوس والشمامسة على نَغَم واحد، متّفق فى الألحان، إلى أن يقضوا بغيتهم، ثم يعودون على هيئتهم.

دير إسحاق وهو بين حمص وسَلَميّة فى موضع حَسَن نَزِه، على نهر جار، وحوله كروم ومزارع، إلى جانب ضيعة صغيرة، يقال لها: جَذْر.

دير مِيماس وهو بين دمشق وحمص على نهر مِيماس، وإليه نُسب، وهو فى رياض وبساتين، وعليه طواحين روميَّة، ويزعم رهبانه أن به شاهدا من الحواريين.

دير مُحَلّي وهو بساحل جيحان، قريب المصِّيصَة.

دير مارمروثا وهو دير صغير، بظاهر حلب، فى سفح جبل جَوْشَن، على نهر العُرجان.

دير الرُّصَافة هو بالشام، قريب رُصافة هشام بن عبد الملك، وموضعه حَسَنٌ.

دير حمطورا هو فى شرقيّ طرابلس، فى جانب الوادى. الذى أسفل من طرزيه والحَدَث، وهو بناء فى سفح الجبل، من ذلك الجانب، قُبالة الطريق السالك إلى طرابلس، وهو حصين جدّا، ولا يُسلك إليه إلا من طريق واحد. وظهر الجبل الذى له ممتنع.

دير البنات وهو دير أبيض البناء، مشرف على أرض طرابلس. له ذكر.

دير كَفْتُون وهو ببلاد طرابلس، مبنيٌّ على جبل، وهو دير كبير، وبناؤه بالحجر والكلس، فى نهاية الجودة، وبه ماء جار، وله حوض كبير مملوء من شجر النارنج. يُحمل نارنجه إلى طرابلس، يباع بها، ويرتفق بثمنه الرُّهبان، وله مستشرف مطلٌ على البلاد والمزارع، ومنه مكان يشرف، على بعد، على البحر.

دير القاروس على جانب اللاذقية، من شمالها، وهو فى أرض مستوية، وبناؤه مربع، وهو حسن البقعة.

دير فِيق وهو فى ظهر فيق، بينها وبين بحيرة طبرية، فى لحف جبل يتصل بالعقبة، منقور فى الحجر، وهو عامر بمن فيه وبمن يرد عليه، والنصارى تقصده وتعظمه.

دير الطور والطور جبل مستدير، متسع الأسفل، لا يتعلق به شيء من الجبال، وليس له إلا طريق واحد، بين طبريّة واللّجُون، مشرف على الغور والمرج وطبرية.

دير المُصَلَّبَة وهو بظاهر مدينة القدس الشريف، فى شامها بغرب، وهو دير روميّ قديم البناء بالحجر والكلس، محكم الصنعة، مُونق البقعة، فى بحيرة من أشجار الزيتون والكروم وشجر التين بإزاء قرية تجرى على الدير بمرسوم السلطان.

دير السِّيق قبليَّ البيت المقدّس، على نَشَزٍ عالٍ مُشرف على غور أريحا، يُطلُّ على تلك البسائط الخُضر ومجرى الشريعة، وبه رُهبانٌ ظِرَاف أكياس.

دير الدَّواكيس شرقيّ القدس، وهو دير حسن البناء، له بين النصارى سمعة وذكر، ولا أعرف بانِيهِ، ولا وقفتُ له على اسم، ولا على السبب الذى سُمِّى به بهذا الاسم، غير أن له وقفا يعود منه على الرهبان السكان جليل فائدة ونفع.

دير رُمَّانِينَ قال الخالديّ: هو بالشام، ولا أدرى فى أيّ ناحية هو منها، ولكن قيل: إنه كبير حسن عامر.

دير هِزقِل قال الخالديّ: هو بالشام، ولا أدرى فى قرب أيّ مدينة هو.

دير بُصْرى هو بالشام، وقيل: هو الذى كان فيه بَحِيرا الراهب.

دير الخَمَّان وهو دير ببلاد أذرعات مبنيٌّ بالحجارة السُّد، على نَشَزٍ من الأرض، يُشرف على بركة الفوّار وهو من البناء الروميّ القديم.

دير صليبا ويُعرف بدير السائمة، وهو بدمشق مطلٌّ على الغوطة.

دير بَوَنّا وهو بجانب غوطة دمشق. ليس بكبير، ولا رهبانه بكثير.

دير سَمْعان قال الخالديّ: هو بنواحى دمشق، بالقرب من الغوطة على قطعة من الجبل يُطلُّ عليها، وحوله بستان وأنهار، وموضعه حسن جدّا، وهو من كبار الدِيَرة، وعنده دُفن عمر بن عبد العزيز بظاهره.

دير مُرَّان وهو بالقرب من دمشق، على تلّ فى سفح قاسْيُون وبناؤه بالجصّ الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن، وكان فى هيكله صورة عجيبة دقيقة المعانى،وقلاليُّه دائرة به، وأشجاره متراكبة، وماؤه يتدفّق.

دير صيد نايا وهما اثنان: أحدهما يقصده النصارى بالزيارة، وهو فى دِمنَة القرية، والآخر على بُعد منها، مشرف على الجبل، شماليّها بشرق، وهو دير مار شربين ويُقصَد للتنزه، من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض، وهو دير كبير، وفى ظاهره عين ماء سارحة.

دير شَقِّ مَعْلُولاَ وهو بباطن جُبَّة عسّال، وهو بناء روميٌّ بالحجر الأبيض، مُعَلَّق بسُقيف، وبها صدْع فيه ماء ينقط، نحو الذى بصيد نايا، ويأخذه النصارى للتبرك،

معتقدين فيه نحو اعتقادهم فى الآخر، وإنما الاسم للذى بصيد نايا.

دير بَلُودان وبناؤه قديم بديع الحسن، وافر الغلّة، كثير الكروم والفواكه والماء الجارى،بقرية بَلُوذان، وهى محاذية لكفر عامر، تطلُّ من مُشتَرفها على جبّة الزَّبَدانيّ، ببلاد دمشق، وبه رهبان نظاف، وغلمان من أبناء النصارى ظراف.

دير نجران وهو باليمن، وتسميه العرب كعبة نجران. وهو لبنى الحارث بن كعب.

بيعة أبى هُور وهى بسَرْياقُوسَ، عامرة برهبانها، مُثْرِيَة بفضة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرة القلالى،مُذْهَبَة بالوقود جُنح الليالى. ولها أعياد مقصودة الأوقات، منتظرة الميقات.

دير يُحَنِّس وهو بسنهور، من أعمال مصر، وهو عامر برهبانه، ناضر بسُكَّانه.

دير مَرْ يُحَنَّا وهو على شاطيء بركة الحبش، قريب البحر، إلى جانب بساتين الوزير، وهى التى أنشأ بعضها تميم بن المعزّ وأنشأ به مجلسًا على عُمُد، وقريب هذا الدير عين ذهبت بها الرمال.

دير نَهْيَا ونَهْيا بالجِيزة، وديرها هذا من أطيبها موضعا، وأجلها موقعا. عامر برهبانه وسكّانه.

دير القُصَير وهو فى أعلى الجبل، على سطح قُنَيَّة من بلاد الفتح، وهو حسن البناء، نَزِه البقعة، وله بئر منقورة فى الحَجَر.

دير شَعْران هو فى حدود طُرَا، من ضواحى القاهرة القبليّة، فى لحْف الجبل الأحمر، المعروف بالمُقَطَّم، وبناؤه بالحجر واللِّبن وعليه نخل، وبه جمائع من الرهبان، وهو من ديارات اليَعَاقبة.

دير البغل هو شمالى دير شعران، وبناؤه مثل بنائه فى لِحْف جبل المقطّم، وعليه نخل، وبه جمائع من الرهبان اليعاقبة.

دير طَمْويه ويُعرف المكان الآن بطمَّوْه، وهو فى الجانب الغربيّ، بإزاء حُلوان، والدير راكب على البحر، تحفُّ به الكروم والبساتين والأشجار، وهو عامر الأوطان، أهل

بالرهبان، وحين تخضرُّ الأرض يكون بين بساطَيْن من البحر والزرع.

كنيسة الطُّور قال الشانشتيّ: وهذا الطُّور هو طور سينا، الذى صَعِقَ عليه موسى عليه السلام، والكنيسة فى أعلى الجبل، مبنيّة بحجر أسود، عرض حصنه سبعة أذرع، وله ثلاثة أبواب من حديد.

دير طُرَا وموقعه قبليّ القرافة ومصر، يلى بركة الحبش وبساتين الوزير، يقصده أهل مصر للفرجة والتنزه، ويُؤتى إليه على ظهر البرّ والنيل، وله إشراف على النيل.

الديارات السبع

وهى فى الوجه البحرى،وهو سُفليُّ ديار مصر. ممتدَّة غربا على جانب البرِّيَّة القاطعة بين بلاد البُحَيرة والفَيُّوم.

الدير الأبيض وهو دير جليل البناء، أبيض كما سُمِّيَ، عليه رونق، قد بُنِيَ بالحجر الأبيض، وزُيِّنَ فى أبنيته، ووُسِّع فى قدر أفنيته، وهو غربيّ النيل، فى طرف الحاجر المطلّ على المزدَرَع، فيما يقابل إخْمِيَم، وله إشراف على بسائط تلك الزروع، وسوارح تلك المواشى،وبإزائه نخل خاصٌّ به.

دير ريفة وهو بصعيد مصر، فوق سيوط، لا ببعيد، على الجبل الغربيّ المطلّ على ريفة، وهو من الأبنية القديمة المحكمة، ولأهله رزق من أطيان تُزرع وتستغلُّ جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة فى حساب الدواوين، وهو دير مذكور، وله أخبار، وفيه حكايات وأشعار.

الحانات

وكانت سوى هذه الديارات حانات بمواضع شتى. لها أخبار، وفيها أشعار. وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله، ونضيفه منها إلى أشكاله وهى:

حانة الطائف وكانت فى الجاهلية وكان خَمَّارُها يُسمَّى ابن بُجْرَة، وكانت قريش وسائر العرب تقصده فتشرب فى حانته، وتمتار منه وتحمل إلى أوطانها، وتورد أحياءها مواقر إبله لتضرب بأعطانها.

حانة بنى قُرَيْظَة وكان خمَّارها فى جوار سلام بن مِشْكَمْ، وكان عزيزا منيعا.

حانة هَجَر وتُعرف بحانة ريهان.

حانات الحيرة: وهى أربع حانات:

حانة عَوْنٍ وكان عون ظريفا، طيّب الشراب، نظيف الثياب، وكان فتيان الكوفة يشربون فى حانوته، ولا يختارون عليه أحدا.

حانة دَوْمَة وعن أبى عُبَيد قال: مرَّ الأُقَيْشر بخَمَّارة فى الحيرة يقال لها: دومة، فنزل عندها، واشترى منها شرابا، ثم قال لها: جَوِّدِى لى الشراب حتَّى أُجوِّد لك المديح. ففعلتْ، فأنشأ يقول:

أَلاَ يَا دَوْمَ دَام لك النعيمُ   وأسْمر مِلْءُ كفِّكِ مستقيمُ
شديدُ الأَسْرِ يَنْبِضُ جانباه   يُحَمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ
يُروِّيه الشَرابُ فيزدَهِيه   وينفُخُ فيه شيطَانٌ رجيمُ

قال: فظنّت الخمارة أن هذا مدح، فسُرَّت به وزادته فى الشراب. وقالت: ما قال فيّ أحد أحسن من هذا.

حانة جابر قال ابن الصَّلصال: كان أبو نواس يأتى الكوفة، يزورنى،وكان يأتى بيت خمّار بالحيرة، يقال له جابر: لطيف الخلقة، نظيف الثياب، نظيف الآلة، يُعَتِّق الشراب سنين.

حانة شَهْلاء وكانت يهودية من أهل الحيرة.

حانات العراق: وهنّ أربع حانات:

حانة طَيزَنَابَاذَ وكان خمَّارها سرجِس.

حانة قُطْرَبُّلَ وكان خمّارها ابن أَذين.

حانة الشَّطّ قال حامد بن حمدون: كان الواثق يحبّ المَوَاخير، وما قيل فيها، وما غُنِّى به فى ذكرها، فعقد حانتين: إحداهما فى دار الحُرَم، والأخرى على الشطّ.

حانة عُوَيث وتُعرف بحانة بزيع، وهو خادم المتوكل، وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاون، وكانت حسنة البناء، مؤزَّرة مسقَّفة بالساج، وكان فيها خمّار يهوديّ، لا يبيع إلا شرابا مختارا سريًّا، لا يبيعه أحد من العامة والوضعاء، وكانت حانته لنُزَه الخاصَّة والسَّراة من الناس، وكانت موصوفة بالحسن والنظافة.

حانات الشام: وهى اثنتان:

حانة عَزَاز وكانت بتلّ عَزَاز.

حانة هُشَيْمَة وكانت بدمشق، وكانت تخدم الوليد بن يزيد بن شرابه ولتولَّى اتّخاذه له، وكان يقال: إنه لم ير أعرف منها به، ولا أنظف آلة.

الباب الثاني
فى ذكر الأقاليم السبعة

الفصل الأول فى تقسيمها

ونحن نبدأ بحمد الله هذا الفصل بما قيل فى تقسيم معمور الأرض من خط الاستواء إلى نهاية العمارة فى الشمال على الأقاليم السبعة على ما قيل فى ذلك، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأقليم الأول سعته سبع درجات وثلثا درجة وثمن درجة بالتقريب، يعنى بسعته عروض ما وقع فيه من البلاد، وأن الإقليم الثانى سعته سبع درجات وثلاث دقائق بالتقريب، وأن الإقليم الثالث سعته ست درجات وثمن درجة بالتقريب، وأن الإقليم الرابع سعته خمس درجات وسبع عشرة دقيقة بالتقريب، وأن الإقليم الخامس سعته أربع وربع وثمن وعشر درجة بالتقريب، وأن الإقليم السادس سعته ثلاث درجات ونصف وثمن وخمس درجة بالتقريب، وأن الإقليم السابع سعته ثلاث درجات وثمان دقائق بالتقريب.

- **الإقليم الأول**: يأخذ فى الغرب من جزيرة بكلوطة المجزرة فى المحيط على مجالات الحبشة على مجالات النوبة شاقا للبحر الهندى إلى مدينة الفضة من الصين فى الشرق إلى جزيرة الموق المجزرة فى البحر المحيط.

- **الإقليم الثانى**: يأخذ فى الغرب من جزيرة غرطوبا المجزرة فى البحر المحيط على زبيد، شاقا البحر الهندى على مدينة ضينيا العليا من الصين فى الشرق إلى جزيرة قلعة الفضة المجزرة فى البحر المحيط.

الإقليم الثالث : يأخذ فى الغرب يأخذ من جزيرة قوموس المجزرة فى البحر المحيط على بر العدوة على إفريقية على برقة على مصر على أطراف الحجاز والشام شاقا القلزم

على سجستان وبلاد الهند على الصين إلى جبال النشادر من الصين فى الشرق إلى جزيرة العلوية المجزرة فى البحر المحيط.

الإقليم الرابع : يأخذ فى الغرب من أول جزيرة الخالدات المجزرة فى البحر المحيط، يشق البحر الشامى ويدخل فى جنوبى الأندلس على صقلية على حلب وبلاد الجبل، آخذا على بخارى فى ما وراء النهر على السند على قراقرم إلى صين الصين فى الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم الخامس: يأخذ فى الغرب من بقايا جزائر الخالدات المجزرة فى البحر المحيط على معظم الأندلس، على القسطنطينية الكبرى ومدائن الرومى على فرغانة وطبرستان، على صنم الخطا المحجوج إليه فى الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم السادس : يأخذ فى الغرب على جزيرة الحجر المجزرة فى البحر المحيط على قرم البلغان على صحارى القبجاق فى الشرق على بلاد يأجوج ومأجوج.

الإقليم السابع : يأخذ فى الغرب من جزيرة الغنم وجزيرة النساء وجزيرة الرجال وجزيرة مرطليا المجزرات فى البحر المحيط على بلاد اللان والأص والجركس والبلار والماجار على بلاد أسحرت على بحيرة الشياطين فى الشرق إلى طرف سد يأجوج ومأجوج.

الفصل الثاني
فيما وقع فى الأقاليم من المدن والجزائر العامرة برا وبحرا وتصويرها بأشكالها

الإقليم الأول

وهو الآخذ مع خط الاستواء على شماله من البحر المحيط بأقصى الغرب على البحر المحيط بأقصى الشرق، وعرضه من خمس درجات إلى عشر درجات على ما شرحنا بتفاوت ما بين ذلك عروض الأراضى به على مقدار وقوعها منه.

وأول ما نبدأ به من الغرب على حكم خط الأقاليم بلاد مغزارة الذهب، ومن مدنها مدينة أوليل، وبها الملاحة التى تمد جميع بلاد السودان، وبلاد بغامة، ومن مدنها كوغة، ولسان أهلها البربرية، وشربهم من عيون يحفرونها، وبلاد كانم، ومن مدنها مدينة جيمى،وهى صغيرة تجاور النوبة، ومدينة زغاوة، وقاعدتها مدينة تامانان، بها مسن ملكها، ومدينة تاجوة، وهى قاعدة بلاد التاجوين، وهم قوم مجوس لا دين لهم، وبلاد النوبة، وقاعدتها دنقلة، ومن مدنها مدينة كوشة، ومدينة علوة، ومدينة بلاق، وبلاد البَجة، وبلاد الحبشة، ومن أكبر مدنها مدينة جنبيثة، وبلاد اليمن، ومن مدنها مدينة صنعاء، ومدينة زبيد، ومدينة المهجم، ومدينة برباط، وأرض حضر موت، وأرض شبام، وتهامة، وبلاد عاد، وأرض الزنج، ومن مدنهم مدينة بروة أهلها كفرة لا يعتقدون شيئا، ومآكلهم خبيثة كالأحناش والضفادع والفئران، ومن مدنهم مدينة ملندة، وأهلها سحرة يصيدون الوحش الضارى بالسحر، وبلاد سفالة الذهب، ومن مدنها مدينة بتهته، ويتصل بذلك جزر فيها الشجر، ثم جزر الهند، وهى ما لا تحصى كثرة، ومن أجلها سرنديب، وبها جبل الرهون، ومن مدنها مرقايا وقدرينه وماخولون وبرسقورى،ثم جزر الواق واق، ودونها ينعطف البحر فيحاذى الصين، ويكون البحر

هناك أصعب ما يكون، ثم تقع جزيرة الموجة أم جزائر الصين، وأهلها بيض، ونساؤهم أجل نساء الأمم ذوات شعور طوال.

الإقليم الثانى

والذى وقع فى هذا الإقليم الثانى من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندى وفرعيه الخارجين منه، وهما القلزم والفارسى،وما اتصل به من البحر المحيط فى الشرق ما يذكر.

وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم وبه فى مبدئه من المحيط جزيرة مسفهان، وجزيرة دقوس من الخالدات، وبجزيرة مسفهان جبل مدور قد حكى صاحب العجائب أن عليه صنما من نحاس أحمر بناه أسعد أبو كرب الحميرى،وهو تبع الأكبر أحد الثلاثة الذين ملكوا الأرض.

ويقع فى هذا الإقليم تتمة بلاد مغزازة، وماؤها قليل وسالكها غزيز، وأرض كوار يخرج منها الشب، ومن مدائنها : مدينة الفضة، ومدينة قصر أم عيسى، ومدينة انكلاس، ومدينة أبرز، وبقية من بلاد تاجوين، وغالبها وقع فى الإقليم الأول، وأهلها همج لا يعتقدون شيئا، وأهلها رحالة. ووقع من بلادهم فى هذا الإقليم الثانى جبل ممقور، وبلاد الواحات الداخلية والخارجية، والخرجة اليوم لا أنيس بها، ومساكن بنى هلال، وقطعة كبيرة من صعيد مصر من أول أسنا وأرمنت إلى آخر دهروط، وأم مدنها قوص، ومدينة عيذاب على ساحل القلزم الغربى،وبه جزيرة النعمان وجزيرة السامرة.

ثم على ساحله الشرقى مكة والمدينة، وبلاد الحجاز ممتدة من حلى ابن يعقوب فى الجنوب إلى مدينة الجار فى الشمال، آخذة من جزيرة العرب فى الجنوب على منازل سعد وهذيل إلى مدينتى جرش وكبشة، وفى الشمال إلى معدن النقرة.

وفى جنوبيها بلاد حضرموت وبها مدينتا شبام وتريم، فأما تريم فمدينة قائمة الذكر، وأما شبام فهو حصن منيع جامع بأهله فى قمة جبل منيف يعرف هناك بجبل شبام.

والساحل الغربى من البحر الفارسى حيث يمر على مشاريق اليمن، وعلى ساحله

من المدن ما نذكره من الشمال ممتدًا إلى الجنوب على غربيه، وهى: الدار، وجلفارة، والحمل، ودما، ومسقط، وصحار، وقلهات، وصور.

ثم يمر على أطراف برية كرمان إلى أن يتصل ببلاد السند، ويقع هناك على ساحله الشرقى من المدن ما نذكرة من الشمال إلى الجنوب، وهى: أكيرة، وكيه، وفذالمى، ومنجابرى.

وكذلك ما وقع فى البحر الفارسى من الجزر فى أوله عند مخرجه من البحر الهندى جزيرة مارة، ثم يمر هذا الإقليم آخذا فى البر والبحر ببلاد السند والهند بأطراف كرمان فى جنوبها وما جاوره من بسيط البر مدن السند: المنصورة وهى المسماة بالهندية ياهومان، والبلتان، وهو الملتان، والبيرون، وبانيه، وأترى،وسدوسان، والجندور، ومنجابرى، وسهك.

وأما ما وقع به من الجزائر فى البحر الصينى فهى: جزيرة الشارة، وجزيرة الفتح، وكلاهما ذات متاجر مربحة وسفائر منجحة، ثم الجزائر الخالدات الشرقية بالبحر المحيط.

الإقليم الثالث

وأما الذى وقع فى هذا الإقليم الثالث من المدن والجزائر العامرة مما وقع فى البحر الشامى والبحر الفارسى،وما اتصل به من البحر المحيط فى الغرب والشرق، وسنذكره.

فمن ذلك جزيرة ساوة قريب البحر المظلم الغربى، وجزيرة السعالى،وجزيرة خسران، وجزيرة الغور، وجزيرة المستكشين، وجزيرة قلهان، وجزيرة الأخوين الساحرين.

وأيضا إن فى هذا الإقليم من بلاد الصحراء: نول لمطة، وتازكغت، وأغرنوا، وفيه من بلاد السوس الأقصى: مدينة تارودنت، وتيوبوين، وتاملت، وهى بلاد السوس، وفيه من بلاد البربر: سلجماسة، ودرعة، وداى،وتادلة، وقلعة مهدى بن توالة، وفاس،

ومكناسة، وآسفى،وهى أول بلد فى الغرب على البحر المحيط، وسلاء، وسائر المراسى التى على البحر الأعظم.

ومما يقع فى هذا الإقليم من خراسان: بلاد قوهستان، وقاعدتها مدينة قاين. ومن مدنها مدينة الزوزن، ومدينة طبس، ومدينة هراة، ومدينة كروخ، ومدينة الطالقان.

هذا ما وقع فى هذا البحر الفارسى من الجزر الواقعة فى هذا الإقليم، وبتمامه تم الإقليم الثالث برًا وبحرًا، ولله الحمد والمنة.

آخر السفر الأول من «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار «ولله الحمد والمنة، ومنه التوفيق والعصمة، لا رب غيره ولا إله سواه، ويتلوه إن شاء الله تعالى السفر الثانى.

السفر الثاني

الأرض: وصف جغرافيتها ومسالكها

تتمة الفصل الثانى من الباب الثانى فى ذكر الأقاليم السبعة
الإقليم الرابع

وأما الذى وقع فى هذا الإقليم الرابع من المدن والجزائر العامرة مما وقع فى البحر الشامى نذكره، فأما ما وقع فى هذا الإقليم من البر المتصل من أول الغرب إلى آخر إفريقية فقليل جدا، وأما برقة ومصر ومعظم الشام فإنه لا موقع لشيء منها فيه حتى يصل إلى أنطرسوس، ثم يتسع مدى البرية حتى إذا انتهى إلى السويدية انتهى البحر الشامى إلى الخليج الرومى العاطف منه على الدروب والروم والأرمن، وسنذكره مبينا إن شاء الله تعالى.

ونبدأ بما هو فى البر المتصل من أول الخط من البحر المحيط فى الغرب إلى آخره فى البحر المحيط بالشرق، ثم نذكر الجزائر بعد انتهاء البر الواقع فى هذا الإقليم بتمامه وكماله حتى لا يفصل بعضه عن بعض، ونبدأ من الغرب على وضع الأقاليم على عادتنا فى ذلك، وبالله التوفيق:

وأول ما نبدأ به ما وقع فى بحر الزقاق: وهو مخرج البحر الشامى من المحيط فى هذا الإقليم - وهو **مدينة طنجة**: وهى مدينة قديمة كانت دار الملك القديم، وهى ذات ماء وخصب.

ومدينة القصر، وتسمى: القصر الصغير، وتسمى أيضا: «قصر الجواز».

ومدينة سبتة: وهى قاعدة ملك لطيف، ذات فواكه، وموقعها قبالة الجزيرة الخضراء فى الأندلس، ويصاد بها نحو مائة نوع من السمك، ومنه التن وصيد أهل سبتة له بالرماح.

ومدينة تشمش: من مساكن البربر، وهى ذات قرى متصلة. ومدينة البصرة.

قال الشريف: كانت مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالحصين ولها قرى وعمارة وغلات، وأكثرها القمح والقطن، وهواؤها معتدل، وأهلها أعفاء، وهذه بصرة الغرب لا بصرة العراق.

ومدينة قصر ابن عبد الكريم: وهى مدينة صغيرة على ضفة نهر لكس، ذات رزق كثير ورخاء شامل.

ومدينة بادس: وهى مدينة متحضرة.

ومدينة مليلة: وهى مدينة حسنة متوسطة المقدار، ذات سور منيع، وحال حسنة، كثيرة الماء، شربهم منها.

ومدينة هنين: وهى صغيرة حسنة فى نحو البحر عامرة، ولها سور متين، ولها زراعات كثيرة وعمارات متصلة.

ومدينة أنطرسوس: مدينة صغيرة على ضفة البحر، بها أسواق عامرة، ويليها فى البر حصن المرقب. ثم يليها مدينة بليناس، وهى صغيرة متحضرة فى واد جار، ولها فواكه حسان.

ومدينة اللاذقية: على ضفة البحر، ويقال إنه ليس بالشام فرضة مثلها.

ومدينة السويدية: وهى على البحر، فرضة أنطاكية، عند مصب نهر العاصى.

ومدينة أنطاكية: وهى بلدة كبيرة بها سور عجيب محدق بها.

وحصن بياس، ومنه إلى المصيصة مرحلة، والمصيصة: مدينتان على ضفتى نهر جيحان، وبينهما قنطرة من حجارة، واسم المدينة الواحدة المصيصة، والأخرى كفربيا.

ومدينة أذنة: وهى مدينة جليلة عامرة، ذات أسواق جليلة وصناعات، وهى على نهر سيحان.

ومدينة طرسوس: وهى مدينة كبيرة على ضفة البحر، ولها سوران من حجارة،

وهى كثيرة الخصب، وبينها وبين بلاد الروم جبال متشعبة من جبال اللكام، كالحاجز العملين.

وحصن أولاش: وهو فرضتها.

وحصن إشبرولى: وهى مدينة صغيرة متحضرة.

وأما **مدينة حلب** وهى قاعدة ملك موقر، ودار إمارة جليلة، وهى على رصيف الطريق إلى العراق، وسيأتى ذكرها فى«مملكة مصر والشام والحجاز«مفصلا.

ومدينة قنسرين: وهى مدينة كبيرة لا تنسب حلب وكل الممالك إلا إليها، وقد كان لا يقال إلا أعمال قنسرين، وكان بها سور حصين هدم بأمر يزيد بن معاوية أيام قتل الحسين بن على رضى الله عنهما، وبقيت لها رسوم الآن خراب.

ومدينة حماة: وهى مدينة كبيرة، قاعدة ملك على نهر العاصى،ذات محاسن جمة وخصب زائد، وفواكه منتخبة، وسيأتى ذكرها فى «مملكة مصر والشام والحجاز».

ومدينة شيزر: وكانت دار أمان مفردة لبنى منقذ، وهى مدينة صغيرة على نهر العاصى،ولها قلعة، وهى رخية البقعة.

ومدينة سلمية: وهى مدينة صغيرة داخلة فى البادية، ذات عيون جارية وثمرات حسنة.

ومدينة سميساط: وهى على الفرات، ولها قلعة حصينة مطلة على الفرات، ويحتف بها جبال كثيرة، وبها الجوز والكروم وسائر الثمار، مباحة لمن جاءها.

ومدينتا الحدث ومرعش: وعليهما أسوار، وهما متقاربتان فى المقدار.

وبلاد الجزيرة: وهى ديار العرب وديار بكر وربيعة ومضر، وهى كالعراق إن لم تكن حقيقة منه، ومن مدنها الأنبار: وتعد من العراق، وهى مدينة صغيرة متحضرة بناها أبو العباس السفاح، وكانت دار خلافة له على نهر عيسى المحتفر من الفرات.

ومدينة دملور: وهى مدينة حسنة لطيفة متحصنة.

ومدينة تكريت: وبإزائها فى البرية مدينة الحضر خراب دائرة، وغالب أهل تكريت نصارى.

ومدينة الموصل: وهى قاعدة ملك ودار إمارة تسمى الحدباء، وهى ممتدة على شاطئ دجلة يشقها نهر عميق من وجه الأرض.

قال الشريف: يكون عمقه عنها تقدير ستين ذراعا، وبناؤها بالحجارة، صحيحة الأرض، معتدلة الهواء، وبساتينها قليلة، وضياعها كثيرة، مزارعها مديدة، ولها رساتيق عظيمة وكور متعددة، فمن رساتيقها.

نينوى: وهى مدينة قديمة، ويقال: إن النبى يونس u إنما بعث إلى نينوى،لأنها كانت أم تلك البلاد. وهى فى شرقى دجلة قبالة الموصل.

ومن ذلك ما نذكره من بلاد الجزيرة، وهى من ديار العرب، ومن مدنها:

برقعيد: وهى مدينة حسنة كثيرة الخصب والخير. ومدينة كفر توثا: وهى بلد خصيب.

ومدينة رأس عين: وهى مدينة كبيرة ذات مياه، نحو ثلاثمائة عين هناك تحفظ ما يسقط منها، ومنها ينشأ معظم الخابور الذى هو أحد موارد الفرات، ومصبه عند قرقيسيا.

مدينة عربان: وهى مدينة حسنة لطيفة.

ومدينة نصيبين: وهى مدينة ديار ربيعة، وهى فى مستو من الأرض، ذات سور حصين، كثيرة الخيرات، ولها مياة جمة تخرج من شعب فى شملها يسمى بالوسا، ويدخل فى كثير من قصورها ودياراتها، وبأرضها عقارب قتالة.

وماردين: وهى على جبل علوه من أرضه إلى ذروته نحو ستة أميال، وعليه قلعة ماردين بناها حمدان بن الحسن بن الحسن، وتسمى هذه القلعة بالباز الأشهب، وماؤها قليل، ويشوب بعضها ملح، وحماماتها رديئة.

قال الشريف: «ولا يستطاع فتحها - يعنى القلعة - بوجه البتة»، وبجبلها حيات قتالة، وهى دار ملك.

ثم مدينة دارا: وهي مدينة صغيرة حسنة.

ومدينة باجروان: وهى صغيرة.

ومدينة الرها: وهى كثيرة الكنائس، وكان غالب أهلها الرهبان والأقسا.

ومدينة حران: وكانت مدينة الصابئة، وبها تل تعظمه الصابئة، وتنسبه إلى أنه تل إبراهيم عليه السلام.

وجزيرة ابن عمر: وهي ذات أنهار وأشجار وسوق، وهى فرضة تصل المراكب إليها فى دجلة مشحونة بالتجارات منها وإليها.

مدينة قصر ابن هبيرة: وهى مدينة كبيرة عامرة، ذات أسواق وعمارات، وقرى وجهات.

ومدينة سورا: وهى مدينة حسنة متوسطة القدر ذات زروع ونخيل وأشجار وبساتين وفواكه.

ومدينة كربلاء: وموضعها من غربى الفرات فيما يحاذى قصر ابن هبيرة وبها قبر الحسين بن على - عليهما السلام- وعليه مشهد عظيم.

ومدينة الدسكرة: وهي قليلة المياة والثمرات.

ومدينة دقوقا: وهى مدينة صغيرة ذات نخل وزرع.

ومدينة جلولاء: وهى صغيرة ذات نخل وزرع.

ومدينة حلوان: وهى مدينة كبيرة فى سفح الجبل المطل على العراق، وبينها وبين الجبل ستة أميال،ولها نخيل كثير،وليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أعمر منها ولا أكبر ولا أخصب من زروعها، وجل ثمارها شجر التين، وليس بالعراق مدينة تقرب من الجبل غيرها وربما سقط الثلج بها وأما جبالها فلا ينقطع سقوط الثلج بها.

ومدينة المدائن: على غربى دجلة وهى مدينة صغيرة جاهلية كسروية، قاعدة ملك كسرى، ومستقر سلطنته الكبرى، وهى أم إقليم بابل المذكورة فى الكتاب العزيز، وإليها

تنسب الخمرة البابلية، ويقال إنها من بناء الضحاك وسكنها التبابعة وتداولها الكنعانيون، ودخلها إبراهيم عليه السلام، وبها إيوان كسرى.

مدينة همدان: وهى كبيرة القطر لأهلها نبالة وأدب ومروءة، وأسعارها مرفقة، وخيراتها مغدقة، وبقربها شعب بوان، وسيذكر فى مكانه.

ومدينة أسد آباد: وهى مدين متوسطة كثيرة الأسواق ذات مزارع متصلة.

ومدينة البرج: وهى مدينة صغيرة.

ومدينة كرج الروذوار: وهى مدينة صغيرة هى أم إقليم الروذوار.

وقال الشريف: وينبت بها الزعفران الذى ليس على قرار الأرض مثله.

ومدينة قزوين: وهى ثغر بلاد الجبل تقارب بلاد الديلم، وليس لها ماء جار إلا مقدار شربهم يجرى فى قناة إلى المسجد الجامع، وماؤها ليس بصادق الحلاوة.

وأول بلاد **قومس** مدينة سمنان: وهى مدينة متوسطة بها أسواق وصناعات، ثم قال: ومن بلاد قومس الدامغان وبسطام، وكلاهما أصغر من سمنان.

ومدينة آخرين: وهى مدينة صغيرة ذات عمالات.

ومدينة شاروان: وهى مدينة متحضرة.

ومدينة حصن كسر: وهى متوسطة. ومدينة ميله: وهى صغيرة.

ومدينة سارية: وهى مدينة صغيرة متحضرة.

وبوشنج: وهى مدينة إلى الجبل ولها سور وخندق، وبناؤها بالآجر والجص، ولها مياه جارية وأشجار كثيرة، وبها من العرعر ما ليس هناك.

ومدينة نسا: وهى مدينة حصينة كثيرة المياه والناس، والماء يجرى فى دورها ولها رساتيق واسعة مخصبة.

وبقية ما وقع من مدن ما وراء النهر فى هذا الإقليم مثل: خجندة، وترمذ، وكلاهما ذات حسن وإحسان، وخيرات وفواكه صنوان وغير صنوان، فى كل ناحية بستان،

وحور وولدان، وكلما يتمنى أو يتتيم به إنسان، وسنذكر فى مملكة أحد قسمى توران حالها إن شاء الله مفصلا.

ثم من بلاد الأتراك الكيماكية ما نذكر، وقد قال الشريف: «والكيماكية من أعظم الملوك قدرا وأجلهم خطرا، وهم بشر كثير وجمع غزير وفيهم مجوس وزنادقة، وسكناهم فى غياض وأشجار ملتفة، يتبعون الكلأ، وبلادهم أوسع البلاد قطرا، وأكثرهم خصبا، والتغزغز فى جنوبيها، والخزلحية فى بعض جنوبها وعامة غربها، وفى شرقها بحر الظلمات» ومن ذلك مدينة خناوش، وهى على نهر يخرج من جبل لالان، وقال: إن على الجبل صنما من الرخام كانوا يتعبدون إليه، وهذه خناوش من قواعد الكيماكية.

ومدينة **نقران**: وهى مدينة حسنة فى سفح جبل، ولها قلعة لا تنال إلا بعد جهد، ولها عمارات وزراعات متصلة، وشرب أهلها من الآبار المنقورة فى الصخر.

ومدينة **لالان**: وهى مدينة كبيرة القطر كثيرة العمارة فى سفح جبل يكتنفها من جنوبها، ويمر عليها نهر ينبع من نحو يومين عنها ثم يقع فى بحيرة كثيرة الماء.

ومدينة **أسطور**: وهى مدينة عامرة ممتدة الزراعات، ومياهها كثيرة وغلاتها الحنطة والأرز، وبها معادن الحديد، ويصنع منه صناعها كل عجيبة.

ومدينة **خاقان**: وهى قاعدة الملك بها، وهى مدينة عظيمة متحصنة عليها أبواب حديد، وبها عساكر ما لهم عديد، ولهم سير سائرة، وعدل مقيم، وبها الأسواق الممتدة والأرجاء الفسيحة، والمياه تخترق فى أزقتها، ولباس أهلها الحرير، وأهلها صابئة.

الجزائر الواقعة فى الإقليم الرابع

وأما ما وقع به من الجزائر فإنه جانب كبير، به ممالك ذات ملك جليل، فمن ذلك:

جزيرة الأندلس: معظم جزيرة الأندلس ذات المدن الكبار والقواعد العظيمة، ومعظمها للفرنج غلبوا على المسلمين وابتزوا منهم ملكا عظيما وسلطانا جليلا.

والذى وقع فى هذا الإقليم من الأندلس من مدينة طريف المطلة على بحر الزقاق المقابلة للقصر الصغير من العدوة إلى مدينة طركونة، وحد هذه القطعة ساحل البحر

الشامى الآخذ غربا بشرق من طريف إلى طركونة ومن الشرق من طركونة إلى ردة، وهما داخلتان فى الحد، ومن الشمال من سرقطة إلى قورية، وهى داخلة فى الحد، ومن الغرب ساحل البحر المحيط، حيث يأخذ من الجنوب إلى الشمال من طريف إلى أشبونة، وقد كانت الأندلس تسمى أشبانية، وربما سماها الفرنج بهذا اليوم، وهى من جنات الدنيا لنزاهتها، وما هى عليه من كثرة المياه والأشجار والفواكه والثمار، وفيها يقال: إن النصارى فاتتهم جنة الآخرة ولم تفتهم جنة الدنيا.

ونحن نذكر أقاليم الأندلس كلها جمليا ثم يأتى تفصيل ما يليق تفصيله كل شيء فى مكانه:

فأولها: إقليم البحيرة: ومبدؤه من البحر المظلم مارا مع البحر الشامى،وفيه من البلاد جزيرة طريف، والجزيرة الخضراء، وجزيرة قادس، وحصن أركش، وبكة، وشريش، وطشانة، ومدينة ابن سليم، وحصون كثيرة.

وثانيها: إقليم شذونة: وهو من إقليم البحيرة شمالا، وفيه من المدن: إشبيلية، قرمونة، وغلسانة، وحصون كثيرة.

وثالثها: إقليم الشرف: وهو ما بين إشبيلية، ولبلة، والبحر المظلم، وفيه من البلاد: حصن القصر، ومدينة لبلة، وولبة، وجزيرة شلطين، وجبل العيون.

ورابعها: إقليم الكلانية: وفيه من المدن: قرطبة، والزهراء، وأستجة، وبيانة، وقبرة، وألمسايه، وجملة حصون كبار.

وخامسها: إقليم أشونة، وهو إقليم صغير.

- ونحن نذكرما في هذا الإقليم منها. فمن ذلك:

مدينة طريف: وهى على البحر الشامى فى أول المجاز المسمى بالزقاق، وهى مدينة صغيرة سورها تراب على نهر صغير، وبها أسواق وحمامات، وأمامها جزيرتان صغيرتان على قرب البر تسمى إحداهما الفتيان، والثانية الجزيرة الخضراء.

مدينة إشبيلية: وهى مدينة كبيرة ومصر جامع ذات أسوار حصينة على النهر الكبير،

ويقال: إن لها ثمانية آلاف قرية كبيرة عامرة، آهلة بالديار الحسنة والحمامات المنيفة، وعلى إشبيلية زيتون وتين متصل منها إلى مدينة لبلة طول أربعين ميلا فى عرض اثنا عشر ميلا، لا يمشى فيها إلا تحت ظل الزيتون.

ومدينة لبلة: وهى مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر لها سور منيع، وبشرقيها نهر يأتى إليها من ناحية الجبل، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال.

ومدينة ولبة: وهى صغيرة متحضرة على مخرج من المحيط.

ومدينة مالقة: مدينة حسنة عامرة، آهلة، كثيرة الديار، واسعة الأقطار بهية كاملة سنية، أسواقها عامرة، ومتاجرها دائرة، ونعمها كثيرة، وبها تين كثير يحمل منها إلى سائر البلاد شرقا وغربا وربما وصل الهند، وهو من أحسن التين طيبا وعذوبة، ولها ربضان كبيران، وشرب أهلها من مياه الآبار، وماؤها قريب القعر عذب كثير، ولها واد يجرى فى أيام الشتاء والربيع، وليس بدائم الجرى.

مدينة قرطبة: قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها، ودار الخلافة الإسلامية، وفضائل قرطبة أكثر وأشهر من أن تذكر، ومناقبها أظهر من أن تستر، وإلى أهلها الانتهاء فى السناء والبهاء، بل هم أعلام البلاد وأعيان العباد، ذكروا بصحة المذهب، وطيب المكسب، وحسن الزى فى المطاعم والمشارب، مع جميل الخلايق، وحميد الطرايق، ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء، وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير، لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة، وهى فى ذاتها مدن خمسة يتلو بعضها بعضًا، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفى كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات.

تتمة الجزر الواقعة فى هذا الإقليم

ومن ذلك جزيرة سردانية: وهى جزيرة كبيرة، كثيرة الجبال، قليلة السهل، طولها من الجنوب إلى الشمال مائتان وثمانون ميلا، وعرضها من المغرب إلى المشرق مائة وثمانون.

وبها ثلاث مدن: القيطنة وهى فى جنوبها، وبالمرة وقشتلة، وهى مدن عامرة، وأهلها روم متوحشون، وبها معادن الفضة.

جزيرة قرشقة: ومدينتها قرشقة، وحولها أركان، وهى أجوان، شرقها البحر المسمى هناك طرناه، وطولها مائة وخمسون ميلا، وعرضها سبعة وعشرون ميلا، وأهلها أكثر الروم سفرًا وتجولا فى البلاد.

جزيرة ألبة: ومحيط دورها مائة ميل.

جزيرة قبرة: وهى جزيرة معمورة بها مدينة متوسطة، وهى وسطها فوارة ماء.

جزيرة الراهب: وبها مراس للمراكب وآبار يرد السفار الماء منها.

جزيرة اليابسة: ولا ماء بها ولا مراسى،وإنما ذكرناها لشهرة اسمها.

جزيرة مليطمة: وتقارب تونس، وبها الظباء والماعز البرية، وهى واليابسة من جزيرة الراهب.

جزيرة قوصرة: وبها معز كثيرة برية.

جزيرة مالطة: وهى كبيرة، وبها مدينة حسنة اسمها مالطة، وبها مرسى مأمون يفتح إلى الشرق، وهى كثيرة الغنم والعسل والثمار.

جزيرة بيموشة: وبها الحرير، وزرع والإرساء إليها مخاطرة.

جزيرة ميورقة: وهى صغيرة.

جزيرة مينورقة: وهى ذات ذكر شهير تقارب صقلية فى ذكرها، وتناسب فى الفخامة علو قدرها، وقد كانت مرة دارًا للإسلام، ومدارًا لفرسان الكلام، وفى فتحها تصنيف يماثل القلائد، ويقابل ما رصعه الفتح بن خاقان القيسى فيها من الفرائد.

جزيرة قبرص: وتسمى الأفقسية، وكانت قد فتحت فى صدر الإسلام على عهد معاوية بن أبى سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم ما استقرت فى يد الدين الحنيف، ولا استمرت فى ظله الوريف حتى ارتدت كافرة، وتمسكت بعصمة الكفار بغيتها الفاجرة، وهى مدينة كبيرة مقدارها ستة عشر يوما، فيها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواش، ولكن زرعها قليل، وبها معادن الزاج الفاخر.

الإقليم الخامس

وهذه صورة الإقليم الخامس، وهو الآخذ مع الإقليم الرابع على شماليه من البحر المحيط بأقصى الغرب، إلى البحر المحيط بأقصى الشرق.

وأما الذى وقع فى هذا الإقليم من المدن والجزائر العامرة مما وقع فى البحر الشامى،وخرجه البحر المحيط الآخذة من أقصى الشمال من الغرب إلى الجنوب، وغير ذلك، وما اتصل به من البحر المحيط من الغرب والشرق سنذكره.

وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم، ومبدأ خط هذا الإقليم من البحر المظلم الغربى ويقع فيما يذكر، وغالب ما يقع فيه بر متصل؛ لأن البحار هناك لا تقطع جليلا من الأرض، فمما وقع فى هذا الإقليم من شمال الأندلس وما جاوره:

مدينة قلمرية: وهى مدينة صغيرة متحضرة عامرة على رأس جبل تراب منيع على نهر يسمى منديق، لا يقدر على حصارها، كثيرة الكروم والفواكه.

منت ميور: وهى مدينة فى طوق البحر، لها زراعات وفواكه.

مدينة بيونة: وهى مدينة جليلة يقاربها الماء الأحمر، وهو نهر كبير، وعليه كنيسة عظيمة، ويقاربها أقاليم كثيرة وقرى وعمارات، وحصن الفار، وهو غير الذى بصقلية، وهو كبير جدًا، وحصن منتويه ذبيله وكلاهما به زراعات وحرث متصل، وبواديه كنيسة جليانة وشنت بطير، وكنيسة سنت أردم.

وبلاد قشتالة: وقاعدتها مدينة ليون، وهى عامرة، وبها رجالة محاربون لهم مصابرة على الحروب والقتال، ولأهلها فى التجارات والمكاسب واستنتاج الدواب، ومن مدنها: **أشترقة**، وهى مدينة صغيرة متحضرة.

ومدينة سيقعون: وهى حصن عامر آهل، حسن الجهات، عامر المحلات.

ومدينة قريون: وهى مدينة صغيرة متحضرة، متوسطة المقدار، كثيرة الخصب.

ومدينة برغش: وهى يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد بها اليهود، وهى مدينة كبيرة حصينة منيفة، ذات أسواق وتجارة وعدد وأموال، وهى طريق السفار، ولها كروم كثيرة، وأقاليم معمورة، ورساتيق ممتدة.

ومدينة ناجرة: وهى مدينة عامرة.

وحصن قسطيلة: وله كروم كثيرة وأعمال واسعة.

فأما برغونية الإفرنج، فمن مدنها:

مدينة مسكوب: وهى مدينة حسنة عامرة القطر كثيرة الخير، متصلة الزراعات والكروم والجنات.

مدينة بسنيس: وهى مدينة متحضرة على طرف الباب القاطع فى الجبل المسمى منت جون.

وأما برغونية اللمان: فهى من أخصب البلاد أرضًا، وأوسعها خيرًا، وأكثرها عامرًا، وقاعدتها مدينة بيضة.

- ومما يدخل فى هذا الإقليم الخامس:

إقليم جنوة: وقاعدتها جنوة، وهى مدينة قديمة البناء، حسنة الجهات، كثيرة المتنزهات، بنيانها شاهق، وثمارها وافرة، وأمواهها زاخرة، وهى على ضفة نهر صغير، متصلة البساتين والمزارع والقرى والعمارات، وأهلها تجار مياسير، يسافرون برًا وبحرًا، ويقتحمون سهلاً ووعرا، ولهم أسطول مخيف، ومعرفة بالحيل الحربية، والآلات السلطانية.

حبيرة: وهى محسنة الديار، محصنة الأقطار.

مدينة الدوهى: قديمة، عجيبة البناء، عامرة الأسواق.

مدينة ريفيرا: ويجتمع فرسانهم منها، وهى وسيعة القطر، ذات أعمال ممتدة، وبأس وشدة، وبها نحو خمسة عشر نهرًا، أحدهما يحمل الزوارق ويسافر فيه إلى صاوونة.

مدينة أفلورنسة: وهى فى ضفة الجبل، عامرة القطر، مخصبة الأرض.

مدينة رومة: أكبر من أن توصف أو يحاط بأوصافها كثرة وحسنًا، ولبلاد رومة بلاد كثيرة وقواعد مشهورة منها: أورط، ومال مليار، ووستو، ومنت يانى،وقشتال.

مدينة غامندو: عامرة كبيرة، ذات قرى وزراعات، ولها سور وأسواق نافقة، وأهلها أمليا، ولها تجارات ودخل وخرج.

مدينة سلنقسة: وهى مدينة متحضرة ذات أسواق وصناع وأموال.

مدينة تستريان: وهى كبيرة.

مدينة منت تيق: وهى صغيرة متحضرة.

مدينة أرتشين: هى فى مستو من الأرض، عامرة القطر، حصينة خصيبة.

مدينة بينوا: وهى صغيرة متحضرة.

مدينة شنتلا: وهى مدينة فى سفح الجبل.

مدينة طرجينة: حسنة خصيبة عامرة آهلة، ومرساها حرج لا خير فيه.

مدينة غيطة: مدينة كبيرة القطر، كثير الأهل، ولها مرسى حسن مأمون مشتى،وبها إنشاء المراكب الكبار والصغار.

مدينة كومة: وهى صغيرة بعيدة عن البحر.

إقليم قرقطارة: ويتصل بها ساحل البنادقة، وهم على شط الخليج الخارج من البحر الشامى آخذا من الجنوب إلى الشمال، وقاعدتهم مدينة ربنة، وهى كرسى ملكهم على ضفة نهر يأتى إليها، وهى بلاد ثمراتها أكثر من زروعها، وتنتهى بلادهم إلى مدينة كوادس، لأنها على نهاية الخليج البندقى،وهى مدينة متحضرة كبيرة القطر.

ومن مدنها: زيغنو، وربولة، ودوونة، وأسة، ومصولة، وأرنس، وصبطو، وبرلس، وجادره، وأساطلو، وبزغرون.

ومن أرضها أرض إيكاكية، وبنصرة، وقسطلو، وممالغة، وإسطاحابلو، وأرفونة، ومنت تشكر، وشجيلى،وأرس، وسغونة، وغير ذلك.

وبلاد أنبرصة: وقاعدتها مدينة أنبة، وهى فرجة الأرجاء، والديار عامرة الأقطار، أسواقها قديمة، وخيراتها دائمة، وصناعاتها نافقة، ومعايشها مرفقة.

ومن مدنها: شاوية، وقاعدتها مدينة فارى،وهى لإنشاء المراكب، وهى من قواعد الروم المشهورة، وأنبورية، وعانبدو، ومديلان، ومينو، وفرارة.

وبلاد أنكبردة: ومن مدنها: مينوت، وغرنيلية، وماطلى،وغارنية، وقلوصة، وأطرونة، وعسلقلة، وشنت لورين، وشنت محوس، وجنطاط، وشنت صير، وشنت أبحلى،ولريه، وقبة مارين، وبرملن.

وبلاد القسطنطينية الكبرى: كرسى ملك الروم، وشهرتها قد طبقت الأرض وجابت الأقطار، وتساوى فى معرفتها الكبار والصغار، لأنها دار ملك القياصرة، وسلطنة الجبابرة، وبها مستودع ذخائر الملوك والحكماء، وآثار من آثاره علم العلماء، وهى أقرب إلى دار الإسلام مما تقدم ذكره.

ومدينة أفسبين فى رستاق الأواسى، ويقال: إن أفسبين هى مدينة أصحاب الكهف، وأما أصحاب الكهف فهم فى كهف برستاق بين عمورية وسقية، وهذا الكهف هو فى جبل علوه أقل من ألف ذراع.

وعمل الباطلوس، وفيه عدة حصون منها: العلمين، ومرج الشحم، وبرغوث، والمشكنسين.

ومدينة نيقية: وفيها بحيرة جون، به سمك صغير طوله فتر، لونه إلى الخضرة، دقيق الشوك إذا طبخ مع النخالة واعتصرت وشربت نفعت من السعال المزمن من مرة واحدة، وعلى ضفتها أحجار خاوية خفاف صفر، إذا علق الحجر منها على فخذ المرأة التى تريد الولادة أسرعت ولادتها بلا تأخير.

مدينة باطنة: وهى مدينة كبيرة مختلفة العمارات، كثيرة الأسواق، على نهر كبير تصعد فيه المراكب الكبار من الخليج القسطنطينى،ولها كروم ومزدرعات.

وبلاد الأبسيق: وفيه مدينة نيقية: وهى مدينة صغيرة متحضرة.

ومدينة لباضية: وهى مدينة كبيرة عامرة على نهر كبير تصعد المراكب فيه.

ومدينة قامرون: وهى غير قامرون الهند، على نهر كبير معتدل الجرية، تصعد فيه المراكب، ويصب فى بحر بنطس.

ومدينة **فلوجة**: وهى مدينة صغيرة.

ومدينة **ششوى**: وهى فى شرقى مرج قلن.

بلاد أرمينية: وفيه أكثر مدن أرمينية، هى أرمينيتان الداخلة والخارجة، ولها قاعدتان مشهورتان، وقواعدهما: مدينة أرمينية، ومدينة خلاط، وفيه من المدن على قول من قال: إنها واقعة فى الإقليم الخامس من بلاد أرمينية لكونها شرقى دجلة على مرحلتين، وأما على قول من قال: إنها واقعة فى الإقليم الرابع من الجزيرة فهو ما قدمنا؛ لأن موقعها من بلاد الجزيرة أظهر.

ومدينة باجنيس، وجزيرة منازجرد، ومدينة بدليس، ومدينة وسطان، ومدينة نشوى، ومدينة قالى قلى،ومدينة سواح، ومدينة دبيل، وهى غير المشهورة بالهند، ومدينة بركرى،ومدينة خوى،ومدينة سلماس.

وبلاد الران: وقاعدتها مدينة برذعة، ومن مدنها: البيلقان، ومدينة برديج، ومدينة الشماخية، ومدينة شروان، ومدينة اللايجان، ومدينة الشابران، ومدينة قبه، ومدينة شكى، ومدينة جنزة، ومدينة شمكور.

ومن **بلاد أذربيجان** عدة مدن، وقاعدتها مدينة أردبيل، وإليها الإشارة.

قال الشريف: «إنها دار الإمارة، وهى مدينة مسورة أحسن التسوير، فسيحة الرحاب، مليحة المكان، عذبة الماء، رطبة الهواء، كثيرة البساتين والمزارع والقرى والضياع، فهذه الأعمال جزيلة الأموال».

ومن مدنها: موقان، وشهرتها تغنى عن ذكرها، ومدينة كواسرة، ومدينة البذ، ومدينة برزند، ومدينة ورثان.

- ومن الإقليم الخامس قطعة من بلاد الأغزاز، وهى بلاد خصب، والأغزاز أقوياء النفس.

ومدينة درندة، ومدينة درقو، ومدينة بارغة، ومدينة حام، ومدينة حوارة، وهى شرقى بحيرة خوارزم، وهى بحيرة مالحة يقال: إنه يظهر بها فى أحيان حوت على صورة

إنسان يطير فوق الماء، ويتكلم بكلام يعقل ثلاث كلمات أو أربع، ثم يغوص فى الماء، ومتى ظهر دل على موت ملك من ملوك الأغزاز الجلة، وتبقى بحيرة خوارزم وراءها.

ومدينة غرنة، وتلى هذه البلاد فى شرقيها أرض حنعادب.

ومن المدن الواقعة هناك مدينة حاخان، ومدينة ذهلان، ومدينة عريان، وبها معادن فضة تفيد كثيرا، يقال: إن رطلا من ترابها يخرج الربع فضة خالصة.

ومدينة غرغرون: وهى بحيرة عذبة الماء.

بلاد أذكش وشمالى بلاد الكيماكية:

وشمالى بلاد الكيماكية وجملة بلاد أذكش، وبلاد الأذكش شرقى بلاد الأغزاز: وهى بلاد حينة كثيرة الخيرات والمواشى،وبها من السمن والعسل ما لا يوجد مثله فى كثير من سائر الأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم، وذلك أن الأغنام بها والأبقار لا يعبا بها لكثرتها، وليس للحومها عندهم قيمة، وأن الرجل منهم يذبح الشاة والشتين فيأخذون جلودها ولا يجد من يعطيه لحمها، وجل أكلهم من اللحوم ولحوم الخيل، وهى أجل لحم عندهم.

ومما يدخل فى هذا الإقليم **بلاد يأجوج العليا**، وهى بلاد كثيرة عامرة، وهم عدد كثير، وجمع غزير، وأمم لا يحصون كثرة، وبلادهم بلاد خصب ومياه جارية، وسهول وحزون تربة، ومواش كثيرة، وهم من ولد سام بن نوح، وهم المفسدون فى الأرض، وخلقهم صغار جدا، وهم فيما يحكى أن طول الرجل منهم - أعنى من آل يأجوج - مثل طول القصار من آحادنا، ونسائهم مثل ذلك، ولا يعرف ما ديانتهم ولا أى شيء معتقدهم.

وأما آل **مأجوج**، فأرضهم أسفل هذه الأرض وهم كلهم قصار جدًا فى نهاية القصر حتى إن طول الرجل منهم لا يتجاوز ثلاثة أشبار، ونسائهم مثل ذلك، وأوجههم مستديرة فى غاية الاستدارة، وعليهم شبه الزغب كثير جدًا، وآذانهم كبار مستديرة مسترخية، حتى إن أذن الرجل منهم إذا تقلقلت تلحق طرف منكبه، وكلامهم شبيه

بالصفير، والشدة عليهم بادية، وهم خفاف الوثوب، وفيهم الزنا فاحش، وبلادهم بلاد ثلج وشتاء دائم، والبرد عندهم لازم فى كل الأحايين.

الجزر الواقعة فى الإقليم الخامس

وأما ما وقع به من الجزائر فى البحور المتصلة به في خليج البنادقة فهو: جزيرة أوسر، وجزيرة رسيا، وجزيرة أرجا، وجزيرة نجاعة، وفى الخليج القسطنطينى جزر ليست بكبيرة.

وفى بحر الخزر جزر منها: جزيرة الكن، وجزيرة مركونة، وجزيرة أركونة، وجزيرة سهيلان، وجزيرة سياه كوه.

الإقليم السادس

وهذه صورة الإقليم السادس، وهو الآخذ مع الإقليم الخامس على شماليه من البحر المحيط بأقصى الغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق.

وأما الذى وقع فى هذا الإقليم من المدن والجزائر العامرة فى المحيط وبحر بنطس فسنذكره، وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم نبدأ بالبحر المحيط فنقول: إن هذا الخط يبدأ من جزيرة قطلوبة وما جاورها من الجزائر بالبحر المحيط، ثم أرض برطانية، والبحر يستدير بها على قرطيل كثير وينقعر وينضم من أعلى برطانية حتى يبقى البر كالكيس فمه ضيق ووسطه واسع.

ومن مدنها:

مدينة شنت لاو: وهى مدينة متحضرة على البحر ذات سور وأسواق ممكنة، وفيها مصائد السمك ومعائش وأقوات كافية، وهى فى قعر الجون، ومراكبها تسافر إلى شنت ياقوب وسائر البلاد المجاورة لها.

ومدينة قشتال: وهى مدينة صغيرة جدًا، وفيها أسواق عامرة وتجارات قليلة، وهى مدينة زرع وماشية.

ومدينة مانطس: وهى فى قعر جون خارج من البحر، وهى مدينة كبيرة عامرة ذات حرث وثمار ومراكب يجيش بها التجار.

ومدينة دينس: وهى مدينة كبيرة عليها سور حصين، وأقطارها عامرة، وخيراتها متكاثرة، وبها أسواق قائمة، وصناعات ملائمة.

ومدينة شنت محيال: وهى مدينة متحضرة على ضفة البحر، حسنة القطر، وافرة العمارة، كثيرة الحرث والزرع.

ومدينة رابس: وهى مدينة جليلة متحضرة تنشأ بها المراكب، وبها الحط والإقلاع، وبها أسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء.

ومدينة ردون: على البحيرة وهى مدينة صغيرة متحضرة حصينة، حسنة المبانى، خصيبة الزرع، رفهة المعايش، وبها حط وإقلاع وسفن مشرعة الشراع.

ومدينة كنب لوين: على طرف الساحل فى البحر، وهى مدينة صغيرة لأهلها يد فى صناعات كثيرة.

قال الشريف: وهى كثيرة العامر، جامعة الوارد والصادر.

ومدينة لنبوين: وهى مدينة متحضرة حسنة ذات عمارات ممكنة.

وبلاد إفرنسية: ومن أرضها أرض ضابس، وهى مدينة كبيرة عامرة، عظيمة البركات، كثيرة الكروم والشجر والغراس، عامرة بالأدر والناس، ولأهلها غلظ فى جبلة الطباع، وقلة الانطباع، ومع هذا هم أصلح من أهل برطانية فى هذا حالا، ومن بلاد إفرنسية المتقدمة الذكر:

مدينة اليانص: وهى مدينة خصيبة، مياهها جارية، وزروعها نامية.

ومدينة مالص: وهى تفجر عيون وماء، ومكان خصيب ونماء، وهى وسط أرض إفرنسية، وسفائنهم فى البر لا فى البحر عليها مرسية.

ومدينة برماسى: وهى مدينة أشجارها ملتفة، وزروعها نامية.

ومدينة جالوس: وهى من قواعد إفرنسية على ضفة نهر، كثيرة الكروم والشجر والحب والثمر، وبها من المواشى ما يقوم بها وبما جاورها، ويعم واردها وصادرها.

أرض إفلاندوس: وهى تتصل بالبحر من شمالها، ومن مدنها:

مدينة راليس: وهى مدينة جليلة، عامرة بالناس والتجار والصناع، ولها إقامة وأعمال متصلة.

ومدينة لولس: وهى من مدن الروم القديمة، وقواعدها المذكورة، وهى فى جزيرة فى نهر ضيق، قد أحاط النهر بها كالسوار وزحف عليها بصفوفه من جميع الأقطار، وبها عامة كروم وأشجار.

وأرض لبان: وهى شرقى أرض أولاندرس، وهى أرض خصبة، متصلة العمارات والقرى، وأعظم مدنها:

مدينة قنطر: وهى مدينة جليلة على غربى نهر أرين، كثيرة العمارة والعمار، والمتديرين والديار، ومكان مغل، وثمار ونزهة آخذة بمجامع الأبصار.

ومدينة طرياد: وهى مدينة متحضرة حسنة، لها أعمال وقرى.

ومدينة إبرجيس: وهى مدينة متوسطة متحضرة، كثيرة المرافق، رخيصة الأسعار، تحدق بها الكروم والجنات، وقطعة من تتمة أرض برغونية اللمان، وهى جنوب أرض لبان، ويحيط بها من جهة المغرب أنوبكة.

ومدينة أسبيرة: وهى على نهر الأرمن.

ومدينة فرميزة: وهى مدينة حسنة على ضفة النهر المسمى لورين.

ومدينة ورميرية: وهى فى جنوب فرميزة، وبها يقع نهر مورين فى نهر لورين.

ومدينة ماملة: وهى متوسطة، وأرض اللمان هذه تأخذ طريقًا إلى كل مكان.

ومدينة هربرد: وهى مدينة عظيمة عامرة تتأخم أرض شصونية.

وأرض نولية: وهى أرض طويلة عريضة، بلادها كثيرة، وعمارتها متصلة، وهى فى ملك اللمانى،وهو القائم بحمايتها وجبايتها، يولى ويعزل فيها، وأشهر مدنها:

مدينة أستركونة: ويقال: أسترغونة، وهى قاعدة بلاد بوامية، وأعظمها أرضًا وسكانًا، وهى دار ملوك برانية.

وأرض نرمندية: وهى تلى أرض إفرنسية فى الشمال إلى البحر، وبها من قواعد البلاد.

ومدينة سارس: وهى مدينة حصينة خصيبة.

ومدينة قطر ماغس: وهى مدينة كبيرة مشهورة على ضفة النهر المعروف بها، ومنها يصب فى البحر.

ومدينة قلام: وهى واسعة الأقاليم، نافعة للراحل والمقيم.

ومدينة بلغرية: وهى مدينة جليلة، كثيرة الحبوب والقطانى.

ومدينة نيطرم: وهى فى مستوى من الأرض بمياه جارية وزروع موفية.

ومدينة سلوس: وهى على شرقى نهر درزة.

وأرض إفريدية: وهى شمالى أرض اللمان وغربى أرض شصونية، ويتصل شماليها بالبحر المظلم قبالة جزيرة قلنطارة الآتى إن شاء الله ذكر فى الجزائر بالإقليم السابع، ومن مدنها :

مدينة سالة: وهى واسطة أهلها وطريق بعضها إلى بعض بعض.

ومدينة سوارص: وهى من أعمها حسنًا، وأعظمها قرى وميدنًا، رائقة الثمرات.

أرض بوابيد: وفيه من المدن ناصو، وهى مدينة حسنة واسعة الأقاليم والجهات، وذات أسوار حصينة وأسواق عامرة.

ومدينة وادراة، ومدينة أسويمص، وأرض مدينة زايلة، ومدينة زايلة قائمة الذات بنفسها لا تنسب إلى سواها، ولا تضاف إلى غير معناها، وفيها كفاية لأهلها، ووقاية بها يستقر الشيطان من خيلها ورجالها.

أرض أنكورية: وهى تتاخم أرض أسقلونية، وقد غلب البنادقة عليها، وكان مرجعهم إلى ملك اللمان فسابقوه إليها وغلبوه عليها، ومن مدنها:

مدينة تستنيق: وهى مدينة حسنة.

ومدينة مينتو: وهى قاعدة عظيمة جامعة فائقة رائقة معروفة بمقام علماء الروم، لا يزال بها منهم عصابة يأوى إليها الطلبة من الآفاق، ويحيط بها جبال حائلة من جهاتها الأربع، حائلة بينها وبين بلاد برامية.

ومدينة شنت: وهى مدينة متحضرة فى غربى النهر.

وبلاد بكونية: هى من أعمال القسطنطينية، وهى بلاد العلماء ومقر الحكماء، وأعمالها كثيرة الأقطار، واسعة الأمصار، عظيمة القرى، متفجرة بالعيون والأنهار، محفوظة بالزيتون والفواكه، ومن مدنها القواعد:

مدينة إقراقل: وهى مدينة حسنة، كثيرة الديار والعمارة والكروم والجنات، ومع غربها بجنوب مدينة ماسلة، وهى مدينة متحضرة.

ومدينة جنازية: وهى مدينة حسنة، ولأهلها سعة ممكنة، وهيئات مستحسنة.

وأرض جرمانية: وهى من بلاد القسطنطينية العظمى، وتحت أكناف ملكها المسمى، ينصب بها موقع طرفه، ومرتع طرفه، ومدينة قازوى على نهر أخيلو.

ومدينة شلوفى: وهى فى وطأة من الأرض.

ومدينة روذستو: وهى مدينة حسنة غربى القسطنطينية العظمى على اثنى عشر ميلا منها.

ومدينة ليفلقو: على جبل مطل على نهر أخيلو صاحبة النواحى،ضاحكة الضواحى.

ومدينة بنوى: مدينة صغيرة على ظهر جبل عار.

ومدينة لفيسة: وهى مدينة كبيرة على نهر دنو.

ومدينة بيزوى: وهى مدينة كبيرة عامرة كثيرة الأسواق، وأهلها أهل صناعة، ولها مزارع وأقاليم وغلات جمة.

وبلاد القمانية: ومن مدنها:

مدينة جاليطة: وهى مدينة عامرة على ضفة البحر.

ومدينة شالوسطة: وهى مدينة كبيرة حسنة على البحر.

ومدينة بوشى: وهى فى شمال قمانية البيض، وبينهما خمسون ميلا، وهى مدينة متحضرة متوسطة المقدار، ولها زروع وغلات على نهر يسقى أكثر مزارعها، وغالب دانيها وشاسعها.

ومدينة قنتو: وهى فى حضيض عال، كبيرة القطر والأعمال.

وأرض الخزر: ومدينتها تسمى الخزر، وإليها ينسب الترك الخزر، وهى مدينة كبيرة فسيحة على نهر، وبلاد الخزر تجاور البلاد القمانية، وللخزر ملاحة وظرف فائق، ولباسهم القراطق الكبار من الحرير والقطن والكتان.

بلاد البلغار: فهى مما وقع عليه خط هذا الإقليم، ومدينتها تسمى البلغار، وأناس يقولون البلار، وإليها ينسبون، وهم من المسلمين ومن النصارى، وبها مسجد جامع وأذان وصلوات قائمة، وطائفة البلغار والبجناك كالشيء الواحد، وهم بشر كثير.

وأرض الروسية: وهى بلاد ممتدة، قليلة البلاد، متقطعة العمارات، بين البلد والبلد مسافات نائية، وللروس مع بعضهم بعض نواثر وثواثر، ووقائع تعض صدور البواتر، ومن مدنهم الواقعة بهذا الإقليم: مدينة سرملى،وهى على نهر السبت.

والروس ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يسمى نرواس، وقاعدة ملكهم مدينة كويابة، وتسمى هذه المدينة عندهم كويابة الترك المسلمين روس الروس.

الصنف الثانى: يسمى الصلاوية، وقاعدة ملكهم مدينة صلاوة، وهى مدينة فى سفح جبل.

والصنف الثالث: يسمى الأرثانية، وقاعدة ملكهم مدينة أرثا، وهى مدينة حسنة على جبل حصين وموقعها بين صلاية وكويابة.

وبلاد بسجرت الخارجة: تقدم ذكر إحداهما، وهى بسجرت الداخلة فى الإقليم الخامس.

وأما بسجرت الخارجة، فمنها: قاروقيا، ونمجان، وغرجان، وهذه البلاد عامرة بأهلها مكتفية بذاتها، وفيها من التجارات والصناعات حسب ما يكفيهم، وبعضهم يدخل أرض بعض ويقضون حوائجهم من البلاد المتجاورة، وهى بلاد كثيرة الخصب والعشب والسوائم.

أرض سيسبان الخراب: وفى مشارق الأرض النتنة المشار إليها بلاد سيسبان الخراب اليباب الدائرة، وطولها سبعة وعشرون يوما إلى السد، كانت طوائف يأجوج ومأجوج تشن الغارات فتزلزل أطرافها، وتقلقل أكنافها، فتدهك الديار، وتنهك العمارة والعمار.

الجزر الواقعة فى الإقليم السادس

وأما ما وقع فى هذا الإقليم السادس من الجزر بالبحر المظلم، وما مر عليه من بحر بنطس، ومن بحر الخزر سنذكر المشهور منه إن شاء الله مفصلا.

ومما وقع به من جانب من جزيرة إنفلطارة، والذى مر عليه هذا الإقليم من مدنها: مدينة عرهم، ومدينة هينونة، ومدينة سرهام، ومدينة دبرس.

ومما وقع فى بحر بنطس: جزيرة دقتر، وجزيرة أنو شروة، وجزيرة نوشكة، وجزيرة أزلة، وجزيرة أنبلة، وجزيرة عردة، وجزيرة سرسة.

الإقليم السابع

وهذه صورة الإقليم السابع وما وقع فيه من المدن والجزائر العامرة برًا وبحرًا من أول إلى آخر المشرق.

وأما الذى وقع فى هذا الإقليم السابع من المدن والجزائر العامرة مما وقع فى بحر الظلمة فسنذكره، وأول ما نبدأ من المغرب على حكم خط الأقاليم، وأول مبدأ هذا الإقليم من البحر المحيط، وهو هناك بحر مظلم وجزائر بأسرها مغمورة غير معمورة، وأكبر جزائره:

جزيرة برلاندة: وهى تقدم ذكرها، وهى جزيرة كبيرة بين رأسها الأعلى وبين برطانية ثلاثة مجاز ونصف، وبين طرفها الأسفل وجزيرة سقوسية الخالية مجريان.

بلاد قيارك: وهى كثيرة القرى والعمارات والأغنام، وليس بها إلا مدينتان، وهما مدينة أندرة، ومدينة قلمان، وهما مدينتان كبيرتان تبدو عليهما البداوة، وتعلو عليهما سيماء الشقاوة، وأقوات أهلها مقدرة أقل مما يكفيهم.

وأرض طبست: وهى كثيرة القرى والعمارات، غير أن مدنها قلائل، وهى أشد بردًا من بلاد قيارك، والجمد لا يكاد يفارق ماءها، وأرضها طرفة عين.

ومن مدنها: **مدينة طبست**، وإليها تنسب الأرض.

ومدينة أنهو: وهى مدينة حسنة عامرة.

وبلاد أسلاندة: ومن مدنها:

مدينة قلورى: وهى مدينة صغيرة كأنها حصن أو قلعة للطافة حجمها، وأهلها فلاحون، وإصابتهم فى الزرع قليلة، ولكن أغنامهم كثيرة.

وحصن قلموش: وهو يعمر فى الصيف، فإذا حان الشتاء فارقه أهله إلى كهوف بعيدة عن البحر، فيأوون إليها ويوقدون النيران فيها مدة أيام الشتاء، لا يفترون ولا يقرون.

بلاد اقفرا: وبها الأرض المحفورة، وقد ذكرها الشريف فى كتاب أجار فقال: وهى من عجائب الدنيا.

الجزر الواقعة فى الإقليم السابع

وأما ما وقع فى هذا الإقليم من الجزائر فى البحر المحيط، فهو ما نذكر:

جزيرة إنقلطارة: وهى جزيرة كبيرة تشبة رأس النعامة، وبها مدائن عامرة، وجبال شاهقة، وأودية جارية، وأرض سهلة، وفيها خصب زائد، ولأهلها جلادة وعزم وحزم، والشتاء بها دائم، وأقرب بر إليها وادى شنت من أرض أقراقدس، وبين هذه الجزيرة والبر الكبير مجاز سعته اثنا عشر ميلا.

جزر سقوسية وأرلاندة ورسلاندة: وبين طرف جزيرة سقوسية الخالية إلى طرف جزيرة أرلاندة مجريان فى جهة الغرب.

ومن طرف جزيرة لنقلطرة إلى جزيرة دنس مجرى، ومن طرف أسقوسية فى الشمال إلى جزيرة رسلاندة ثلثا مجرى، ومن طرف جزيرة رسلاندة فى جهة المشرق إلى جنوب نرباغة اثنا عشر ميلا، وطول جزيرة رسلاندة أربعمائة ميل، وعرضها مائة وخمسون ميلا.

الجزر الواقعة فى البحر المظلم

وفى البحر المظلم جزائر كثيرة غير عامرة، وفيه مما يلى الشمال من الجزائر العامرة جزيرتان، وهما جزيرتا أمرانيوس المجوس، فالجزيرة الغربية منا يعمرها الرجال فقط وليس بها امرأة، والجزيرة الثانية فيها النساء ولا رجل معهم، وهم فى كل عام يقطعون مجازًا بينهم فى زوارق لهم، وذلك فى زمن الربيع، فيقصد كل رجل منهم امرأته فيواقعها ويبقى معها أيامًا نحو من شهر، ثم يرتحل الرجال إلى جزيرتهم، فيقيمون بها إلى العام المقبل إلى ذلك الوقت.

مشاهير ممالك عباد الصليب

وأنا أتبع ذكر هذه الأقاليم بكلام جملى فى أمر مشاهير ممالك عباد الصليب فى البحر دون البحر.

الريد فرنس صاحب إفرنسية:

فأما الريد فرنس فهو صاحب إفرنسية، وبلادها وبرها وبحرها، وما هو معها مما بيد الأذفونش من جزيرة الأندلس، وما هو مضاف إلى ذلك، والريد فرنس عريق النسب فى الملك القديم، والمملكة المأخوذة عن السلف، وهو أكبر ملوك بنى الأصفر مكانة، وأتمهم بختًا، وأعظمهم تاجًا وتختًا، وله مدن كبيرة عامرة، وعساكر كثيرة وافرة، ولكنه لا يقارب عدد ملك اللمان، ولا يباريه فى قوة الخيالة والفرسان.

ملك اللمان :

وأما ملك اللمان فهو ذو البلاد المتسعة، والأعداد المجتمعة، والعساكر التى تروع الطيف فى المنام، وتروض كل أرض بمساقط جثث وهام، ولا تحصى عدد جيوشه ولا تحصر، ولا جمع مثلها كسرى ولا قيصر، وهم تتار الفرنج فى كثرة الخلائق، وشدة البأس، وأثرة المضايق وطول مدة المراس.

ملك إبرنسة :

وأم ملك إبرنسة، وهو الريد برت، وهو من بيت الريد فرنس، فهو صاحب تخت وتاج، ومال ملء قلاع وأبراج، وعساكره كثيرة لا تعد، وهى دون الريد فرنس، ولكنهم بأنواع الحروب أمس، فإن فيهم فرسان بر وبحر، وسفنًا وخيلا، وسراة نهار وليل، وله أسطول لا تحط قلوعه.

ملك اللنبرد :

وأما ملك اللنبرد فملكهم ملكان، واحد فى مدينة بنفرا، والآخر فى مدينة فرارة، وملك بنفرا فى وقتنا هذا هو رومى من ملوك القسطنطينية أندرونيكوس بن كرميخال، وهذا مركيز صاحب بنفرا هو أخو كرميخال، وعساكر بنفرا من البنرد نحو خمسين ألف فارس، فرسان برار وبحار.

ملك سيسرين :

وأما سيسرين فملكهم يسمى الريفردريغ، وهم قوم بحارة لا مجال لهم فى البر ولا على ظهور الخيل، فأما إذا ركبوا البحار، وادرعوا من السفارين مدارع من قار، اقتروا أزمة الرياح، وطلعت بصوارمهم فى الليل تباشير الصباح، وجاز البحر أسطولهم شرقًا وغربًا، وجال بعدًا وقربًا.

حكام البنادقة والبيزان :

وأما البنادقة فلا ملك له، وإنما حكمهم كمون، وهم بالاتفاق على رجل يحكمونه

عليهم باتفاق رأيهم عليه، ويسمى البنادقة فينيسيين، ورنكهم صورة آدمى بوجه تزعم أنه صورة مرقص أحد الحواريين، والرجل الذى يحكم عليهم يكون من أحد بيوت معروفة فيهم، وعساكرهم ليست من صليبة أنفسهم، وهم مجمعة من أخلاط الأجناس.

وأما البيزان فهم كالبنادقة لا ملك لهم، بل حكمهم كمون، ولا لهم عسكر من أنفسهم، بل يستخدم أوقات الحاجة، وكانوا أهل عز وبأس، فغلبوا وأخذ نجمهم فى الهبوط، وأمسوا كأنهم ما أصبحوا، ولانوا كأنهم ما جمحوا، ومضوا فلا يحس لملوكهم حسيس، ولا يأنس بديار ملكهم أنيس.

حكام الكيتران: عرب الفرنج

وأما الكيتران وهم الكيتلا، وهم عرب الفرنج، وأصلهم من متنصرة غسان أصحاب جبلة بن الأيهم، دخلوا بلاد الروم وتوغلوا فيها وراءهم، حتى استوطنوا ببلادهم التى هم بها الآن، وصاروا من أهلها، ولهم ملك منهم مطاع فيهم، وهم أهل بر وبحر، لا يبدءون بشر ما لم ينبه نائمهم، وينهنه قائمهم، فإذا حركوا أسكنوا كل حراك، وأسكتوا كل لسان بكل سنان أفاك.

حكام أهل جنوة :

وأما أهل جنوة فحكمهم كمون، ولا ملك لهم كان ولا يكون، وحكمهم الآن فى أهل بيتين، يحكم الرجل من كل بيت منهما مدة سنة، ثم يكون له سيارة البحر، ويحكم الرجل الذى من البيت الآخر هكذا سنة، ثم يكون له سيارة البحر، هو والبيت الواحد بيت دوريا.

ملك سيسرية :

وأما سيسرية فهى جزيرة عظيمة قبلة البندقية، بها نحو ألف وأربعمائة قلعة، وبنت ملكها مزوجة بالتكفور صاحب سيس، قال: وهى أعظم جزر البحر، قال: وأما بقية جزر البحر كصقلية، وميورقة، ومينورقة، فدونها، وهى لا تعد فى عديدها، ولا تحسب معها.

الفصل الثالث

فى أطوال النهار بالنسبة إلى كل إقليم

ونحن نبدأ بحمد الله هذا الفصل بما نعرف به مبلغ طول النهار فى كل إقليم من الأقاليم السبعة بما بينهما من التفاوت فى الزيادة والنقص على ما ظهر لنا بالتحرير أو بالتقريب، والله أعلم بغيبه، وأول ما نقول:

إن طول الأقاليم اثنتا عشرة ساعة من دور الفلك، وبين عرض كل إقليم والذى يليه نصف ساعة معتدلة من النهار الأطول.

فالأول: يمر وسطه على المواضع التى يكون طول النهار الأطول بها ثلاث عشرة ساعة، والسابع يمر وسطه على الموضع الذى نهاره الأطول ست عشرة ساعة.

والثانى: وسطه من حيث يكون النهار الأطول اثنتى عشرة ساعة وربع ساعة، إلى حيث يكون طوله ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة.

الثالث: وسطه من حيث يكون طول النهار الأطول أربع عشرة ساعة، إلى حيث يكون طوله أربع عشرة ونصفًا، ومن حيث يكون ارتفاع القطبين ثلاثين جزءًا وثلاثة أخماس ونصف خمس، إلى حيث يكون أربعة وثلاثين جزءًا، وذلك مسافة ثلاثمائة ميل وخمسين ميلا.

الرابع: وسطه من حيث يكون طول النهار الأطول أربع عشرة ساعة ونصفًا، إلى حيث يكون أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة، وارتفاع القطب تسعة وثلاثين جزءًا.

الخامس: وسطه حيث يكون طول النهار الأطول خمس عشرة ساعة وربع ساعة،

ومن حيث ارتفاع القطب واحدًا وأربعين جزءًا، إلى حيث يكون ثلاثة وأربعين جزءًا ونصف جزء، وذلك مسافة مائتى ميل وخمسة وخمسين ميلا.

السادس: وسطه من حيث يكون طول النهار الأطول أربع خمس عشرة ساعة ونصف ساعة، إلى حيث يكون خمس عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة، وارتفاع القطب خمسة وأربعون جزءاً وربع جزءًا، وذلك مسافة مائتى ميل وعشرة أميال.

السابع: وسطه حيث يكون طول النهار الأول أربع ست عشرة ساعة إلى حيث يكون ست عشرة ساعة وربع ساعة، وارتفاع القطب ثمانية وأربعون جزءًا ونصف، وذلك مسافة مائة ميل وخمسون ميلا، وقيل: خمسة وثمانون ميلا.

الباب الثالث
فى البحار وما يتعلق بها

الفصل الأول
فى ذكر البحار

اعلم أن البحر هو العنصر الأعظم، والخلوق الأكبر، والعجب العجيب، والمألوف الغريب، وجميع العالم فى دائرته، وعلى بعض ما انكشف عنه، وفيه أوضح الدلالات على قدرة خالقه وعظيم خلقه، وبديع صنعه.

البحر الهندى :

وأكثر هذه البحور وأعظمها طولا وعرضا هو البحر الهندى.

قال الشريف: وهو بحر الصين والهند والسند واليمن، ومبدؤه من جهة المشرق فوق خط الاستواء بثلاث عشرة درجة ممتدة مع خط الاستواء إلى جهة المغرب، فيمر بالصين أولا، ثم بالهند، ثم بالسند، ثم باليمن على جنوبها، وينتهى إلى باب المندب، وهناك مبلغ طوله، وطوله على هذه المسافات على ما حكاه الثقات المسافرون والمتجولون الخائضون فيه المغلغلون من بلد إلى بلد أن مبدأ بحر القلزم إلى الواق واق أربعة فراسخ وخمسمائة فرسخ.

بحر الصنف :

ثم بحر الصنف فى جزيرة من جزائره مدينة، وهو بحر خبيث كثير الأمطار والرياح الشديدة، وفى جباله معادن الذهب والرصاص، وفيه مغاص اللؤلؤ، وفى غياضه

الخيزران، وفيه مملكة المهراج، وتشتمل على جزائر لا تحصى، ولا يمكن المراكب أن تطوف بها فى سنة، وفيها أنواع الطيب من الكافور والقرنفل والعود والصندل والجوزبوا والبسباسة والكباية.

بحر لاروى :

ثم بحر لاروى،ويقال له بحر كله، وبحر الجاوه، وبحر فنصور، وإنما ترادفت عليه هذه الأسماء بحسب ما يمر عليه من البلاد والجزائر، وهو بحر لا يدرك قعره، وفيه نحو ألف جزيرة تسمى جزائر النارجيل لكثرته بها، وكلها عامرة بالناس، وبين الجزيرة والجزيرة الفرسخ والفرسخان، وليس يوجد فى سائر جزائر البحر ألطف صنعة من أهل جزائره فى سائر المهن، وبيوت أموالها الودع.

بحر هركند :

ثم بحر هركند، وفيه جزائر كثيرة يقال: إن عدتها ألف جزيرة وسبعمائة جزيرة، يقع فيها العنبر الذى تكون القطعة منه كالبيت، وسكانها أحذق الناس فى الحياكة، ينسجون القميص بكميه ودخاريزة قطعة واحدة.

بحر اليمن :

وأوله بحر الجمحة، وهو من بلاد مهرة معترض فى البحر فيمر بحاسك، وهو أول مرافئ اليمن، ثم يمر بمرباط ساحل ظفار، ثم يمر بالشحر ساحل بلاد المهرة، ثم بشرمة والأسعى ساحلى بلاد حضرموت، ثم بأبين، ثم بعدن، ثم بالمخنق، ثم بالعارة، ثم باب المندب.

بحر الزنج وبحر بربرا:

ثم بحر الزنج، وبحر بربرا، ويسمى ساحله الزنجبار، وفيه مما يلى بلاد اليمن جزائر منها: جزيرة دعون، وجزيرة مدورة، وجزيرة السود، وجزيرة حورتان، وجزيرة مروان، وفيها مدن يسكنها السراق، وهى مقابلة لبلاد مهرة.

البحر الشامى:

وأما البحر الشامى،فإن مخرجه من البحر المحيط من أقصى المغرب، ومبدؤه فى الإقليم الرابع، ويسميه هناك بحر الزقاق؛ لأن سعته هناك اثنا عشر ميلا، ثم يتسع فيكون ثمانية عشر ميلا، وكذلك طول الزقاق من طريف إلى الجزيرة الخضراء أيضًا ثمانية عشر ميلا.

بحر نيطش:

ومبدؤه من البحر الشامى جيث فم أبدة، وعرض فوهته هناك رمية سهم، ويمر هذا الخليج القسطنطينى بعد القسطنطينية ستين ميلا حتى يصب فى هذا البحر، وهذا هو البحر المعروف ببحر القلزم، وببحر سوداق، وعرض فوهته عند مصبه من الخليج ستة أميال.

بحر طبرستان:

وأما البحر الطبرستانى فقد قررنا حقيقة أمره، وأنه ليس له مخرج من المحيط، ولا مما خرج منه، وأما هذا البحر فلعل حكمه حكم بعض البحيرات وإن اتسع مداه وبعد منتهاه ومبتداه، ويقال له: بحر الخزر، وبحر جرجان، وبحر الديلم، وبحر القلزم أيضًا، وبحر طبرستان، وأكثر الناس على تسميته بحر طبرستان، وهو بحر منقطع لا اتصال له بالمحيط ولا بشيء مما خرج منه، ولا مما خرج منه، ويقع فيه أنهار كثيرة، وعيون جارية غزيرة المدد.

البحر الزفتى وبحر الأنقليشين:

وأما ما عده بعض الناس بحرًا وليس ببحر فهو البحر الزفتى وبحر الأنقليشين، فأما **البحر الزفتى**: فهو من وراء البحر الهندي فى الجنوب، وهو قطعة من المحيط زائدة الظلمة لتكاثف الأبخرة خرجت من الشرق إلى الغرب وراء جزيرة القمر، وربما تكشف البخار عما استدار بهذه القطعة المظلمة فتبقى كتفصيل السراويل.

وأما **بحر الأنقليشين**، فهو خرجة من المحيط خرجت فى الجانب الغربى من الشمال بتغريب من جهة الجنوب حتى قاربت بحر نيطش على خط ممتد إلى قبالة خليج البنادقة، ووقعت به جزر منها: جزيرة برطانيا، وجزيرة النساء، وجزيرة الدجال، وجزيرة الغنم.

الفصل الثانى
فى ذكر الرياح الأربع وصورة القنباص

وأما المهم المقدم فهو أمر الرياح، وهى أربعة: جنوبى وشمالى وتسميه البحار سمية، ويسميه أهل مصر البحرى،وشرقى وغربى،فهذه هى أصل الرياح، وتنقسم هذه الأربعة كل ريح اثنين فتصير ثمانية رياح، ثم تنقسم الثمانية كل ريح اثنين فتصير ست عشرة ريحا، ثم ينقسم كل ريح اثنين فتصير اثنتين وثلاثين ريحا، وهذه جميع ما يسافر بها البحارة.

قال: فالجنوبى قبالته سمية، والشرقى قبالته الغربى،ثم لما انقسمت إلى ثمانية سميت الأربعة رياح الأخر: شلوق، ولباج، وجرج، وبرانى.

قال: فأما مهاب الريح الأربع فمعلوم: فالجنوبى هو اليمانى وقبالته الشمالى،وهو _ أعنى الشمالى _ المسمى عند البحارة سمية، وأما الشرقى والغربى فمعروفان حيث مطلع الشمس ومغربها فى الاعتدال، متقابلان، وقد بينا هذا فى معرفة القبلة.

وفى القنباص خطوط سود لا مخرج لها من الدائرة، وإنما هى خطوط استواء: خط استواء من الجنوب إلى الشمال، وهو المسمى عندهم سمية، وخط استواء من الشرق إلى الغرب، وفائدتها أن المتوجه إذا توجه من بلد إلى بلد مقابل له، توجه على خط استواء، فإن لم يكن مواجهًا له، مال عنه أو إليه، على قدر ما يحتمله الميل عن الاستواء، تارة بريح كامل، وتارة بأزيد، وتارة بأنقص، وخطوط الاستواء فى القنباص ظاهرة لا تشكل.

الفصل الثالث
فى ذكر نبذة من العجائب برًا وبحرًا

سفينة عملاقة:

حدثنى الشريف على الكربلائى قال: أتيت بعض فرض الصين، فأرسلت به سفينة لا يشك من رآها على أنها مدينة، فأتيت بحارتها، فسألتهم عن قدر ما تحمل، فقالوا: لا نعرف، إلا أننا حملنا فى هذه السفينة ثلاثة آلاف رجل، وسبعين رجلا غير النساء، منهم مائة وثلاثون تاجرًا، والبقية قل أن يكون فيهم رجل وليس معه بضاعة، قال: فعدلت إلى التجار، فسلمت عليهم وتعرفت بهم، ثم جمعنى وإياهم أسواق المدينة، فرأيت فيهم من تحرر بضاعته ثلاثمائة ألفديناء من الذهب العين، وأقل وأكثر من هذه النسبة، ورأيت منهم رجلا واحدًا أحرزت بضاعته ألف ألف دينار.

حورية البحر :

وحدثنى الشريف قال: حدثنى رجل بالصين، وقد ذكر البحر، فقال: رأيت فى بعض أسفارى فيه - وقد أرسينا إلى جزيرة منه - جارية حسناء عريانة كأن جسمها فضة أفرغ عليها ذهب، وكأنها دارة القمر، ذات شعر أسود فاحم أثيث، طويلة الذوائب تخطر، حتى ألقت بنفسها فى البحر.

جرة عمرها أربعة آلاف سنة:

ثم قال: وحدثنى أن لأهل قشمير الأعلى يوم عيد فى كل سنة يتجمعون فيه، ويصعد خاطب لهم على منبر ومعه جرة من طين غير مطبوخ، فيخطب ثم يقول: وقوا أنفسكم

وأموالكم واحفظوها، ويعظم ثم يقول: انظروا إلى هذه الجرة من طين، وقيت وحفظت فبقيت، وإن لتلك الجرة على ما يقولون أربعة آلاف سنة.

الزنا غير مستهجن فى الهند:

وقال: حدثنى أبو محمد الحسن بن عمرو، أن الزنا لا يتحاشى بسائر بلاد الهند، وأن الزنا فى كل بلد، فى أهل بيت بأعيانهم، ينسبون فيه فلانة بنت فلانة زانية بنت زانية.

حية تقتل بالنظر:

وقال: قال لى بعض المنصوريين ممن يسلك إلى مانكير، وهى مدينة بينها وبين ساحل بلاد الأرميون فرسخ، وبها بلهور ملك الهند: إن ببعض جبال الهند حيات صغارا رقطا وغبرا، وإذا نظرت الحية إلى إنسان، ونظر إليها مات من ساعته، بخاصية فى سمها، وهو شر الحيات.

ريشة طائر عظيم الحجم:

وقال: حدثنى إسماعيلوية الناخذاه أنه رأى أسفل ريشة ببعض بلاد الهند عند رجل من كبار تجارهم، وأنه سقاه فيها ماء، قال: فقدرت أنها تسع خمسة أرطال أو نحوها، قال فعجبت من ذلك، فقال لى: لا تعجب من هذا حدثنى بعض نواخذه الزابج أنه رأى، عند ملك سريرة أصل ريشة، تسع خمسة وعشرين قربة ماء.

طائر عملاق ببلاد الزنج:

وقال: حدثنى غير واحد من البحريين أنه سمع أن بسفالة الزنج من الطيور ما يأخذ الفيلة بمنقاره أو مخالبه، وتحمله إلى الهواء، ثم يرمى به ليموت وينكسر، ثم ينزل عليه ويأكله.

نمل ضخم بحجم السنانير:

وقال: مما حدثنى به إسماعيلويه الناخذاه أن ببلاد الزنج معادن ذهب خوارة، وأكثر

المعادن خوارة، وأن الرجال يحفرون فيها الذهب، فربما نقبوا على أرض مجوفة مثل أرض النمل، فيخرج عليهم نمل مثل السنانير كثير، فيأكلونهم ويقطعونهم قطعا.

وقال: وقد كان أحمد بن هلال أمير عمان، حمل إلى المقتدر فى سنة ست وثلاثمائة، نملة سوداء فى قفص حديد، مشدودة بسلسلة فى قدر السنور اللطيف، وماتت هذه النملة بناحية جبل، فجعلت فى الصبر، وحملت إلى مدينة السلام صحيحة، ورآها المقتدر رحمه الله.

عدم استقذار الهنود للبول:

وقال: حدثنى عن محمد بن سعيد، أخى إسحاق الخطيب لأمه، أنه قال: رأيت بسندابور رجلا من الهند قد اجتاز بدار، فانصب عليه وعلى ثيابه بول من تلك الدار، فوقف وصاح بهم هذا الذى انصب على ماء من غسل اليد أو من غسل الفم؟ وهو عندهم أقذر ما يكون، فقالوا له: هذا بول صبى بال الساعة، فقال: ها، أى جيد، ومضى، وعندهم أن البول أنظف من الماء الذى غسل به اليد والفم.

عنبر يستحيل نقله من الجزيرة:

وقال: حكى عن رجل يقال له: أبو طاهر البغدادى أنه قال: دخلت الرانج من بلاد جزيرة الرانج بلد يقال له: مرقاويد، وبه عنبر كثير، وأنه ما حمل قط من ذلك العنبر فى مركب، وخرج عن البلد إلا رجع إليه، وأنهم يحتالون فى بيع العنبر على الغرباء، ومن لا يعرف خبر العنبر بأرخص سعر وأدونه، وأن أبا طاهر هذا كان فى مركب فيه شيء من هذا العنبر، قد حمل سرًا من صاحب المركب، فرجعت الريح عليهم وردتهم إلى البلد.

ملك الصين وبركة اللؤلؤ:

ومما يحكى عن بغبور ملك الصين وهو من الحكايات الظريفة أن له بركة عظيمة يجيئها الماء من فرسخ أو نحوه، ثم يفتح الماء عنها فينصب كله وهى فارغة، فإذا أراد أن تملأ أمر بفتح الماء عليها من الموضع الذى يجيئها الماء منه، وهو على نحو فرسخ، ثم يطرح اللؤلؤ مع الماء، فيجرى الماء إلى البركة فى نهاية الصفاء والحسن، واللؤلؤ فيه، إلى

أن تمتلئ البركة من اللؤلؤ، ويفيض الماء على جوانبها، ثم يقطع الماء عنها، ويقيم اللؤلؤ مكان الحصى.

سوق الجن فى كشمير:

ومن أعجب العجائب ما حدثنى به بعض البحريين ممن أقام ببلاد الهند وغيرها السنن الطويلة، أنه سمع غير واحد ممن دخل تخوم الهند أن بنواحى قشمير الأعلى، فى موضع يقال له بربرناربين واديا فيه بساتين وأشجار وغياض ومياه تجرى،فيه سوقا للجن، يسمع فيها ضجيجهم فى الشراء والبيع، ولا ترى أشخاصهم، وأن ذلك لم يزل يعرف على قديم الدهر بهذا الموضع، فقلت للرجل: فسمعت أنها سوق قائمة أبدا، أو فى وقت دون وقت، فقال: لم أضبط المسألة عن هذا.

شجرة مكتوب عليها لفظ الجلالة:

وقال: قال لى من دخل الهند إنه رأى فى غيضة بنواحى مانكير، وهى قصبة الهند التى بها بلهرا شجرة عظيمة غليظة الساق، تكون فى مثال شجر الجوز، لها ورد أحمر ببياض مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أرنب فى الواقواق يغير جنسه:

وقال: قال لى إن بجزيرة من جزائر الواقواق دابة تشبه الأرنب، يصير الذكر منها مرة أنثى ومرة ذكرا، والأنثى تصير مرة ذكرا ومرة أنثى، والذى حكى لى ذكر أن بعض الهند حدثه بسرنديب بهذا، وما أدرى ما أقول فى هذه الحكاية ؟ وقد يقال: إن الأرنب بهذه الصورة، وهو عندى مستحيل، والله أعلم.

الزجر والعيافة بأصوات الوزغ:

قال: وحدثنى أحمد بن محمد الكنانى أنه كان بمندر، يعنى عند على ابن محمد الؤلؤى،وهو يومئذ رئيس الفرس، وزعيمهم وأنه كان يأكل معه فصاح وزغ من السقف، فقال على بن محمد الؤلؤى: يقدم غائب، وليس هو مجيئ وقت المراكب.

الباب الرابع
فى القبلة والأدلة عليها

وفيه فصول
الفصل الأول: فى أقوال الفقهاء

وهو مما يحتاج إليه الظاعن والمقيم، ويقال: قبلة البشر الكعبة، وقبلة أهل السماء البيت المعمور، وقبلة الكروبيين الكرسى،وقبلة حملة العرش العرش،ومطلوب الكل وجه الله تعالى، ذكره المرغينانى واستقبال القبلة شرط لصلاة القادر إلا فى شدة الخوف وثقل السفر، ومن أمكنة علم القبلة حرم عليه الاجتهاد، والتقليد واليقين قد يحصل بالمعاينة وبغيرها كالناشئ بمكة العارف يقينا بأمارات، ويتعذر التحرير إلا بأخذ الارتفاع بالإسطرلاب المسمت، وفى هذا الباب تأليفات كثير، وبين الفقهاء خلاف: هل يشترط إصابة العين أو الجهة، وفى مذهب الشافعى قولان، وكذلك فى مذهب مالك قولان، والأرجح فى مذهب الشافعى إصابة العين، اتفق عليه القفال والعراقيون وصححه النواوى.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى: والفرض فى القبلة إصابة العين، فمن قرب منها لزمه ذلك بيقين، ومن بعد لزمه ذلك بالظن فى أحد القولين، وفى القول الآخر الفرض لمن بعد: الجهة. والأرجح فى مذهب مالك إصابة الجهة لا العين للتعذر، ورجح الباجى إصابة العين، واستدل بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، قال: أى سمته، وقال: وهو المشهور من مذهب

مالك، ومذهب أبى حنيفة الجهة لا العين للتعذر. وقالوا هو للبعيد تكليف ما لا يطاق، وكذلك مذهب أحمد بن حنبل إصابة الجهة لا العين، واستدل بالحديث:«ما بين المشرق والمغرب قبلة».

الفصل الثاني
بدليل النجوم

منها الشمس فى مطلعها ومغربها، والقمر فى سيره ومنازله، والنجوم فى طلوعها وأفولها، والمجرة ويقال لها، سرج السماء والمجرة تشبه أثر ما يجر به البعير، وتسميها العامة طريق التبن، ذكر أرباب الهيئة أن السماء على مثال الكرة تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدور الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين، شمالى وجنوبى،وذكر بطليموس أن الفلك يدور مثل المنجنون، يعنى محلة الساقية، وأن الأرض معلقة فيه بمنزلة مح البيضة منها، وقد تقدم، وقالوا: وأنها وسط الفلك، وقال أرسطاطاليس: إن الفلك بمنزلة الرحا فى دورانها.

بدليل الشمس:

فأما الشمس: فمن أشكلت عليه القبلة وكان بالمشرق يجعل الشمس خلفه فى أول النهار، وتلقاء وجهه فى آخره، وإن كان بالمغرب فعلى العكس، وإن كان بالشام يجعلها فى أول النهار على حاجبه الأيسر، وفى آخر النهار على حاجبه الأيمن، وإن كان باليمن فعلى العكس.

بدليل القمر:

وأما القمر: فإنه يطلع فى أول الشهر على يمنة المصلى، ويختلف مطلعه فى اليمنة، فربما كان مع قرب كتفه اليسرى، وربما كان إلى مقابلتها أقرب، وربما كان إلى مدابرتها أقرب، ويطلع ليلة ثمان وعشرين رقيقا لحظة، ثم يغيب على يسرة المصلى. وقيل فى الليلة السابعة يكون فى القبلة، ويغيب الهلال فى الليلة الأولى على مضى ستة أسباع ساعة.

بدليل القطب الشمالى:

وأما النجوم: فأقوى الدلائل _ إلا الجبال فى المواضع القريبة من الكعبة _ وأقوى النجوم القطب الشمالى،وهو نجم صغير فى بنات نعش الصغرى، بين الفرقدين والجدى،بفتح الجيم وسكون الدال المهملة، فى مهب الشمال، عال مرتفع، لا يغيب شتاء ولا صيفا وأكثر استدلال الناس به على الجهات فى البحر والبرية، لكونه غير زائل عن مكانه.

بدليل القطب الجنوبى: سهيل اليمانى

وأما سهيل اليمانى فإنه لا يرى بالأندلس ولا بخراسان لانخفاضه، ويرى مع الفجر فى آخر القيظ فى السادس والعشرين من مسرى بمصر، فيطلع عند ظهوره حيال مصلى النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، وهو ما بين الركن اليمانى والعراقى،وقال فى مكان آخر: القطب الشمالى فى داخل السمكة، عند رأسه الفرقدان، وعند ذنبه الجدى وهو مقابل للقطب الجنوبى.

الفصل الثالث
بدليل الرياح

وأما صفة مهاب الرياح إلى الكعبة ومواضع مطالعها: فاعلم أن الرياح الأربع وهى الشمال والجنوب والصبا والدبور، تقابل أركان الكعبة الأربعة، فالصبا شرقية تقابل الركن العراقى الذى به الحجر الأسود، سميت الصبا لأنها تصبو إلى وجه الكعبة، ومهبها بين مصلى آدم عليه السلام إلى الميزاب، وهو بين الركن الشامى والركن الغربى،ثم ريح الدبور، سميت به لأنها تأتى من دبر الكعبة، وهى غربية لأنها تقابل الركن الغربى،ومهبها حيال الميزاب إلى ما بين الركن اليمانى والغربى،ثم ريح الجنوب، سميت به لأنها تستقبل الجانب الأيمن من الكعبة، وهى يمانية لأنها تقابل الركن اليمانى،ومهبها بين الركن الغربى والركن اليمانى،إلى مصلى نبى الله ﷺ قبل الهجرة، وتخرج من تحت سهيل وتهب من يسرة المصلى مستقبلة بطن كتفه اليسرى إلى ظهر كتفه اليمنى مارة من يسرتها إلى يمنتها على ازورار قليل إلى ما يلى وجهه، والشمال يقابلها، والدبور تهب مستقبلة للمصلى تلى شق وجهها الأيمن تستقبل ظهر البيت، والصبا يقابلها. فالحاصل أن الصبا تقابل الدبور، والشمال تقابل الجنوب.

الفصل الرابع
بدليل الجبال

ونحن نذكر من مشاهير، فمن ذلك: الجبل الممتد غربى النيل، على نيل الدمادم، ويسمى نيل السودان، فمن كان وراءه جعل هذا الجبل قبلته تلقاء وجهه متشاملا، ومن كان شرقيه استدبره وراء ظهره متشاملا.

ومن ذلك الجبل الفاصل بين طليطلة ووادى آش، وهو المعروف بهيكل الزهرة، والقبلة حيث يجعله أهل وادى آش على يسارهم، وأهل طليطلة على يمينهم، ثم يستقبلون بتشريق ضفة البحر الثانى مع سفحه.

وعامة جبال إفريقية وبرا العدوة يستدبرها المصلى منحرفا إلى الجنوب بتشريق، وكذلك الجبل الفاصل بين بلاد الأندلس والأرض الكبيرة وكذلك الأم الخارجة من البحر الشامى،مع زيادة تشريق.

والجبل الممتد على الشام، المسمى فى كل أرض باسم يستديره المصلى مع بعض تشريق، إلا عند دمشق فإنه يأخذ على بعض تغريب لانعطاف الجبل.

وجبال أذربيجان وأرمينية يجعلها المصلى على منكبه الأيسر ويستقبل الجنوب بتغريب، وجبال الروم يجعلها من هو داخلها إلى البحر الشامى على منكبه الأيسر، ومن هو خارجها إلى جهة ملطية على منكبه الأيمن، ويستقبلون الجنوب بتشريق.

الفصل الخامس
بدليل الأنهار

ونحن نذكر أشهرها على صحيح الاستقامة فى عمود كل نهر، لا على ما تعترضه من التعريجات، أو يشق منه من الأنهار، فمنها النيل، وهو نيلان: نيل السودان، ونيل مصر.

بدليل نيل السودان: نهر النيجر

فأما نيل السودان: فهو آخذ بعد انحداره من الجنوب إلى الشمال خلف المعمور من الشرق حتى يصب فى المحيط بالغرب، كما ذكرنا، وجميع من على ضفتيه، قبلتهم مع استقبال جرية الماء فى انحراف على يسارهم إلى الشمال.

بدليل نيل مصر

وأما نيل مصر: فهو آخذ من الجنوب إلى الشمال المحض، فمن كانت ديارهم على ضفته الغربية فمن مصبه فى البحر الشامى بدمياط ورشيد إلى الواحات الخارجة وما يسامت أسوان إلى الدو شرق محض، وضفة النيل لقاء وجوههم، ومن الدو إلى دنقلة إلى أقصى الجنوب قبلتهم إلى ضفة النيل مع ميل إلى منحدر الماء بين تشريق وشمال.

بدليل بقية الأنهار المشهورة:

وأما الفرات: فالقبلة على يمينها مع منحدر الماء مائلا إلى التغريب.

وأما دجلة فكذلك.

وأما نهر الكر ونهر الرس: فالقبلة حيث يجعلها الواقف من وراء الظهر وينحرف إلى اليسار جنوبا بتغريب.

وأما جيحون: فالقبلة مع وراب زائد على يسار المصلى حتى يكون النهر على الكتف الأيمن لسكان ضفته الجنوبية، وعلى الكتف الأيسر لسكان ضفته الشمالية، والقبلة إلى مغارب جنوبهم.

الفصل السادس
فى قبلة كل أرض

ونحن نبدأ فى هذا الفصل بذكر الكعبة المشرفة التى أمرنا باستقبالها، وإليها التوجه من كل جهة بالصلاة والحج والعمرة والمناسك المفترضة.

فاعلم أن أهل القادسية والكوفة وبغداد والموصل وحلوان وهمدان والرى ونيسابور ومرو الروذ وخوارزم وبخارى والشاش وفرغانة وما كان من البلاد على سمت ذلك: يستقبلون من الكعبة مصلى آدم عليه السلام إلى بابها.

واعلم أن أهل البصرة والأهواز وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان وبست وهراة إلى بلاد الصين إلى النبحر الأسود، وما كان من البلاد على سمت ذلك: يستقبلون فى صلاتهم من باب الكعبة إلى الركن الأسود.

واعلم أن من كان بالسند والهند والمهرجان وكابل والقندهار وما وراء ذلك مما يسامته من البلاد: يستقبل الركن العراقى إلى مصلى النبى ﷺ.

واعلم أن من كان بالنوبة والبجاة وغانة ومغارب اليمن وبلاد السودان وصعيد مصر والأقصر وأسنا وأرمنت وأسوان والمعدن ونحو ذلك: يستقبل الباب المسدود إلى ما دون الركن الغربى بسبعة أذرع.

واعلم أن من كان بالأندلس والمغرب من أهل طرابلس وأفريقية وما كان من البلاد على سمت ذلك: يستقبل من دون الركن الغربى بسبعة أذرع إلى الركن الغربى.

واعلم أن من كان بأرض الإسكندرية ومصر إلى القيروان إلى تاهرت والسوس الأقصى إلى البحر الأسود وما يسامت ذلك من البلاد، يستقبل من الركن إلى ميزاب الرحمة.

واعلم أن أهل مدينة رسول الله ﷺ وأهل الحجاز والرملة وبيت المقدس وفلسطين وطرسوس والمصيصة وأرض الروم وما يسامتها من الأراضى: يستقبلون ميزاب الكعبة، ويسميه أهل مكة: ميزاب الرحمة.

واعلم أن من كان بملطية وشميصات وزبطرة ومرعش والجزيرة ونصيبين وأرمينية إلى باب الأبواب: يستقبل من الركن الشامى إلى مصلى آدم u.

فصل

فى معرفة الكواكب والنجوم والخسوف والكسوف

فصل جامع يشتمل على ذكر تداخل الشهور والكواكب الثابتة والسيارة وصورة الأفلاك، والقول فى الخسوف والكسوف وما يستطرد فى ذلك ويتدرج معه.

أسماء شهور القبط:

وشهور القبط أسماؤها: توت، ثم بابه، ثم هتور، ثم كيهك، ثم طوبة ثم أمشير ثم برمهات ثم برموده، ثم بشنس، ثم بؤنة، ثم آبيب، ثم مسرى. وبعد ذلك خمسة أيام تسمى النسيء فى السنة التى ليست بكبيسة.

أسماء شهور السريانيين:

أسماء شهور السريانيين: تشرين الأول أحد وثلاثون يوما، تشرين الثانى ثلاثون يوما، كانون الأول أحد وثلاثون يوما، كانون الثانى أحد وثلاثون يوما، شباط ثمانية وعشرون يوما وربع يوم، فالسنة السريانية إذا كانت كبيسة اجتمع من هذا الكسر يوم فيصير شباط تسعة وعشرين يوما، وفى غير الكبيسة يحسب ثمانية وعشرين يوما، آذار أحد وثلاثون يوما، نيسان ثلاثون، أيار أحد ثلاثون يوما، حزيران ثلاثون يوما، تموز أحد وثلاثون يوما، آب أحد وثلاثون يوما، أيلول ثلاثون يوما، ومجموع هذه الأيام ثلاث مائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، وهو مقدار أيام السنة الشمسية بالتقريب.

أسماء شهور الكلدانيين

أسماء شهور الكلدانيين: أكتوبر وهو موافق تشرين الأول، بل هو فى الحقيقة هو، إنما اختلف اسمه، وكذلك بقية الشهور على هذا المنوال، على ما أنا واصفه إن شاء الله تعالى، ثم نوبير، ثم دجنبر، وهو مخالف لكانون الأول فى الكبيسة، فإنه يكون فيها اثنان وثلاثون يوما، فيجعلون اليوم الزائد فيه، كما جعله السريانيون فى شباط، ثم ينير، ثم فبرير، وهو دائما فى الكبيسة وغيرها ثمانية وعشرون يوما، ثم مارس، ثم أبريل، ثم ماية، ثم يونية، ثم يولية، ثم أغشت، ثم شتنبر.

صور الكواكب الشمالية

فالصور الشمالية إحدى وعشرون صورة:

الأولة: الدب الأصغر، المسمى بنات نعش الصغرى، وهو سبعة كواكب، واحد خارج عن الصورة.

الثانية: الدب الأكبر المسمى بنات نعش الكبرى، وهو سبعة وعشرون كوكبا، وثلاثة خارجة عن الصورة.

الثالثة: التنين، وهو أحد وثلاثون كوكبا.

الرابعة: قيقاوس ويسمى بالملتهب، أحد عشر كوكبا، واثنان خارجان عن الصورة.

الخامسة: العوا، اثنان وعشرون كوكبا وواحد خارج عن الصورة.

السادسة: الفكه، تسعة كواكب.

السابعة: الجاثى على ركبته، تسعة وثلاثون كوكبا، وواحد خارج عن الصورة.

الثامنة: السلباق ويسمى اللورا، عشرون كوكبا.

التاسعة: الدجاجة، سبعة عشر كوكبا وواحد خارج الصورة.

العاشرة: ذات الكرسى،ثلاثة عشر كوكبا.

صور الكواكب التى على المنطقة:

وأما الصور التى على المنطقة فهى اثنتا عشرة صورة:

الأولة: الحمل، ثلاثة عشر كوكبا وخمسة خارجة عن الصورة.

الثانية: الثور، اثنان وثلاثون كوكبا، وأحد عشر خارجة عن الصورة.

الثالثة: الجوزاء، تسعة عشر، وخمسة خارجة عن الصورة.

الرابعة: السرطان، تسعة كواكب، وأربعة خارجة عن الصورة.

الخامسة: الأسد، سبعة وعشرون، وثمانية خارجة عن الصورة.

السادسة: السنبلة، ستة وعشرون كوكبا، وستة خارجة عن الصورة.

السابعة: الميزان، ثمانية كواكب، وتسعة خارجة عن الصورة.

الثامنة: العقرب، أحد وعشرون، وثلاثة خارجة عن الصورة.

التاسعة: القوس، أحد وثلاثون كوكبا.

العاشرة: الجدى،ثمانية وعشرون كوكبا، وستة خارجة عن الصورة.

صور الكواكب الجنوبية:

وأما الجنوبيات فخمس عشرة صورة:

الأولى: قيطس اثنان وعشرون كوكبا.

الثانية: الجبار، ثمانية وثلاثون كوكبا.

والثالثة: النهر، أربعة وثلاثون كوكبا.

والرابعة: الأرنب، اثنا عشر كوكبا.

والخامسة: الكلب الأكبر، منها الشعرى اليمانية، وهى ثمانية عشر كوكبا، وخارج الصورة أحد عشر.

والسادسة: الكلب الأصغر، ومنها الشعرى الشامية، كوكبان.

والسابعة: السفينة، منها سهيل خمسة وأربعون كوكبا.

والثامنة: الشجاع، خمسة وعشرون كوكبا، واثنان خارجان عن الصورة.

التاسعة: الكأس سبعة كواكب.

العاشرة: الغراب، سبعة كواكب.

منازل القمر:

اعلم أن المنازل قسمان: شمالية وجنوبية، أربعة عشر منها شمالية وأربعة عشر جنوبية:

المنازل الشمالية:

فأول المنازل الشمالية: الشرطان، وهما كوكبان، هما قرنا الحمل، ويسميان النطح والناطح.

ثم البطين: وهو ثلاثة كواكب خفية، كأنها أثاف، يقال إنها بطن الحمل.

ثم الثريا: ويقال إنها ألية الحمل، وهى أشهر المنازل، وذكر العرب لها أكثر من ذكرهم لغيرهم.

ثم الدبران: وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا، ويسمى تابع النجم، ويسمى الفنيق وهو الجمل الكبير، ويسمى المجدح.

ثم الهقعة: وهى ثلاثة كواكب صغار، تشبه الأثافى.

ثم الجبهة: جبهة الأسد، وهى أربعة كواكب، خلف الطرف بين كل كوكبين منها فى رأى العين قدر سوط، وهى معترضة من الجنوب إلى الشمال.

ثم الزبرة: زبرة الأسد، أى كاهله، والكاهل مغرز العنق، وهى كوكبان نيران على أثر الجبهة، بينها قدر سوط، ويسميان الخراتين.

ثم الصرفة: وهى كوكب واحد على أثر الزبرة مضيء، عنده كواكب صغار طمس، وتسمى صرفة لانصراف الحر والبرد عند طلوعه وغروبه بالفجر.

ثم العواء: وهى أربعة كواكب على أثر الصرفة، تشبه كافا غير مشقوقة، والعرب تجعلها كلابا تتبع الأسد، وقال قوم: هى وركا الأسد.

المنازل الجنوبية:

الغفر: وهو ثلاثة كواكب خفية، بين السماك الأعزل وبين زبانى العقرب.

ثم الزبانى: زبانيا العقرب، أى قرناها، وهما كوكبان مفترقان، بينهما فى رأى العين مقدار خمسة أذرع.

ثم الأكليل: إكليل العقرب، وهو رأسها ثلاثة كواكب مصطفة متعرضة.

ثم القلب: قلب العقرب، كوكب أحمر وراء الإكليل بين كوكبين يقال لهما النياطان.

ثم الشولة: وهى كوكبان متقاربان يكادان يتماسان فى ذنب العقرب، وسميت شولة من قولهم: شال بذنبه إذا رفعه، وهى ذنب العقرب، وبعدها إبرة العقرب، كأنها لطخة غيم، ويتلو الشولة كواكب مختلفة تصير معها كذنب العقرب فى رأى العين.

معرفة الكسوف والخسوف:

وأما معرفة الكسوف والخسوف ففيه وجوه:

الأول: فى معرفة الاستقبالات التى يمكن فيها الخسوف.

الثانى: فى وجوب الخسوف وامتناعه.

الثالث: فى معرفة أصابع ما ينخسف من قطر القمر.

الرابع: فى مساحة ما ينخسف من جرمه.

تعديل أصابع الخسوفين:

الخامس: فى معرفة أزمان الخسوف مطلقة بغير تعديل.

السادس: فى تعديل أزمان الخسوف.

السابع: فى أزمان مكث القمر.

أزمان مكث القمر:

فصل: إذا كان للقمر مكث فله خمسة أزمان: بدء الخسوف، وبدء المكث، ووسط الخسوف، وبدء الانجلاء، وتمام الانجلاء، وإذا لم يكن له مكث فأزمانه ثلاثة: بدء الخسوف، ووسطه، وتمام الانجلاء.

مدة الخسوف:

فصل: ومدة الخسوف من الابتداء إلى الانتهاء هى مجموع ساعات بدء الخسوف، وساعات تمام الانجلاء المعدلتين، وكذلك إذا جمعت ساعات بدء المكث وبدء الانجلاء المعدلتين كان ذلك من بدء المكث إلى بدء الانجلاء، فاعرف ذلك.

التاسع: فى معرفة مقدار المنخسف من القمر عند طلوعه وغروبه.

العاشر: فى ناحية الخسوف.

الحادى عشر: فى تصوير خسوف القمر.

الثانى عشر: فى معرفة ألوان الخسوف.

كسوف الشمس:

الثالث عشر: فى إمكان الكسوفات الشمسية.

الرابع عشر: فى تعديل ساعات وسط الكسوف بعمل جامع لأقاويل مختلفة.

الخامس عشر: فى تعديل ساعات الاجتماع الليلى.

السادس عشر: فى تحقيق أمر الكسوف وعرض القمر المحكم.

السابع عشر: فى معرفة مقدار ما ينكسف من قطر الشمس.

الثامن عشر: فى معرفة مقدار ما ينكسف من سطحها.

التاسع عشر: فى أزمان الكسوف مطلقة، وهى الموصلة إلى المعدلة المطلوبة.

العشرون: فى تعديل أزمان الكسوف.

الحادى والعشرون: فى مكث الشمس فى الكسوف وحلقة النور.

الثانى والعشرون: فى معرفة مقدار الكسوف عند طلوع الشمس وغروبها.

الثالث والعشرون: فى انحراف ظلمة الكسوف وانجلائه.

الرابع والعشرون: فى معرفة تصوير الكسوف.

السفر الثالث

ممالك الشرق الإسلامى والترك ومصر والشام والحجاز

النوع الثانى
فى ذكر ممالك الإسلام جملة

ممالك الإسلام واقعة بحمد الله فى أحَسن المعمور شرقًا وغربًا وجنوبًا وَشمَالًا، لأنها لا تنتهى إلى غاية الحَرارَة المفرطَة ولا إلى غَايَة البَرد المفرط، إلا فيمَا قل، ولا يخرجُ عن حد المُستَطاب، وسَيأتى بَيان ذلك فى تحديد كل مملكة، فغاية معمور الجنوب مساكن السودَان من عُبَّاد النيران والأصنام، بما تغلغل من جزاير الهند وَأطرافه، والنصارى بأطراف الحبشة، وعبَّاد الحيَّات، والهمج فى سُودَان المغرب جنوب غَانه.

وغاية معمور الشمال من النصارى والهمج ببلاد الصقلب، فى شماليها أحد قسمى إيران المسَّماة ببلاد القبجاق، وما سامت ذلك الخط من القسطنطينية، وما وراءها إلى جليقية والأرض الكبيرة وجزاير البحر الرومى.

وغاية معمور الشرق من عُباد النيران والأصنام بثالث أقسام توران من بلاد الصين إلى المحيط، وأمَّا الغرب فانتهى فيه الإسلام إلى البحر المحيط وكلاطر فى الشرق، والغربُ بلاد صالحة وإن لم تكن الغاية، فالغرب إلى منتهى الغاية فى ممالك الإسلام، وَالصين وإن كان خارجًا من دعوة الإسلام، فإنه مُلْكُ عظيم جَليل القدر، ضخم الملك، وهو معظم توران، ولم يزل لملك الترك، وبه تخت فانهم الآن لقانهم من أبناء جنكيزخان، وسيأتى ذكره عند ذكر أبناء جنكيزخان.

الباب الأول
فى مملكة الهنْد والسِّند

هَذه مملكة عظيمة الشأن، لا تقاسُ فى الأرض بمَملكة سَواهَا لاتساع أقطارها، وكثرة أمَوالهَا وعسَاكرهَا، وأبهة سُلطَانْها فى رُكوبه وترولة ودست ملكه، وفى صيتها وسمعتها كفاية، ولقد كنتُ أسمَع من الأخبار الطائحَة وَالكتب المصنفة ما يملأ العين والسمع، وكنت لا أقف على حقيقة أخبارها، لبُعدهَا منا، وتنائى ديَارهَا عنا، فلما شرعت فى تأليف هذا الكتاب، وتتبعْت ثقاة الروَاة، وَجدت أكثر مما كنت أسمع، وأجَل مما كنتُ أظن، وحَسبُك ببلاد فى بحرهَا الدُر، وفى برَها الذهَب، وفى جبالها الياقوت وَالمَاس، وفى شعابها العود والكَافور، وفى مُدنها أسرِة الملوك، ومن وحُوشهَا الفيل والكركدنْ، ومن حَديدهَا سيُوف الهند، وبها مَعادن الحدِيد والزئبق والرصَاص، وَمن بَعض منابتها الزعفران، وفى بعض أوديتها البلور، خَيراتها مَوفُورة، وأسعَارهَا رخية، وعسَاكرهَا لا تعد، وممالكها لا تحد، لأهلها الحكمة وَوفور العَقل، أملك الأمَم لشهواتهم، وأبذلهُم للنفوس فيما يظن به الزلفى.

قال محمد بن عبد الرحيم الأقلينى الغرناطى فى تحفة الألباب: والمُلكُ العظيم والعدل الكبير والنعمة الجزيلة والسيَاسَة الحسنة والرخاء الدائم والأمن الذى لا خوف معه فى بلاد الهند وَالصين، وأهل الهنْد أعلم الناس بأنواع الحكمة والطبْ والهَندسة والصناعات العَجيبة؛ التى لا يُقْدر على منالها، وفى جبالهم وجزائرهم يَنبتُ شجر العُود والكافور وجَميع أنواع الطيب كالقرنفل وجَوزبُوا والسُنبُل والدارصينى والقرفة والسليخة والقاقلة والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير، وَعندهم غزال المسك وقط الزباد، ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت، وأكثرهَا من جزيرة سَرنديب.

وقد حكى ابن عبد ربه فى العقد عن نعيم بن حماد قال: بَعث مَلك الهند إلى عمر بن عبد العزيز كتابًا فيه من ملك الأملاك؛ الذى هو ابن ألف ملك وتحتهُ بيت ألف مَلك، وفى مربَطه ألف فيل، وله نهَران ينبتان العود والأكوة والجوز والكافور؛ الذى يُوجَد ريحه على اثنى عَشَر ميلًا، إلى مَلك العَرب؛ الذى لا يُشرك بالله شيئًا، أمَّا بَعد... فإنى بعثت بهَدية وما هى هَديّة ولكنها تحية، وقد أحببت أن تبعث إليَّ رجلًا يعَلّمنى ويفهّمنى الإسْلام والسَّلام، يعنى بالهَدية الكتاب.

حدثنى الشيخ العارف المبارك بقية السلف الكرام مبَارك بن محمود الأنبائى من وَلد مجدشاه أن حَاجب خاصى نفع الله ببَركاته، وهو الثقة الثبت، وله الأطلاع على كل ما يحكيه لمكانته ومكانة أسلافه من ملوك هذه البلاد، قال: إن هذه المملكة متسعَة غاية الإتساع، يكون طولها ثلاث سنين، وعرضها مَا بين سومنات وسرنديب إلى غزنة وطولها من العَرصة المقابلة لعدن إلى سد الإسكندر، عند مخرج البحَر الهندى من البحر المحيط، متصلة المدن ذوات المنابر والأسرة والأعمال والقرى والضياع والرساتيق والأسواق، لا يقطع بينها، ولا يفصل بينها خراب.

الباب الثاني
فى ممالك بيت جنكيزخان

الفصل الأول
فى الكلام عليهم جمليا

جعلت هذا فصلًا جامعًا لذكرهم، قبل ذكرهم على التفصيل فى ممالكهم، لأن هؤلاء منهم أربعة سلاطين بيد كل منهم مملكة عظيمة، استولوا بها على غالب المعمور من حدود الفرات إلى نهاية الشرق على الخط المستقيم المتصل بالسند، فالمسمى بالقان الكبير، وهو المتغلغل فى الشرق، منهم، وهو القائم مقام جنكيزخان، والجالس على تخته وسيأتى ذكره إن شاء الله.

والثانى منهم، هو صاحب إيران بمجموعها، وهى التى كانت بيد الأكاسرة، والثالث منهم، هو صاحب القبجاق، والرابع منهم صاحب مملكة ما وراء النهر، فانقسمت بينهم مملكة توران، وهى مملكة الترك القديمة، وبها كان افراسياب وأما صاحب إيران، فهو يفخر على الملكين؛ صاحب القبجاق وصاحب ما وراء النهر؛ بأن جده الأكبر هولاكو بن تولى ابن جنكيزخان، وهو جد القان الأكبر الآن.

وأمَّا أصل جنكيزخان، جد هؤلاء الملوك فى النسب، فنحن نذكر منتهى نسبهم إلى أن نأتى إلى جنكيزخان متبعهم، ومشرع الباسته لهم، ثم تفرع نسب كل ملك من هؤلاء الأربعة، فنقول وبالله التوفيق، قيل: إن جنكيزخان ينتهى نسبه إلى امرأة تسمى آلان قوا كانت متزوجة بزوج أولدها ولدين، اسم أحدهما بكتوت والآخر بلكوت، وأبناء هذين الولدين يسميان عند المغل الدرلكيه، ثم مات زوجها، وبقيت مرحلة بغير زوج،

فحملت فأنكر عليها المحل، وحُمِلت إلى من له الحكم بينهم، لينظر فى أمرها، فسألها مِّمن حملت؟ فقالت: ما حملت من أحد، إلا أنى كنت قاعدة وفرجى مكشوف، فنزل نور دخل فى فرجى ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل، وأنا حامل بثلاثة ذكور، لأن دخول ذلك النور كل مرة بولد ذكر، فأمهلونى حتى أضع، فإن وضعت ثلاثة ذكور، فأعلموا مصداق قولى،وإلا فرأيكم فيّ، فولدت ثلاثة أولاد ذكورًا من بطن واحد؛ بوقن فوناغى،وبوسن سالجى، وبوذنجر، وهؤلاء الثلاثة هم المسمون بالنورانيين نسبة إلى النور الذى ادعت أمهم أنه نزل فى فرجها، ولهذا يقال عن جنكيزخان أنه ابن الشمس وبوذنجر عليه عمود النسب إلى جنكيزخان.

فنقول: إن هذا بوذنجر ابن الآن قوا أولد بغا وبغا أولد ذو توم منن، وذو توم منن وذوتوم منن أولد قيدو، وقيدو أولد باى سنقر، وباى سنقر أولد تومنيه خان، وتومنيه خان أولد قبل خان، وقبل خان أولد تربان، وتربان أولد بيوكى بهادر، وبيسكوى بهادر أولد جنكيزخان، جد هؤلاء الأربعة.

وهذه الحكاية فى نسب جنكيزخان أكذوبة قيحة، وأحدوثة غير صحيحة، وإن صحت عن المرأة، فلعلها احتالت على سلامة نفسها من القتل، ولعلها سمعت قصة مريم الزكية، فتعلقت بحبل الشبهة، حتى أضلت أقوامًا بشبيه ذلك الحق.

نبذة من عقيدته وباسته وقاعدته وسيرته

قال الصاحب علاء الدين عطا ملك الجوينى: الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى، وأنه خلق السموات والأرض، وأنه يحيى ويميت، ويغنى ويفقر، ويعطى ويمنع، وأنه على كل شىء قدير.

قال مؤلف جهانكشاى: إن من أولاده من كان بملة عيسى، ومن دان بملة موسى، ومنهم من أخرج الجميع، وكل من اعتقد من بنيه مذهبًا لم يكن له تعصب على غيره ومنهم من تقرب بالأصنام، وكان جنكيزخان إذا تهدد أحدًا من الملوك أو كاتبه بالتحذير من صولته، قال له: إن أطعت كان لك كذا وكذا من الإعزاز والتقريب، وإن

عصيت فالله أعلم بما يكون حالك معنا، قال: ويلمح من هذا القول نوع من التوكل والتفويض.

وكان جنكيزخان يعظم رؤساء كل أمة وملة، ويتخذ تعظيمهم، وسيلة إلى الله تعالى.

قال: والمشهور من حالهم إسقاط المؤمن والكلف عن العلويين والفقراء والقراء والفقهاء والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم والزهاد حتى عن المؤذنين ومغسلى الموتى.

وكان لجنكيزخان عادة مستمرة، وإن كانت إلى الآن سارية فى الأولاد، وهى وفور الرغبة فى الصيد والأمر به والركوب إليه، فى كل وقت يتفرغ فيه من القتال، والمنازلة، وربما اشتملت حركته على مسيرة ثلاثة أشهر، يحافظ العسكر على ما تحويه تلك الحلقة، ويضايقون ما بين الخراكى والبيوت بالحبال، ولم يكن غرض السلطان من ذلك مجرد الصيد خاصة، وإنما مراءه تمرين عساكره، واستمرار أوامره، وإدمانهم على استعمال السلاح، وسفك الدماء، وتغلب القوة القضبية والمضاهرة على الأرواح.

وكان أولاده وأحفاده أزيد من عشرة آلاف، هذا ما ذكره الصاحب علاء الدين، وقد سألت شيخنا فريد الدهر شمس الدين الأصفهانى عن بنى جنكيزخان فقال: إن جنكيزخان أولد أربعة أولاد وهم جوجى وجدارى وتولى واوكتاى فقتل جوجى فى حياة أبيه، وكان أكبر أولاده، وأعزهم وخلف أولادًا.

الفصل الثاني

فى مملكة القان الكبير

قال الفاضل نظام الدين ابن الحكيم الكاتب البوسعيدى : إن هذا القان ما يزال يكتب إلى كل من القانات الثلاثة، يأمرهم بالاتحاد والألفة، وأنه إذا كتب إليهم بدأ باسمه قبلهم، وكلهم مذعنون له بالتقدم عليهم.

وأهل مملكته هم أهل الأعمال اللطيفة والصنائع البديعة التى سلمت إليهم فيها الأمم، وقد ملئت الكتب عن أحوالهم بما أغنانا عن ذكره.

ومما حُكى فى هذا أن صانعًا منهم صور فى نقوش الثياب الكمخاء عصفورًا على سنبلة حتى مثله كأنه حقيقة، فلما علقه حيث يعلق مثله، استحسنه كل من رآه، حتى مر به رجل، فعابه، فسُئل لأى شيء عبته؟ فقال: لأن العصفور إذا قعد على سنبلة أمالها، وهذه مستقيمة ما هى مائلة، فاستحسن قوله، ووضع قدر الصانع.

ويجلس القان كل يوم فى صدر دار فسيحة تسمى شن هى عندهم من دار العدل عندنا، ويقف حوله الأمراء المذكورون عن اليمين وعن الشمال على مقادير الرتب، ورأس الكتاب المسمى لنجون فى آخرهم، فإذا شكى أحد شكوى أو سأل حاجة المذكور، فيقف عليها هو ومن معه فى الرتبة، ثم يوصلانها إلى من يليهما فى الرتبة، وكذا إلى أن تصل إلى القان، ويأمر فيها بما يراه مع العدل التام، والإنصاف المفرط.

قال: وهذا القان الكبير، ذو ملك كبير، وعسكر مديد، قال: والذى أعلم من أمره أن له بزدارًا تركب الخيل، وعساكره من المغل عشرون توماتًا وهى مائتا ألف فارس، وأما من الخطا فما لا يحصى.

الفصل الثالث
فى التورانيين وهم فرقتان

الفرقة الأولى: فيما وراء النهر، الفرقة الثانية: فى خوارزم والقبجاق.

الفرقة الأولى فيما وراء النهر وما قبلها وما بعدها من ممالك تركستان، هى من أجل الممالك، وأشهرها، والنهر المشتهر لهم هو جيحون، وهو النهر الذى ينبع من ونج حتى يصب فى بحيرة خوارزم وهى ممالك طائرة السمعة، طائلة البقعة، أسرة ملوك وأفق علماء ودارة أكابر، ومقعد ألوية وبنود ومجرى سوابق وجنود، كانت بها سلطنة الخانية وآل سامان وبنى سبكتكين والغورية، ومن أفقها بزغت شمس آل سلجوق وامتدت فى الإشراق والشروق، وغير هذه الدول مما طم سيول هذه الممالك على قربها.

ومن بلاد هذه المملكة فرغانة والشاش واستيجاب وأسروشنه وبلاد الختل، وفيها طرف من السند من غزنة إلى جنوبها وأقاليم هذه المملكة واقعة فيها على ما يذكر، وبلاد الختل آخذة على جانب جبال اليتم مغربًا بشمال، ويليها الصعورانات فى الشمال، ثم تزيد إلى ما يتاخم خوارزم وبلاد فرغانة، آخذة على جانب جبال اليتم شرقًا بشمال ويليها بلاد السابون فى الشمال ثم الشاش وأعمالها إلى حائط عبد الله بن حميد المعروف بحائط القلاص فى خارجه بلاد استيجاب فى الشمال بشرق.

وبلاد الغزنة ممتدة فى نهاية الشمال من أطراف بحيرة خوارزم فى الغرب إلى بلاد استيجاب فى الشرق ومراعى باران، وخجند داخل بلاد الغزنة، بينها وبين حائط القلاص، وبلاد أشروسنة فى الوسط على نهاية الأنهار النازلة من جبال اليتم من جهة المشرق.

وأما أكابر مدنها المشهورة وهى القواعد العظام والأمهات الكبار، فإقليم غزنة وإقليم ما وراء النهر وهو نجارى وسمرقند وخجنده وترمذ، وإقليم الشاش وهو الشاش. ومغالاق، وإقليم فرغانة، وهو بدغينان ورباط سرهنك وايدكان وأوش وإقليم تركستان شهركند وجند وفارجند ووأطرار. وشبرم وجكل وجاص كن وبرساكن وامزدابان ونيلى وكنجك وطرانْ، وهو المسمى بلاس، ونيكى كن وسيكول والمالق وبيش مالق وحُبوك وقرشى وختن وكاشفر وبدخشان ودراوران. ودرَّه وبلاصاغون، كل واحدة ذات مدن وأعمال ورسائق وقرى وضياع، مأوى الأتراك، وغيل أسودهم وجو عقباتهم.

وقرشى قاعدة الملك بها الآن وهى على نهر قراخوجا فى نهاية الحد، ثم بخارى ثم سمرقند ثم غزنة وإن كانت بخارى مما لا تسير إليها ركابهم ولا ترسى عليها خيامهم، ولكن لعظمة مكانها، وسالف سلطانها، وسيأتى ذكر هذه القواعد فى مواضعها.

ولم يسلم ملوك هذه المملكة إلا من عهد قريب فيما بعد خمس وعشرين وسبعمائة، أول من أسلم منهم ترماشيرين رحمه الله، وأخلص الله وأيد الإسلام، وقام به أشد القيام وأمر به أمراءه وعساكره فمنهم من كان قد سبق إسلامه، ومنهم من أجاب داعيه، وأسلم، وفشا فيهم الإسلام، وعلا عليهم لواؤه، حتى لم تمض عشرة أعوام حتى اشتمل فيها بملأته الخاص والعام، وأعان على هذا ما فى تلك الممالك من الأئمة العلماء والمشايخ الأتقياء، فاغتنموا من الترك فرصة الإذعان، فعاجلوهم بدعوة الإيمان، وهم الآن على ما اشتهر عندنا، واستفاض، أحرص الناس على دين، وأوقفهم عن الشبهات بين الحلال والحرام، وعساكرهم هم أهل النجدة والبأس، لا يجحد هذا من طوائف الترك جاحد، ولا يخالف فيه مخالف.

الفرقة الثانية فى خوارزم والقبجاق

حدثنى الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلى أن هذه المملكة متسعة الجوانب طولًا وعرضًا، كثيرة الصحراء، قليلة المدن، وبها عالم كثير، لا يدخل تحت حدٍ، وليس لهم كبير نفع لقلة السلاح ورداءه الخيل.

وأرضهم سهلة قليلة الحجر لا تطيق خيل، ربيت فيها الأوعار، فلهذا يقل غناء أهل هذه المملكة فى الحروب، وليس لملوكهم عظيم عناية بالأوضاع، وترتيب سلطان هذه البلاد فى أمور جيشه وسلطانه ترتيب مملكة العراق والعجم، فى عدة الأمراء والأحكام والخدم، ولكن ليس لأمير الألوس والوزير بها تصرف أمير الألوس والوزير بتلك المملكة، ولا لسلطان هذه المملكة نظير ما لذلك السلطان من الدخل والمجابى وعدد المدن والقرى، ولا مشى أهل هذه المملكة على قواعد الخلفاء مثل أولئك.

ولخواتين هؤلاء مشاركة فى الحكم معهم، وإصدار الأمور عنهم مثل أولئك وأكثر إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان امرأة أبى سعيد بهادر بن خدابنده، فإننا ما رأينا فى زماننا، ولا سمعنا عمن قارب زماننا أن امرأة تحكمت تحكمها، وقد وقفت على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده، وفيها وانفقت آراء الخواتين والأمراء على كذا أو ما يجرى هذا المجرى.

وقاعدة الملك بها السراى،وهى مدينة صغيرة بين رمل ونهر، وقد بنى بها سلطانها القائم بها الآن ازبك خان مدرسة للعلم، وهو معظمٌ لجانب العلم وأهله.

وفى سلطان هذه المملكة طوائف الجركس والروس والآص وهم أهل مدن عامرة وآهلة، وجبال مشجرة مثمرة، ينبت عندهم الزرع، ويدر الضرع، وتجرى الأنهار، وتجنى الثمار، ولا طاقة لهم بسلطان هذه البلاد، وهم معه، وإن كانت لهم ملوك كالرعايا فإن داروه بالطاعة والتحف والطرف، كف عنهم، وإلا شن عليهم الغارات، وضايقهم بالحصار، وكم مرة قتل رجالهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض.

وبمدنهم كثير من الخضراوات كاللفت والجزر والكرنب وغير ذلك، فأما فى مدن الجركس والروس واللاص فإنه كثير عندهم جدًا، وبها العسل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالى من الحدة، وقد نشأ الآن فيهم الإسلام، وأشرق على أقطارهم نور الإيمان.

ومن شأن ملوكهم إذا غضبوا على أحدٍ من أتباعهم أخذوا ماله، وباعوا أولاده، وكذلك إذا سرق سرقة استحق المسروق له مال السارق وأولاده، وباعهم، ومن خطب إلى أحد بنته، وأعطاه القليل، زوجه لها ثم لا يعود يسأله عنها كما ذكرنا فى مملكة ما وراء النهر.

الفصل الرابع
فى مملكة الإيرانيين

وهى العراق والعجم وخراسان، هذه المملكة طولًا من نهر جيحون المحيط بآخر حد خراسان إلى الفرات القاطع بينها وبين الشام، وعرضًا من كرمان المتصل بالبحر الفارس المنقسم من البحر الهندى إلى نهاية ما كان بيد بقايا الملوك السلجوقية بالروم، على نهاية حدود العلايا وأنطاكية من البحر الرومى،ويفصل فى الجانب الشمالى بين هذه المملكة وبين بلاد القبجاق النهر المجاور لباب الحديد، وهو المسمى باللغة التركية دمرتايو، وبحر طبرستان وهو المسمى ببحر الخزر وبالقلزم.

وهى متوسطة فى المعمور؛ من أجَّل ممالك الأرض وأوسطها فى الطول والعرض، وبها تخت الأكاسرة إلى أن تسلمه الإسلام، ثم استقرت بها قاعدة الخلافة العباسية إلى آخر الأيام، ذات أقاليم كثيرة. ومدن كثيرة، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات.

وقاعدة الملك بها الآن توريز ثم السلطانية وبيت هولاكو يرون أن الملك من قعد على التخت باوجان وأوجان فى ظواهر توريز.

وفيها من المالك العظيمة العراقان؛ عراق العرب، وعراق العجم وخراسان وكرمان وفارس وآذربيجان وآران والرى والجبال وديار بكر وربيعة والجزيرة وأرمينية وكرجستان والروم، وإذا أنصفت هذه المملكة كانت قلب الدنيا على الحقيقة.

وهذه المملكة تندرج فى مطاويها عدة ملوك كلهم عبيد سلطانها، كصاحب هرى، وأصل اسمها هراة، وصاحب كرمان وصاحب كيلان، وصاحب سمنان وصاحب مالاين وصاحب أرزن، ونحن نتكلم على قواعد الملك بها.

أما توريز فواقعة فى آذربيجان، وهى مدينة قديمة، أغرقت فى السعادة أنسابها، وثبتت فى النعمة قواعدها.

وأما السلطانية فواقعة فى عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده أو بخانتوين أرغوت بن أبغا بن هولاكو، ووسع قناءها، وأُتقنت قسمتها فى الخطط والأسواق وجلب إليها الناس من أقطار الأرض، ومن أقطار مملكته، واستجلبهم إليها بما بسط لسكانها من العدل والإحسان، وهى الآن عامرة آهلة، كأنما مرت عليها مئين سنين، لكثرة من استوطنها، وتأهل بها وأولد من الولد فيها، وقد مضت عليها مدة بلغ بنوها مبالغ الرجال، ومنهم من جاز إلى رتبة الاكتهال.

وأما أوجان فهى بظاهر توريز ذات مروج ممتدة وماء جم، وبها قصر اتخذه أواخر ملوكهم صار معدًا لمنزل السلطان، وبنى أكابر الأمراء قصورًا لمنازلهم حوله.

ومما لا بد من ذكره فى هذه المملكة مدينة بغداد دار السلام ومدار الإسلام لأنه مما لا يجوز إهمال ذكرها وإخلاء هذا الكتاب من شيء عن حالها، فإنها، وإن لم تكن اليوم كرسى مُلك، فإنها كرسى ملك الوجود، وقد تقدم القول أن المنصور أبا جعفر بناها، وهى جنبان على ضفتى دجلة، شرقى وغربى كل منهما مدينة كبيرة عظيمة غنية بنفسها عن الأخرى، إحداهما بناه المنصور، والأخرى بناها المهدى موضع معسكره، وبينهما جسران منصوبان، أحدهما يعرف بالعتيق والثانى بالجديد، وهما منصوبان على دجلة شرقًا بغرب على سفن وزواريق أوقفت فى الماء، ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالكعاب الثقال، وفوقها الخشب الممدد وعليهما التراب مغدف بالقير يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالجمال والخيل والحمول، وعلى ضفتى دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية، بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة.

وبناؤها بالآجر وهو المسمى بمصر الطوب، ومن بيوتها ما هو مفروش بالطوب وما هو مفروش بالقير، ولهم الصنائع العجيبة فى التزويق بالطوب، وبها تتلاقى دجلة والفرات، وبها البساتين المونقة، والحدائق المحدقة.

فأما الرطل البغدادى فوزنه مائة وثلاثون درهمًا، والمن بها مثله من توريز، وهو رطلان بالتورانى،وأما كيل الغلال بها فأكثرها الكز، وهو ثلاثون كاره وكل كاره قفيزان فيكون الكز ستون قفيزًا، والقفيز مكوكان والمكوك خمس عشر آق.

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانًا، هو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار رائج، عنها تسعة آلاف ألف درهم، قال: ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا فى تقارير البلاد.

وأمَّا الخواجكية من أرباب الأقلام فمنهم من يبلغ فى السنة ثلاثين تومانا، وهى ثلاثمائة ألف دينار عنها ألف ألف. وثمانمائة ألف درهم، قال: وبهذه المملكة ما لا يحصى من الإدرارات والمعيشات والمرسومات، حتى أن بعض الرواتب تبلغ عشرين ألف دينار، وأما الإدرارات من المبلغ أو القرى فإنها تبقى لصاحبها كذلك يتصرف فيه كيف شاء، من بيع وهبة ووقف لمن أرادوا المعايش لمدة الحياة غير المرسومات والإنعامات، قال: وهى ما لا يحصى.

وبهذه المملكة مستعملات القماش الفاخر من النخ والمخمل والكمخا والعتابى والتصافى والصوف الأبيض الماردينى،وهو فى النهاية فى بابه، ويعمل البسط الفاخرة فى مواضع بها مثل شيراز وأقصرا وتوريز.

وفى هذه المملكة عدة ملوك مثل صاحب هرى، وهى هرى من خراسان فى أخريات البلاد، مجاورة لكرمان، وبها ملك من بقايا ملوك السبكتكينية يتوارثون ملكها، ذات بلاد وأعمال وجباية وأموال ولسلطانها عسكر يقال أنها عشرون ألفًا.

وهذه هرى مدينة جليلة من أجل مدن خراسان، مشهورة موصوفة بالحسن والنعمة، وبها الماء السارح والشجر الكثير، رخية الأسعار، حكمها حكم ما سواها من خراسان، إلا أنها مملكة تتداولها ملوك، وكلهم فى ظاعة صاحب إيران، وتحت أمره، وعسكر هرى من الفرس، وفيهم البهالوين ذوو البأس والقوة.

وبهذه المملكة أبلة البصرة وشعب بوان، وهما نصف متنزهات الدنيا الأربعة ذات المحاسن المنوعة.

فأما الأبلة فمدينة قديمة دثرت الآن، وبقى متنزهها على ما كان، والأبلة نهر مشتق من دجلة، مرفوع إلى البصرة يسقى بساتينها، والبصرة أشهر من أن توصف حدائقها الملتفة، وجداولها المحتفة، وما تفتر به رياضها من بدائع الزهرات، وتفردت به حدائقها من يانع الثمرات.

ويحيط بالأبلة نهرها المشتق لها، ونهر معقل فلهذا صارت بين سلكيهما فى أبهى منظر وأحرز معقل، وبها النخيل المايسات، القدود المائلات فى خضر البرود، لا يفوق شيء رطبها الجنية، وثمراتها الهنية كأنها السكر المذاب بل شفاه لعمرٍ معسولة الرضاب.

وأما شعب بوان فهو بظاهر همدان، يشرف عليها من جبل يقال له بالفارسية: الرند، والشعب فى سفحه تضاحك الأفق ثغر صبحه، والأنهار تنحدر عليه من أعلى الجبل، ويناجيه حبها برقة الغزل يتيه على أنديتها مقبلًا، ويترامى على شفاهها الخو مقبلًا، قد تكسرت على رباها، فأوهمت الغوانى فى حُلاها، بقاة عواضها المخضرة كالعذار، والتفتت حدائقها إليها كأنها اعتذار، وهو من أبدع بقاع الأرض منظرًا، وأندى دوحًا نضرًا.

ومنها هرمز بلاد تحيط بها مما يلى الشرق مفازة بين أرض بكران وأرض السند وبين سجستان وفارس، ومن ناحية الغرب خراسان وشيء من أرض الهند، وما يلى الشمال أرض الهند، ومما يلى الجنوب المفازة التى بين سجستان وفارس وكرمان وخراسان، ويشتمل على كور ويحيط به من شرقيه نواحى سجستان وبلاد الهند، وجبال الغور، وغربيه مفازة القرية وناحية جُرجان، وشماليه ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك، وجنوبيه مفازة فارس وريفه، ومن الغرب من حبر قوس إلى الغرب، وفيها من حد جرجان وبحر الخزر إلى خوارزم تقويسًا على العمارة.

الباب الثالث
فى مملكة الجبل

حدثنى الشريف محمد بن أحمد بن عبد الواحد الحبلى أن بلاد كيلان فى وطأة يحيط بها أربعة حدود، من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الغرب عراق العجم، يفصل بينهما جبل يعرف مازنذران يعرف بأشناده فى سفحه الجنوبى قرى ممتدة تسمى بلاد التارم داخلة فى مملكة كيلان، وبأيدى ملوكها، وهو جبل عالٍ لا يرقى إلا من طلوع الشمس إلى العصر، وهو جبل مشجر.

قال: وهى شديدة الأمطار والأنهار كثيرة، والفواكه خلا النخل والموز وقصب السكر والمشمش، ويجلب إليها المحمضات من مازندران، ومدن كيلان غير مسورة، ولملوكهم قصور علية، وجميع مبانى كيلان بالطوب المشوى،مفرشة بالطوب مثل بغداد، مسقفة بالخشب، وبعضها معقودة أقباء، وعليها قش مضفور، وفى غالب ديارها آبار قريبة المستقى نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل، والأنهار تحكم كل مدينة.

وغالب أقوات كيلان الأرز، يعمل منه خبز مليح، ورقاق مع تيسر القمح والشعير، والغنم، والبقر كثيرة عندهم، وأسعارها متوسطة إلى أرخص.

وبها المساجد الجليلة ومدارس تسمى عندهم الخوانق، وزوايا وحمامات لطاف، يجرى إليها الماء من الأنهار، وبها الحرير الكثير، ولها حصون فى نواحى مازندران وجزائر فى القلزم، وبها رمان وبلوط وفواكه، ولا يجرى بها ماء، وبها تحصنهم عند مغالبة العدو لهم.

ولملوكهم زيٌّ جَمِيلٌ على قدر دخل بلادهم، فإنه ليس بالكثير لضيق بلادهم، ولأنها لا مكس بها ولا مؤذى فيها، لهم أمراء الطبلخانات ويركب الملك بالرقبة السلطانية،

والحجاب والسلاح داريه والجمدارية، والجنايب المجرورة، ويركب الأمير ووراءه صاحب أربعة وخمسة وأكثر، ولباسهم أقبية إسلامية ضيقة الأكمام وتخافيف صغار، ويشدون المناطق والبنود، وخيلهم براذين جياد مشكورة، وسروج منها المحلى بالفضة، وزيهم كلهم قريب من الزى العسكرى الخوارزمى،ويتخذ بظواهر قصور ملوكهم ميادين خضرًا يعمل فى أوساطها قصورًا صغارًا من الخشب، فيها جلوسهم للخدم والمظالم.

الفصل الأول
فى بومن

صاحب بومن شافعى المذهب، دون من معه من بلاد الجبل، مذهب نشأ عليه ملوكها، وعسكره يزيد على الألف فارس، وهو صاحب اللاهيجان، بلادهم قليلة، وإنما غالب دخلها من التجار والحرير بهما كثير، ولهذا بينهما وبين التتار مكارمة ومهاداة، لدخول التجار البلاد لجلب الحرير منهما، واحتياجهما إلى ما عندهما من الحرير، على من يدخل إليهما، وبقية بلاد الجبل محتاجة أيضًا إلى بومن، واللاهيجان من أجل هذا، وحاجتهما إلى بومن أكثر، لما يوجد بها من القماش والمعمولات، وبها فيما يحاذيها من الجبل معدن حديد.

الفصل الثاني
فى صاحب توليم

صاحبها أمره قيب من صاحب بومن، ولكن لا حرير ببلاده، وهو حنبلى المذهب، وعدة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولصاحبها فى وقتنا هذا على ملوك الجيل سيما استظهار، لأن عسكر توليم كان لهم فى واقعة قطلوشاه اليد الطولى، والبطش الغالب، فثبت لهم فى قلوب جيرانهم ما هو ظاهر عليهم إلى الآن، وزيها كزى أخواتها.

الفصل الثالث

فى كسكر

وصاحبها له حولة فى ملوك توليم، وجيشه أكثر عددًا من بقية ملوك الجيل، وبلاده أوسع وأرضه أخصب وأكثر حبًا وفاكهة وأغنامًا وأبقارًا مما حولها، ولها رفق زائد ممن يجاورها من الأكراد، وما يجلبه إليها من الأجلاب، وأسعارها أرخى وأرخص مما سواها، وزيها كزى أخواتها.

الفصل الرابع

فى رسقت

وهم أميل إلى الجبل، وأبعد عن البحر، وإنما رسقت أونى إلى الجبل منها، وهى مناسبة لأخواتها فى غالب أحوالها، وهى كثيرة السمك والطير، ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلانى قدس الله روحه ونور ضريحه، وهو القليل مثلاً، العديم مثلًا، الواحد علمًا وعملًا، وستأتى إن شاء الله ترجمته فى مكانها.

الباب الخامس
فى مملكة الجبال

وبلادهم جميعًا بلاد خصب زائد ومزارع وموارد وزروع وفواكه، وثمر متشابه وغير متشابه، وكلهم أهل غناء ودفاع وحصانة وامتناع.

الفصل الأول
فى الأكراد

هم جنس خاص من نوع عام وهم ما قارب العراق وبلاد العرب دون من توغل فى بلاد العجم، ومنهم طوائف بالشام واليمن، ومنهم فرق مفترقة فى الأقطار، وحول العراق وديار العرب جمهرتهم، وغلب فى زماننا بما يقارب ماردين، منهم إبراهيم بن على المسمى بالعزيز مالو، واستفحل أمره، وقويت شوكته، واجتمعت عليه جموع وبرقت بها سنة ودروع، دنوه باسمه الداعى،وتقيدت دون غايته المساعى،ثم مات، وقام ابنه بعده، ولكنه ما حكى الوالد الولد ولا سد الشبل موضع الأسد.

وعدة القوم تزيد على خمسة آلاف، لابين بينهم ولا خلاف، ومن بعدهم الكلالية وهم قوم لهم مقدار وكمية، تعرف بجماعة سيف الدين صبور، ومقامهم دانترك ونهاوند إلى قرب شهرزور، وعدتهم ألف رجل مقاتلة وقوية وأميرهم يحكم على من جاورهم من العصابة الكردية حكم الملك على جنده ويقدر على جمع عدد أصناف عشيرته، لأنهم واقفون بصدق كلمته، وحسن سيرته.

ويلى الكلالية بجبال همذان قوم يقال لهم رنكليه، أصحاب شجاعة وحيلة وعدتهم ألفان، يقال لهم جماعة جمال الدين بالان، يحكم على بلاد كنكور وما جاورها من البقاع والكور.

وثانى بطونهم نفران نفر يقال لهم البلية والآخر يعرف بالجاكية، وكان الأمير عبد الله بن شهاب الدين زنكى أمير النقرين، وثالث بطونهم كان لفخر الدين أمير قيم، والآن أخوه اختيار الدين عمر بن أبى بكر.

وتختص الحسائية ببلاد الكركار، وتشاركهم الفرياوية فى الخضارة المأخوذة بدربند قرايلى مشاركة الآخرين.

ثم يليهم بلاد الكرجين ودقموق الساقية، عدتهم تزيد على سبعمائة، وكان أميرهم شجاع الدين بابكر، رمامى،ذابًا عن دينه، محاربًا عن حزبه.

والهكارية يأخذون الخفارة فى أماكن كثيرة من بخارى إلى جبل الجزيرة، ويليهم من قبل المرج جبال القمرانية وكهف داود، وهذه الأماكن أوطان البستكية وقليل ما هم، لكنهم حماة رماة وطعامهم مبذور على خصاصة، وعدتهم لا تزيد على خمسمائة، وأميرهم مقيم بالقمرانية، ويقابل الجولمركيه من قبل الموصل البختية، وهم قوم كانوا يضاهون الحميدية، لكن شعبهم أكثر، وقبيلهم أكثر، فكان لهم كبراء وأعيان فهلك أمراؤهم، وتشتت كبراؤهم، وتفرق جمعهم المعهود، ولم يبق منهم إلا مشرذمة قليلة، تفرقت بين القبائل والشعوب، وكان من بقايا أمرائهم فخر الدين خدم صاحب ماردين فأبعده لأقوال قيلت.

وشعبهم كثيرة، وقبائلهم متفرقة منهم السندية وهو أكثر شعبهم عددًا، وأوفرهم مددًا، يبلغون ثلاثين ألف مقاتل مختال مخاتل والمحمدية، وكان أميرهم شروين، لا تزيد على ستمائة رجل، والراستية كانوا أولى عَددٍ وعُددٍ وجمع ومدد إلى أن نزح أميرهم البدر بن كيايك من ذلك البلد، بالأهل والولد، إلى متعة وقد تشتت شملهم، وتفرق جمعهم وعاشاه، عدتهم لا تزيد فى بلد الموصل، لا تزيد على ألف رجل، وأميرهم علاء الدين كورك بن إبراهيم، ولا ينقص من بلد القعر فى خمسمائة وأميرهم عمر بن أبى على

وموسى بن بهاء الدين، والدينلية وهم يسكنون الجبال المقلوب، والمختار مطلوبون بالخضارة أميرهم كلتى،ولا تزيد على ألف متفرقين فى البلاد، متمزقين فى كل واد.

الفصل الثاني
فى اللـــر

وهؤلاء طائفة؛ كثيرة العدد، ومنهم فرق مفرقة فى البلاد، وفيهم ملك وإمارة، وإقدام وشطارة، ولهم خفة فى الحركات، وصدق فى القول، يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع، ويلصق بطنه بأحد الزوايا القائمة به، ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صهوته، العليا، ومنهم من يخالس الرجل ماله، ويأخذه منه، وهو لا يدرى. وربما أمسِك الرجل منهم، وضُربَ بالسياط، وعُوقب أشد العقاب، فلا يقر أنه أخذه، ولا يعرفه، فإذا حلف بستر الله، وأقسم عليه به، أقر واعترف.

وفى بلاد مصر والشام منهم طوائف، وفى بلاد الشامية معظمهم، ولهم فى هذا وقائع مشهورة، وأحوال مشهودة.

وأما ما يروى من مشى هذه الطائفة على الحبال المنصوبة، على قامات من الأرض، وانقلابهم عليها فى الهواء، حتى يصير رأس الرجل منهم منكوسًا إلى الأرض، ورجله متعلقة بالحبل ثم يستوى على قامته، ثم يمشى على الحبل بالقبقاب، ويلعب فوقها بالمخاريق، ما تحار له الألباب، ويحاك فيه لنوادر العجب العجاب، وإن نساءهم يفعلن، وتركضها أشد مركض، ثم تطيح عنها فى قوة جريها إلى الأرض ثم تثب عليها فيستوى على ظهرها، ثم تصير حزامًا لبطنها، ثم تنزل صهوة الفرس، وتعنق العنق تارة من أعلاها وتارة من تلقاء صدرها إلى غير ذلك من عجائب الأفعال وغرائب الخفة فى المجال.

الفصل الثالث
فى الشول

وهؤلاء حكمهم حكم شنكاره، وما يبعد بعضهم عن بعضَ فى موازنة العقول، إلا

أنه لا يخلو بينهم من دماء تطل، ومواثيق فيما بينهم تحل، وفيهم كرم وسماح، يقصدهم الفقراء وتنزل فى قراهم، وتقيم فى ضيافتهم وقراهم، ولهم فيها، ولهم فيهم حسن الظن إذا أنزلهم الفقير أنزلوه فى بيوتهم، يمس ويصبح عندهم وبين نسائهم، فإن اطلعوا على أحد منهم أنه خان أو تطرق إلى حريم، أخرجوه من بيوتهم، وتبعوه، فإما نجا وإما أدرك، فقتل ولا يقتلون أحدًا منهم فىَ بيوتهم، سترًا على حريمهم، وخوفًا من تنفير الفقراء عنهم، لحسن ظنهم فيهم.

الفصل الرابع
فى شنكاره

وهم أحسن من اللر طريقًا، وأقل فريقًا، وفيهم رعاية الذمام، وتمسك من الشريعة المطهرة بزمام، ولهم بأس وشجاعة، وعندهم لأمرائهم سمع وطاعة، على أنهم أشد من الأسود إذا غضبوا، وأخف من البروق إذا وثبوا، يكون الرجل منهم فى أسفل الجبل العالى،ثم يأخذ فى الصعود، ويرشق محاربه السهم، فيكاد يسبق السهم، وقد بلغ غايته، وما انحدر أو يوافى هو وإياه على قدر.

الباب الخامس
فى مملكة الأتراك بالروم

أما المسماة الآن بمملكة الروم فقد كانت مملكة لا ترام، ولا يحلق إليها مرام، وهى مما هو من الخليج القسطنطينى ممتدًا على جنوب بحر بنطس، وماء بنطس محجوزة بجبال يزل الطرف عن صهواتها، ويخل الطرف بعوائدها، فى اقتحام حجراتها، وكانت آخر وقت زمان، بقايا بنى سلجوق، معدن الخيرة والخير، ومسلك مسكن الملك، صاحب القبة والطير، وكان لسلطانها من إرث أبائه حرمة محفوظة، ونعمة على معاطف الملوك ملحوظة، وقد تقدم فى هذا الكتاب ما ينبه على ما لهذه البلاد فى المجد من الطارف والتلاد.

كانت على عهد الروم؛ الباقى عليها نعتهم، إلى الآن محتبك الأعنة، ومشتبك الأسنة، دار القياصرة، ومكسر الأكاسرة، وكان لملكها الرتبة العلياء، وكانت بقسمة التعديل ثلث الدنيا، لأنه لم يكن يسمى من ملوك الأرض إلا ملوك الفرس والروم والترك.

وهكذا قسم فريدون، حد هؤلاء الملوك الثلاثة الأرض بينهم بالإثلاث، فالروم لهم الثلث وهم أهل التثليث وهذا الذى نحن فى ذكره الآن، مما وقع فى قسمهم، وطبع إلى وقتنا بطبائع اسمهم، هو الواقع على شرقى الخليج القسطنطينى متصلًا بأرمينية وديار العرب والعواصم والشام.

وقد ذكر أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر دخول الملك الظاهر رحمه الله هذه البلاد، وخروجه فى رسالة قال فيها: وسرنا لا يستقر بنا قرار، ولا يقتدح من غير سنابك الخيل نار، ولا نقيم إلا بقدر ما يتزيد الزائر من الأهبة، أو يتزود الطائر من التغبة، تحمل همنا

الخيل العتاق، ويكبوا البرق خلفنا إذا حاول بنا اللحاق، وكان السلطان من حلب قد أمر جميع عساكره بإدراع لامات حربهم، وحمل آلات طعنهم وضربهم، ورحلوا من حلب جرائد على الأمر المعهود، قد خفقوا كل شيء حتى عن السيف الغمود، فسرنا فى جبال تشتهى فيها سُلوك الأرض، وأودية تهلك الأسواط فيها إذا ملئت الفروج من الأرض واستقبلنا الدرب.

ومررنا من دلوك وهى رسوم باكية على سكانها، ضاحكة عن تبسم أزهارها، وتقهقه غدرانها، ذات بروج مشيدة، وأركان موطدة، ونيران تزاويق موقدة فى عمد من كنائسها ممددة، وسرنا إلى مرج الديباج نتهادى، وذلك فى ليلة مدلهمة ذات أندية، وإن لم تكن من جمادى، لا يثبت تُربها تحت قدم المار وكأنما ساكنها يمشى على شفا جرف هار.

وشاهدنا منها ما بناه سيف الدولة بن حمدان، فالقنا يقرع بالقفا، وموج المنايا تتلاطم، وقيل لسلطاننا هناك على قدر أهل العزم تأتى العزائم، غضب الدهر والملوك عليها فبناها فى وجنة الدهر خالا.

وسوق قيصرية طائف بها من حولها، وليس داخل المدينة دكان ولا سوق، والوزير فى بلاد الروم يعرف بالصاحب فخر الدين خواجا على،وهو لا يحسن الكتابة، ولا الخط، وخلفه من مماليكه خاصة مائتا مملوك، ودخله غير دخل أولاده وغير الإقطاعات التى له ولأولاده وخواصه سبعة آلاف درهم سلطانية، ولقد شاهدت فى مدرسته من خيامه وخركاواته شيئًا لا يكون لأكبر الملوك، وله بر ومعروف وبالخير معروف.

وأما ما نحن بصدد ذكره من ممالك الأتراك فى الروم، فقد حدثنى الشيخ حيدر العريان السبر حصرى الرومى،وهو من أهل مدينة سبر حصر من بلاد الروم، مما هو فى أيدى ملوك بيت جنكيزخان، قال: إن لهؤلاء أمراء الأتراك نقود ألا يخرج نقد واحد منهم فى بلاد الآخر، ودرهمهم فى الغالب فى تقدير نصف وربع درهم من نقدنا، والرطل مختلف عندهم، وأكثرها بالتقريب زنة اثنى عشر رطلًا بالمصرى،وأقلها زنة ثمانية أرطال.

قال: وأما الغلات فتباع بكيل لهم يعرف بالوط، وهو يجيء تقدير أردب ونصف بالمصرى.

قال: وهذه البلاد بل الروم جميعه فيه من أنواع الفواكه. كلها إلا الحوامض كالليمون والنارنج وما لا يوجد فى الصرود كالرطب والموز، وقد يوجد ما قل من الحوامض فى بعضها مما هو على ساحل البحر.

وأما الدواب والسوائم فأكثر من أن يقع عليها إحصاء أو حساب من الخيل والغنم والبقر، وأعظمها عددًا وأنماها ولدًا الغنم، فإنها تبسط فرش الأرض منها المعز الموغر ذوات الأوبار المضاهية لأنعم الحرير، وغالب قنية أهل الشام وديار بكر والعراق وديار العجم، وذبائحهم مما يفضل عنها، ويجلب إليها منها، وهى أطيب أغنام البلاد لحمًا، وأشهى شحمًا، وبها العسل المضاهى للثلج بياضًا، والسكر فى اللذاذة طعمًا، لا حدة فيه ولا إفراط حلاوة توقف الأكل.

فأما ما عده العريان من ممالك الأتراك فهو مملكة انطاليا، وصاحبها خضر بن دندار، وقال: أن لصاحبها مدينة افنيكا، وأميرها الذى هو بها الآن من قبله، وهو من أولاد منتشا، وقال: إن عدة عسكره نحو أربعين ألف فارس.

ومملكة رملاش بلاد ابن منتشا، وقال: عسكره لا يزيد عن ثلاثة آلاف فارس.

ومملكة بركرى بلاد محمد بن ايدين، وأن عسكره نحو عشرة آلاف فارس، وهذا ابن آيدين ما أعرف بأن له من حوله من ملوك الممالك الماما، ولا أن له أخيارًا ترد طروقًا ولا لمامًا، بل هو فى عزلة من كل جانب، ولا مخالط ولا مجانب.

ومملكة كاس برديك بلاد صاروخان، قال: وعسكره إذا جُمع يقارب ثمانية آلاف فارس.

ومملكة كرميان بلاد أرغدشار، قال: كرسى مملكة كوناى،قال: ومالكها الآن كرميان بن غدشار، هكذا قال الشيخ حيدر العريان، وهو أمير مطاع، وقائد جيوش لبوارق

سيوفهم متاع، وأمراء الأتراك تتقيه ببذل كل منهم فى متاقاته ما استطاع، قال: وعسكره يقارب أربعين ألف فارس، وهم فوارس وغى،وفوارع عليا لا تبتغى.

مملكة كرداله بلاد شاهين، قال: وعسكره نحو خمسة آلاف فارس.

ومملكة كونيك حصار بلاد أمير جاكو، قال: وعسكره ثلاثة آلاف فارس.

الفصل الأول
فى مملكة كرمينان

وهى مثل قرن الجاموس، أحاط بها جبل فى مشاريقها كالقوس أخذ عليها جنوبًا بشمال، وأحاط بها فى مغاريبها جبل أخذ غربًا بشمال ثم عطف مشرقًا ثم أخذ شمالًا يغرب حتى لاقى الجبل الأول فاجتمعا، فكان كأنه قرن الجاموس، فسبحان الخلاق العظيم.

وصاحب كرمينان هو أكبر ملوك الأتراك، وله تسلط على الجميع، وتبسط فى ملكهم الوسيع، وكرسى ملكه مدينة كونتاى،وهى مدينة كبيرة، ذات قلعة جليلة، وأعمال وسيعة، ورساتيق من كل مكان، وبلاد ذوات دواب سائمة، وعمار وسكان ويقال أن له نحو سبعمائة مدينة، وقلعة، وله عساكر كثيرة.

وله أمراء ووزراء وقضاة وكتاب وحاشية وغلمان وخزائن واصطبلات ومطابخ وبيوت ورخت ملوكى،وهيئة سلطانى،وأبهة ملكية.

وله مدينة كمش ساراى،مدينة الفضة، وهى غير ما بأيدى بيت جنكيزخان، وهو معدن كبير المتحصل، جليل الفائدة جزيل العائدة، أعظم من الذى بأيدى بيت جنكيزخان، وأجود فضة، وأسهل مكانًا، وأهون تخليصًا واستخراجًا.

قال: وأما لبسهم ولبس جميع الروم فهو زى واحد لا يكاد يختلف، ودرهم هذه المملكة نصف وربع درهم فضة خالصة، والرطل بها زنته تحريرًا ثلاثة آلاف ومائة

وعشرون درهمًا، وكيلها يسمى المُد وهو نحو أردب وربع مصرى تقريبًا، هذا ما قاله فيه بليان، وقد تقدم ما قاله العريان.

قال: وأما السعر المتوسط فمد القمح خمسة عشر درهمًا، وكذلك الشعير، أو دونه بقليل، واللحم كل رطل بدرهم واحدٍ، وأما الفواكه والألبان والأعسال فرخيصة جدًا، وأوقات الرعايا والفلاحين والزراع طيبة، كأنهم فيها فى بكر مفضضة، وآصال مذهبة.

وكرسيه قراساى،وهى مدينة مشهورة، ويحيط بها وببلادها جبل استدار عليها استدارة الحلقة، وأحاطها إحاطة بالحدقة وحكمها اليوم وحكم بلاد كرمينان، وابن السائب وإن كان صاحبها، فهو الآن كأنه من قبله فيها، وليس له مدينة سوى قراسارى،ولها ألف قرية، وعسكره يقارب أربعة آلاف فارس وبلاده حصينة بما أحاط بها من الجبال، وشمخ من ذوائبها التى سما بها فرع إلى النجم لا ينال.

الفصل الثاني
فى مملكة طغرلو

وهى أول النطاق الأول، وهذه المملكة صاحبها اسمه يلنج، ويشقها نهر مندروس، وهى إلى جانب جبل القسيس، فى غربه بشمال، وموقعها جنوبى ما بين مرمر إلى بركى،ومدينة طغرلو كرسيه، وكأنها دمشق فى تصوير خطة وبساتين حولها مختطة، لكنها أكثر من دمشق ماءً وفاكهة، وأوسع غوطة، ولكن ليس لصاحبها مدينة سواها، ولا عمل إلا إياها، إلا أن لها قاعدة قرى وضياع ليست بكثيرة، ولا كثيرة ازدراع، وأكثر ما فيها من الفاكهة الرمان وهو على عدة ألوان، ويباع ألف بدرهم، وكله بلا عجم له، مكسَّر كأنه شرارنار أو بهرمان، أدرج فى ثوب نصار، أو مدامع عشاق فى نهود أبطار، وهو فى غاية الكثرة والرخص، ولذاذة المأكل، ويُعتصر ماءوه، ويعمل منه دبس إذا نزل هو والعسل، أبهم الفرق ما بينهما، وأشكل، ويعمل منه شراب أشد إسكارًا من

الخمر، وأقرب إليه مشابهة مما يعمل من التمر، وهم أكثر معَاطَاة له من الخمر على كثرته عندهم.

الفصل الثالث
فى مملكة توازا

وهى ثانية النطاق الأول، وهذه المملكة صاحبها على أزبية، وهى تقع شرقى كرمينان محضًا، وموقعها ما بين جنوبى بركى إلى فوكه، وكرسيه توازا، ولصاحبها أربع قلاع ونحو ستمائة قرية، وعساكره نحو أربعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل، ودرهمهم ورطلهم ومدهم مثل كرمينان، وهو كثير الترامى إلى صاحب كرمينان.

ولأهل هذه المملكة حسن بديع ببياض وحمرة كأنها ضربيا لبن وخمرة، مع لين بشرة، وصهوبة شعره، كأن عليهم ثوب صباح مسبول، وعلى ضفائرهم برادة ذهب مسحول، مع حلاوة تأكل النظر ومأكلها، ولهجة توقد حجرات الحسن وتشعلها.

الفصل الرابع
فى مملكة عبدلي

وهى ثالثة النطاق الأول، وهذه المملكة صاحبها دندار أخويونس صاحب أنطاليا، وكرسيه مدين برلو، وهى أم إقليم عبدلى وموقعها من فوكه إلى قراصار، ولصاحبها أيضًا إقليم يلواج، وإقليم فرا عاج وإقليم اكرى دور، وهذه بلاد مدنها قليلة، وقراها كثيرة، ومداها ممتد، يقال: إن له تسع مدن، وخمس عشرة قلعة، وعسكره خمسة عشر ألف فارس، ومثلهم رجاله، وهو فى كل وقت يتفقد فرسانه ورجاله، ويتأهب للحرب، ويوسع مجاله، ويقاتل العدو، ويهب للسيوف آجاله، وهذه هى آخر الممالك الثلاثة، التى تلى كرمينان، وهى نهاية ما أخذ إلى الشمال، وبها تم النطاق الأول ونحن نعقبها بذكر الممالك التى تليها، وهى النطاق الثانى عليها فى شرقيها وعدتها إثنتا عشرة مملكة، وأولها هو ما نذكره الآن.

الفصل الخامس
فى مملكة كصطمونية

وهى هذه مملكة سليمان باشا، وهى الآن لولده إبراهيم شاه، وكان فى حياة أبيه صاحب سُنوب، ثم جرت له مع أبيه أمور لا حاجة بنا إلى ذكرها، إلى أن ملك، واستمرت سنوب له مع ملك أبيه، وولى سنوب من قبله.

وهذه هى شمال بلاد طوغان حق، وما جاورها، وجنوبى بلاد سلطان بوى المصاقبين لممالك بيت جنكيزخان، وهى أول الممالك الاثنا عشر المشار إليها من الشرق، وهذه المملكة على ضفة بحر بنطس، وقبالتها جزيرة زك، ومن ركب البحر من سنوب خرج إلى سوداق لأنها أقرب مدن ذلك البر إليها، ويقع طرف بلاد طرا بزون الشرقى على أول حد هذه البلاد، ولأجل هذا نقصد هذه الأرض لجواز البحر إلى بر القبجاق وبلاد الخزر والروس والبلغار.

وكرس هذه المملكة كصطمونية، ولصاحبها نحو أربعين مدينة وقلاع مثلها أو أزيد، وعسكره نحوه خمسة وعشرين ألف فارس، وخيلهم هى النهاية فى جنسها والغاية فى نفسها، وقد تقدم القول فى ذلك وبها البلغار والبزاة والشواهين، فى غاية الجودة، وهى منفردة بمحاسن هذه الأنواع، ومنها يشترى ويبتاع، وحسنها لا مخالفة فيه ولا نزاع.

الفصل السادس
فى مملكة فاويا

وهى الثانية من النطاق الثانى،وصاحبها مراد الدين حمزة، ومملكته تجاوز سمسون من غربها، وبلاد سليمان باشا المقدم ذكره جنوبها، وجبل القسيس غربيها، وبلاد طريق السفار إلى سمسون، وسمسون هى شرقى هذه البلاد خارج الجبل المار على رستايق بلاد الأتراك بالروم على ضفة بحر بنطس، من ركب البحر منها إلى بر القبجاق كان

خروجه على الكفا أقرب مجلبة وتبقى زك جنوبية، وعلى بلاد هذا مراد الدين حمزة، أكثر طرق المترددين من التجار والسفار المتوجهين من مصر والشام إلى تلك البلاد.

وكرسى هذه المملكة مدينة فاويا، لصاحبها عشر مدن ومثلها قلاع، وعسكره نحو سبعة آلاف فارس، فأما الرجالة فكثير عددهم، متى أراد استجاش بهم، وجمع أممًا، وشرع أسنة وهممًا وليست للأعداء معه طالعة، ولا لهم فى رداء ملكه منازعة، لا تتفرزن البياذق من رخاخة، ولا تتجاسر العصافير أن تسقط على فخاخة، وأهل هذه البلاد قوم أمته، لا يستحيل بودهم يوم ولا سنة، درهمهم ومدهم وأسعارهم مثل كصطمونيه بل هى ولكثرة الأجلاب لا تكاد تكون دقلية.

الفصل السابع
فى مملكة برسا

وهى الثالثة من النطاق الثانى،وصاحبها أرخان بن طمان، وكرسيه

مدينة برسا، وموقعها شرقى بلاد مُران الدين حمزة، وغربى بعض سمسون وبعض سنوب، وجيل القسيس غربيها، ولصاحبها خمسون مدينة وعدد قلاعه أكثر من ذلك، وعساكره نحو أربعين ألف فارس، وأما الرجالة فلا تكاد تعد، خصوصًا إذا استجاش وحشد وجاش، لكن يقال أنه قليل غناهم، تهول صورتهم لا معناها، وهو كثير المسالمة لمن جاوره، والمناصرة لمن ناصره ومع هذا له حروب سجال، ودروب فى إرغام أنوف رجال، وخيول تُقتنص عليها الأرواح، فرسان عجال، وإنما قلة غناء عسكره، لعدم استقامة الرعية، ومشاقة بعض المجاورين له، يقال أن رعاياه أخبث، تنطوى بواطنهم على الغل، وعمائمهم على المكزتلات، وهذه البلاد درهمها وزن الدرهم الكاملى،وهو فضة خالصة، وهو مدها ورطلها مثل كرمينان، وسعرها أرخص فى غالب الأوان، وفى هذه ثلاثمائة جمة يطلع منها الماء

السخين الناضج، ويقصدها المرضى بالبلغم البارد والفالج، ليغتسل فيها، ويستشفى بها، وغالبهم يبرأ بإذن الله عز وجل ويجد الشفاء والصحة عليها.

الفصل الثامن
فى مملكة اكيرا

وهى أربعة النطاق الثانى،وصاحبها مرخان بن قراشى،وبلاده تجاور بلاد أرخان آخذة إلى الشمال، وجبل القسيس جنوبها على تغريب، وسنوب شمالها، وهى طريق من طرق سنوب.

وهذه المملكة مدنها وقلاعها وعساكرها أكثر من بلاد أرخان، وأهلها أطول باع فى المكنة والمكان والإمكان، وصاحبها ذو حرب ويدٍ وأيدٍ، وقوة لا تدفع بكيد، ولهَ فى البحر مع الروم حروب، تطير بها الفاين، وتهتز لها المدائن، كم طاروا من الغراب على جناح، وسخر لهم فى سبيل الله ما سخر لسليمان من الرياح.

وهذه البلاد يخرج منها ما لا يحصى من الحرير واللاذن ويحمل إلى بلاد النصارى منه، وحريرها يوافق الديباج الرومى والقماش القسطنطينى،ومنه يعمل غالبه، ودرهمها مثل الذى قبلها، ورطلها ثمانية أرطال بالمصرى،ومدها نحو أردب ونصف، وأسعارها رخيصة جدًا، على حال واحدٍ لا تكاد تتجاوزه ولا تتعدى.

الفصل التاسع
فى مملكة مرمرا

وهى خامسة النطاق الثانى،وصاحبها يحيى بن قراشى أخو دمرخان المقدم ذكره، وبلاده جوار بلاد أخيه غربًا بشمال، وطرف بلاده جنوبًا على شمالى طغرلو، ولصاحبها نحو خمس عشرة مدينة، ومثلها قلاع وكلها على جبال شاهقة، على البحر المالح،

وعسكره نحو عشرين ألف فارس، ولا رجالة له، وهو مثاغر للروم، وله معهم ثارات، يقصد فيها ويقوم، وعسكره نفاع، له قوة ودفاع، وقد ذللت لهم المراكب، فامتطوا فى البحر منونها، وأطاروا غربانها وأجروا نونها ولهم أسطول مجهز للركوب على ظهور الفاين والتصريف بها كالصوافن، طالما صبح بلاد الروم منها غراب ناعق، وسبح راكبها، وتعجب لقدرة الخالق، وزحفت لها مدن، وزحفت لها أعداء إلا أنه من الجبن.

وأهل هذه المملكة غزاة، لا تستكين سراة حصانهم، ولا تلين سراة، لا ينزل لهم لبد عن جواد، ولا قلع عن سفين، ولا يحجبهم عن بلد سوره، ولا عن ساكن برخباؤه، ولا يغلبهم سرب، تقتض بهم من الروم جآذره، ومن الخزر ظباؤه، وهذه البلاد درهمها نصف درهم فضة خالصة، ورطلها أربعة أرطال بالمصرى،ومدها أردب واحد، وسعرها رخيص، والرقيق بها لكثرة السبى كثير.

الفصل العاشر
فى مملكة نيف

وهى سابعة النطاق الثانى،وصاحبها على باشا أخو صاروخان، وهو جاره فى المكان، وكرسيه مدينة نيف، وبلاده شمالى طغرلوا وجنوبى بيد رول، وهذه بيدرول شماليها من خارج الجبل الشرقى المحيط ببلاد الأتراك خارجة فى البحر، ولصاحبها ثمان مدن ونحو ثلاثين قلعة، وعسكره ثمانية آلاف فارس، وخلق كثير من الرجالة، أكثرهم رماة نبالة، ومملكته كلها على قنن الجبال، لا يلحقها الغمام بريته ولا يلحقها نسر السماء لتعشيشه، تهوى وفود الرياح دون أوديتها، وتستقى السحب فائض أنيتها، ولا يمر بها البرق إلا وهو مجتار، ولا البرق إلا وهو على أوفار، تميل قبل رؤيتها العمائم، وتتوسوس وعليها من النجوم تمائم، ودرهمها ورطلها ومدها وسعرها من تسبة مغنيسيا.

الفصل الحادى عشر
فى مملكة مغنيسيا

وصاحبها صاروخان وكرسيه مغنيسيا، وهذه البلاد تجاور مملكة يخشى عذبًا بشمال،

وجنوبها طغرلو وقبالتها فى البحر جزيرة كيول، ولصاحب هذه المملكة نحو خمس عشرة مدينة وعشرين قلعة، وعسكره يزيد على عشرة آلاف فارس، وهم أهل حرب وطعن، يضيق به فم الدرب، ومنهم غزاة فى البحر كأنهم الملوك على الأسرة لا تهتبل لهم نمرة، وحالهم فى هذا مثل حال جارهم الأول، ولكل منهما جهاد عليه يعول، ودرهمها ورطلها ومدها وسعرها كذلك، ومن نسبة ما قبلهم أو ما يقارب ذلك.

الفصل الثانى عشر
فى مملكة بركي

وهى ثامنة النطاق الثانى،وصاحبها ابن أندين، وكرسيه مدينة بركى،وموقعها شمال طغرلو، وتوازا وجنوبى تدرقل ولصاحبها نحو ستين مدينة وثلاثمائة قلعة أو أزيد، وعسكره سبعون ألف فارس أشلاء حرب وكفاح، وعرضه سيوف ورماح، ولهم مع الروم والفرنج وطوائف بنى الأصفر، حروب عظيمة وأيام لها غور وحجول معلومة، ضج البر والبحر من وقائعها، ومج السجايا تصعد إليه من بقائعها، لا تهدأ لهم مضاجع ولا تراهم إلا بين متأهب لغزوة وآخر راجع، سدوا فروج البر خيلًا، وأوقروا صدور البحر سفنًا، وجروا لكاتب برسى على هذا حبالًا، وتسرى على ذاك مدنًا، وكل ملوك الأتراك فى غزوات الكفار، عليهم عيال وبسيوفهم المهندة الذكور يلفح الحرب الجبال لا يرضى إلا بصيد المهج، ولا يمضى يوم إلا بقتيل لها لا إثم فيه ولا حرج، كأنما كونوا من جناح غراب أو صهوة مطهم أو خلقوا المطية نقارًا وأدهم، لا تفرغ لهم شمال ولا يمين، هذه بعنان جواد، وهذه بقلع سفين، ولمهابتهم فى قلوب ملوك بنى الأصفر ما يختلج به ضمائرهم وتختلف الأتى،الإجماع عليه سرائرهم، وإذا قيل أنه قد تحرك منهم متحرك طيب، إنه يريد نفوسها وسكت فى حياتها حتى تلمس رؤوسها بيديها.

الفصل الثالث عشر
فى مملكة فوكه

وهى تاسعة النطاق الثانى وصاحبها أورخان بن منتشا وكرسيه مدينة فوكه، وبموقعها شمالى مشاريقها جزيرة دفنوسة، وقبالة هذه البلاد جزيرة المصطكى تقع وراء بلاده سواء بسواء، ولهذا صاحب فوكه نحو خمسين مدينة، ومائتى قلعة وحصن، وعساكره مائة ألف أو يزيدون، وله سيف لا يألف غمده، ولا يكف حده، يقاتل من عاده برًا، وبحرًا، ويخاتل من ناوأه مسلمًا كان أو كافرًا، يركب السفن والخيل، ويخوض النهار والليل، لا يطمئن به وساد، ولا يستكن له مفرش جهاد، ولا يزال له ولإعدائه وقائع تشيب مفرق الوليد، وتذيب قلب الحديد، وتبيت الدهر منها على وعد أو وعيد، يبث سراياه فى كل صوب، ويحث مطاياه فى البر والبحر، فى كل توجه وأوب، فما رأت الكفار حيلة، ولا طفقت تتنَّهد، ولا أقبلت طلائعه على سفائنها إلا ورفعت سبابات صواريها تتشهد، وهذه العساكر ميمونة النقيبة، سعيدة التحركات، قَلَّ أن توجهت إلى جهة، وظفرت بمرادها وبلغت قصدها من أعدائها، وهذا هو المعروف منهم، والمستفاض حديثه عنهم، لا يخالف فى هذا ممن يعرفهم، مخالف ولا يخالط، هذا شك عندهم فى حديث، ولا سالف ولا يتم من يداريه، صاحب كرمينان من أمراء الأتراك سواه، ويراهنه ويقنع بأيسر موالاة منه، ولا يقدم عليه إلا صاحب كرمينان، فأما كل من سواه فدونه قدرًا، ومكانة وله عليهم المزية والمزيد ودرهم هذه المملكة، ورطلها ومدها وأسعارها مثل كرمينان.

الفصل الرابع عشر
فى مملكة إنطاليا

وهى عاشرة النطاق الثانى،وصاحبها خضر بن يونس وكرسيه إنطاليا، وهى شمالى

مملكة عميدلى بلاد ابن درندار، وهى على ضفة البحر والسفر إليها ومنها والأخبار عليها وعنها، ولصاحبها اثنا عشر مدينة، وخمسة وعشرون قلعة، وعسكره ثمانية آلاف فارس، وليس بأهل حرب طائل، ولا منهم هائب ولا هائل، ودرهمها نصف درهم فضة خالصة، ورطلها أربعة أرطال بالمصرى ومد أردب واحد.

الفصل الخامس عشر
فى مملكة قراصار

وهى حادية عشر النطاق الثانى،وصاحبها زكريا وهى مملكة ضيقة إلى غاية، وهى شمالى إلى عميدلى بغرب، وكرسى صاحبها قراصار، وله ثلاث مدن، واثنا عشرة قلعة على ضيق الرقعة، وقرب مدى البقعة، وعسكره ألف وخمسمائة فارس، وكان أصل هذا زكريا؛ مملوك يونس صاحب أنطاليا، ثم لما مات تقوى على ولده، وغالبه فغلبه، وأخذ الملك بيده، ودرهمهم ورطلهم ومدهم مثل أنطاليا، وهذه البلاد من ملك مقتطعة ومما كان فى يد مالكها مرتجعة.

الفصل السادس عشر
فى مملكة أزمناك

وهى ثانية عشر النطاق الثانى،وصاحبها ابن قرمان، وكرس مملكته أزمناك، وله نحو أربع عشرة مدينة، ومائة وخمسين قلعة وعسكره يناهز خمسة وعشرين ألف فارس، ومثليهم رجَّالة، ومن مشاهير مدنه مدينة أرندة، وهى مدينة جليلة، ومدينة العلائية، وهى المسماة باعلايا عند العوام، وموقع هذه البلاد شرقى بلاد الأرمن بشمال، وبلاد ابن شرف جنوبها، وأقرب مدن الأرمن جنوبها، إليها طرسوس واذنه، وهذه البلاد على ضفة البحر الملح، وقد تقدم ذكر هذه المملكة وما هم عليه،

وموالاتهم لسلطاننا صاحب مصر خلد الله ملكه، وميلهم إليه، وما هم عليه من الجهاد فى الأرمن، ومن ساكنهم من الكفار، وتجريد سيوف غزوهم آناء الليل والنهار، وبهذا تم ذكر ممالك الأتراك، وما هى عليه على ما بلغنا، وتبين لنا وقد أوضحنا طرق الروايتين على ما فيها من الخلاف على أننى اجتهدت والعهدة على الناقل.

الباب السادس
فى مملكة مصر والشام والحجاز

هذه الممالك هى مملكة واحدة، يقع معظم مصر فى أوائل الثالث، ومعظم الشام فى أواخره، وحلب منه فى الرابع، وهى مملكة كبيرة، وأموالها كثيرة، وقاعدة الملك بها قلعة الجبل ثم دمشق وهى من أجل ممالك الأرض لما حوت من الجهات المعظمة، والأرض المقدسة، والجهات والمساجد التى هى التقوى مؤسسة بها المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم والطور والنيل والفرات وهما من الجنة.

وبها معدن الزمرد ولا نظير له فى أقطار الأرض، وحسب مصر فخرًا بما تفردت به من هذا المعدن، واستمداد ملوك الآفاق له منها.

وبها البلسان وهو ما هو وملوك النصرانية تترامى على طلبه، والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصير نصرانى حتى يوضع شيء من دهن البلسان فى ماء العمودية عند تغطيسه فيها.

فأما بالاسكندرية فإنها توجد بها وهى كل اثنين بدرهم وأما الكيل فيختلف، فبمصر الأردب، وهو ست ويبات أربعة أرباع، الربع أربعة أقداح، القدح، مائتان واثنان وثلاثون درهمًا، هذا أردب مصر وفى أريافها يختلف الأردب عن هذا المقدار إلى أنهى ما ينتهى ثمان ويبات، وإنما المعهود المتعامل إنما هو بالأردب المتقدم ذكره، والرطل هو اثنا عشر أوقية، الأوقية اثنا عشر درهمًا، فيكون الرطل مائة وأربعة وأربعين درهمًا.

وأما دمشق فهى بنظير المعاملة المذكورة خلا أن الصيحة تتفاوت، فينقص كل مائة مثقال شامى مثقالاً وربعًا بمصر، وكذلك الدراهم والرطل اثنتا عشرة أوقية، الأوقية خمسون درهمًا، فيكون الرطل ستمائة درهم.

وأما حلب وحماة وحمص فأرطلها أزيد من الدمشقى ولا تعرف الغرائر، وإنما تعرف المكاكيك، وتختلف زيادة بعضها على بعض، منها ما هو معتدل الغرارة مكوكان ونصف وما بين ذلك، كل ذلك تقريبًا.

فأما مصر فمزروعها على النيل بعد زيادته وعمومه البلاد، سوى قليل لا يعتبر به فى بلادها مما يزرع على المطر، كأطراف البحيرة وما يزرع على الأنهر كالفيوم، وماؤها من البحر المنهى اليوسفى المشتق من النيل، لا ينقطع جريه أبدًا على ما هو معروف من أمره.

وأكثر محاسن مصر مجلوبة إليها حتى بالغ بعضهم فقال: إن العناصر الأربعة مجلوبة إليها، الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب، والتراب مجلوب من حمل الماء وإلا فهى رمل محض ولا ينبت الزرع، والنار لا يوجد بها شجرته وهو الصوان إلا إذا أجلب إليها، والهواء لا يهب إليها إلا من أحد البحرين إما الرومى وإما الخارج من القلزم إليها.

وبها أنواع الدواب من الخيل والجمال والبغال والحُمر والبقر والجواميس والغنم والمعز، ومما يوصف من دوابها بالجودة الحُمر لفراهتها، والبقر والغنم لعظمها.

وبها الأوز والدجاج والحمام، ومن الوحش الغزلان والنعام والأرنب، فأما من أنواع الطير، فكثير كالكركى والأوز وغير ذلك وأوسط الأسعار فى غالب أوقاتها الأردب القمح بخمسة عشر درهمًا، والشعير بعشرة، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج، وأما الأرز فيبلغ أكثر من ذلك، وأما اللحم فأقل سعره الرطل نصف درهم وفى الغالب أزيد، والدجاج يختلف سعره بحسب اختلاف أحواله فجيده الطائر بدرهمين، ومنها ما هو بثلاثة، وقد يزيد، ومنها ما هو بدرهم واحد.

وأما مبانيها فقليل منها بالحجر وأكثرها بالطوب وأفلاق النخل والجريد، وخشب الصنوبر مجلوب إليهم من بلاد الروم من البحر ويسمى عندهم النقى،وبها المدارس والخوانق والربط والزوايا والترب الضخمة والعمائر الجليلة الفائقة والأماكن المعدومة المثل، المفروشة بالرخام، المنقوشة بالأخشاب، المدهونة بأنواع الأصباغ، الملمعة بالذهب واللازورد، ومن حيطانها ما هو مؤزر بالرخام، وتختلف المباني بحسب اختلاف أصحابها.

وبها البساتين الحسان والمناظر النزهة والأدُر المطلة على البحر وعلى الخلجانات الممتدة فيه أوقات مدها، وبها القرافة تربة عظمى لمدفن أهلها.

وأما الشام فيزرع غالبه على المطر، وهو من جميع ما ذكر فى مصر من الحبوب، ومنه ما هو على سقى الأنهار وهو قليل.

وبها أنواع الأشجار وأجناس الثمار من التين والعنب والرُّمان والسفرجل والتفاح والكمثرى والأجاص والقراصيا والتوت والفرصاد والمشمش والزعرور والخوخ وهو المسمى عندهم الدراقن، وأجلها بدمشق من غالب ذلك على أنواع منوعة وأجناس متعددة شتى، ومنها فواكه تأتى فى الخريف وتبقى إلى الربيع كالسفرجل والتفاح والرمان والعنب وبها الجوز واللوز والفستق والبندق، وبها الليمون والأترج والنارنج والكباد والموز وقصب السكر، من أغوارها يحمل إليها من نحو يومين وأزيد.

وغالب مبانى الشام بالحجر، ودورها أصغر مقادير من دور مصر، ولكنها أزيد زخرفة منها، وإن كان الرخام بها أقل، وإنما هى أحسن أنواعًا وعناية أهل دمشق بالمبانى كثيرة، ولهم فى بساتينهم منها ما تفوق به وتحسن به، وإن كانت حلب أجل بناءً لعنايتهم بالحجر، فدمشق أزيد وأكثر رونقًا لتحكم الماء على مدينتها، وتسلطه على جميع نواحيها.

وأما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان، ومنهم من فرق فى أقطار هذه المملكة وبلادها، ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان.

وأما أمراء الشام فلاحظ لأحد منهم فى أكثر من قباء واحدٍ يلبس فى وقت الشتاء إلا من تعرض يقصد السلطان، فيحسن إليه، ولخاصة المقربين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة، التى ربما أنفق على بعضها أزيد من مائة ألف دينار، وكساوى القماش المنوع، وفى أسفارهم فى أوقات خروجهم إلى الصيد، وغيرها العلوفات والإنزال.

وأما زيهم فالأقبية التترية والتكلاوات فوقها، ثم القباء الإسلامى فوقها، وعليه تشد المنطقة والسيف، ثم الأمراء المقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبية قصيرة الأكمام أقصر من القباء التحتانى بلا تفاوت كثير فى قصر الكم والطول وكلوتات صغار غالبها من الصوف الملطى الأحمر، وعليها عمائم صغار ومهاميز على الأخفاف، ويعمل المناديل على الحياصة على الصولق من الجانب الأيمن.

ذكر هيئة جلوسه للمظالم

عادة هذا السلطان أن يجلس بكرة الاثنين ما كان بالقلعة خلا شهر رمضان، فإنه لا يجلس فيه هذا المجلس، ومجلسه هذا هو فى أبواب ظاهر قصره قريبًا من بابه، وهو إيوان متسع على عمد منه مرتفع السمك أمامه رحبة فسيحة، يسمى هذا الإيوان«دار العدل» وفيه تكون الخدمة العامة، واستحضار رسل الملوك غالبًا، فإذا قعد للمظالم كان جلوسه على كرسى،إذا قعد عليه تكاد تلحق الأرض رجليه، وهو منصوب إلى جانب المنبر الذى هو تخت الملك ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ثم الوكيل عن بيت المال ثم الناظر فى الحسبة، ويجلس على يساره كاتب السر، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة حلقة دائرة وإن كان، ثم وزير من أرباب الأقلام، كان بينه وبين كاتب السر، وإن كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفًا على بعد مع بقية أرباب الوظائف.

ذكر هيئته فى بقية الأيام

وأما بقية الأيام فإنه يخرج من قصوره الجوانية إلى قصره الكبير البرانى،وهو بشبابيك

مطلة على اصطبلاته، وفى صدره تخت الملك المختص، فيقعد تارة عليه، وتارة دونه على الأرض، والأمراء وقوف على ما تقدم خلا أمراء المشورة والغرباء منه كأنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الكبار إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ثم يقوم فى الثالثة من النهار، ويدخل إلى قصوره الجوانيه، ثم إلى دار حريمه ونسائه، ثم يخرج فى أخريات النهار إلى قصوره الجوانية لمصالح ملكه، ويعبر إليه عليها خاصته من أرباب الوظائف فى الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه.

ذكر هيئته فى الأسفار

أما فى الأسفار فإنه لا يتكلف إظهار كل ذلك الشعار، بل يكون الشعار فى موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم، واستاذ دار، وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن، وأما هو بنفسه فإنه يُركب ومعه عدة كثيرة من الأمراء الكبار والصغار من الغرباء والخواص ونخبة من خواص مماليكه، ولا يركب فى السير برقبه ولا بعصائب، بل تتبعه جنائب خلفه، ويقصد فى الغالب تأخير النزول إلى الليل، فإذا جاء حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل، فإذا قارب مخيمه تلقى بشموع مركبة فى شمعدانات كفت، وصاحت الجاويشيه بين يديه، وترجلت الناس كافة إلا حملة السلاح داريه والوشاقية وراءه، ومشت الطبرداريه حوله حتى يدخل الدهليز الأول، ثم ينزل ويدخل إلى الشقة وهى خيمة مستديرة متسعة، ثم منها إلى شقة مختصرة، ثم إلى لاجوق، ومدار كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه.

ويصحب هذا السلطان فى أسفاره من غالب ما تدعو الحاجة إليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء وكثرة أرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك، وكل من عادة طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف من الشراب خاناه والدواخاناه المحمولين فى الصحبة.

ذكر انتهاء الأخبار إليه

عادة هذا السلطان أن يطالعه نوابه فى مملكته مما يتجدد عندهم من مهمات الأمور

أو ما قاربها، وتأخذ أوامره، وتعود أجوبته عليهم بما يراه، وبين السلطان وجميع بلاد مماليكه مراكز بين المركز والمركز أميال، فى كل مركز عدة خيل بريد للسلطان من الجند أناس بريديه فى حضرته، وفى كل بلد لحمل الكتب والعود بأجوبتها، فإذا ورد بريدى بلد من بلاد مملكته أو عاد المجهَّز من بابه، أحضره أمير جاندار، وهو من أمراء المئين، والدوادار وكاتب السر بين يديه، فيقبل الأرض ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجهه البريدى،ثم يناوله السلطان، فيفتحه، ويجلس كاتب السر، فيقرأه عليه، ويأمر فيه بأمره.

ذكر الوظائف

أما النيابة فهى: سلطان مختصر فى ما هو ناءٍ عن الحضرة، وأن النائب هو المتصرف المطلق التصرف فى كل أمر يراجع فى الجيش والمال والخبر.

وأما النيابة العظمى فهى نيابة الحضرة ويسمى هذا النائب، كافل الملك، وقد نبهنا فيما تقدم على كبير محله، وهو السلطان الثانى،وجميع نواب الممالك تكاتبه فى غالب ما يكاتب فيه السلطان.

وأما الوزير وكاتب السر فقد يراجعانه فى بعض الأمور دون بعض، ثم اضمحلت النيابة بالحضرة وتقهقرت أوضاعها، وأما الآن فقد بطلت.

وأما الحجبة فهى موضوعة لأن صاحبها ينصف من الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب إن كان، وإليه تقديم من يعرض، ومن يرد، وعروض الجند وما ناسب ذلك.

وأما الأستاذ دار فإليه أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخاناه والحاشية والغلمان، وهو الذى يمشى بطلب السلطان والحكم فى غلمانه وباب داره وإليه أمور الجاشنكيريه وإن كان كبيرهم نظيره فى الإمرة من ذوى المئين، وله حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك.

وإما إمرة سلاح فهو مقدم السلاح داريه، والمتولى لحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة، وهو المتحدث فى السلاح خاناه، وما يستعمل لها، وما يقدم إليها، ويطلق منها وهو من أمراء المئين.

وأما الدواداريه فهم لتبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عادة الأمور، وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب وتقديم البريد، ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان بمرسوم يُكتب وتُعين رسالته.

وأما نقابة الجيوش فهذا كأحد الحجاب الصغار، وله تخلية الجند فى عرضهم، ومعه يمشى النقباء، وإذا طلب السلطان أو النائب أو الحاجب أميرًا أو خدمًا قالوا له أرسل إليه وأحضره، وإذا أمروا بالترسيم على أحدٍ من هؤلاء أمروه فرسم عليه وهو بمن يطلب بالخزانة فى الموكب وفى السفر.

وأما الولاية فهم أصحاب الشرطة وطبقتهم معروفة معلومة.

وأما كتابة السر فقراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها، وتصريف المراسم ورودًا وصدرًا والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها، وقد صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة على حسب ما يرسم له به السلطان.

وأما نظر الخزانة فكانت الخزانة أولًا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة، فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف أمر هذه المسماة بالخزانة، وصارت تسمى بالخزانة الكبرى، وهو اسم أزيد من مسماه، ولم يبق بها الآن إلا خلع تخلع منها، ولا يحضر عليها ويصرف أولًا فأولًا، وفى غالب ما يكون ناظرها من القضاة، أو ممن يلتحق بهم.

فأما نظر بيت المال فهى وظيفة جليلة معتبرة وموضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال، والمتصرف منه تارة بالميزان وتارة بالتسبيب بالأقلام، ولا يلى هذه الوظيفة إلا من ذوى العدالة المبرزة.

ذكر عادة هذه المملكة فى الخلع ومراتبها

وهى ثلاثة أنواع؛ أرباب السيوف والأقلام والعلماء، فأما أرباب السيوف أكابر ذوى المئين منهم الأطلس الأحمر الرومى وتحته الأطلس الأصفر الرومى وعلى الفوقانى طرز مزركش ذهب وتحته سنجاب، وله سجف من ظاهره مع الغشاء قندس وكلوته زركش ذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملوف مع منطقة ذهب، ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم، وأغلاها أن يعمل بين عمدها يواكر أوسط ومجنبين مرصعة بالبلخش والزمرد، واللؤلؤ.

وأما الوزراء والكتاب فأجل خلعهم كنجى أبيض مطرز برقم حرير ساذج وسنجاب وقندس ويبطن القندس بالسنجاب، وتملأ الأكمام به، وتحته كنجى أخضر وبقيار كتان من عمل دمياط مرقوم وطرحة، ثم دون هذه الرتبة عدم تبطين القندس بالسنجاب وأخلى الأكمام منه، ودونها ترك الطرحة، ودونها أن يكون التحتانى محرمًا، ودون هذا أن يكون الفوقانى من نوع الكنجى،لكنه غير أبيض ثم تحته عنابى طرح أو ما يجرى مجراه، ثم ما دون ذلك كما قدمنا فى خلع أرباب السيوف.

وأما القضاة والعلماء فخلعهم من الصوف بغير طراز، ولهم الطرحة، وأجله أن يكون أبيض وتحته أخضر ثم ما دون ذلك.

القاهرة

مدينة عظيمة مبنية فى وطأة نائية عن ذروة الجبل، أرضها سباخ، ولأجل هذا يعجل إلى مبانيها الفساد.

والفسطاط المسمى الآن على ألسنة العامة بمصر مدينة مبنية على ضفة النيل الشرقية، وقد بُنى قبالتها فى الجزيرة المبنى بها المقايس، أبنية كثيرة، صارت كأنها فرقة من مصر، ومجرى النيل بينهما لمنظره بينهما عند امتداد ضوء القمر، أو إيقاد السرج بالليل، منظر يجذب القلوب وكل من مصر والقاهرة وحواضرها الممتدة ذات رباع عليه مبلغ بعضها أربع طبقات، فى كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها ومترفقها، وسطح مقتطع لها من الأعلى بهندسة محكمة وصناعة عجيبة مع كوّن البيوت بعضها تحت بعض، لا يرى مثل صناع مصر فى هذا الباب، وفى كل من هاتين المدينتين وحواضرهما، القصور الشاهقة والديار العظيمة والمنازل الرحيبة، والأسواق الممتدة، والمدارس والخوانق، والربط والزوايا، والجميع على اتساع رقعة البناء، وفسحة الشوارع مزدحمة بالخلق سكنًا وممشى، قد حشرت إليها الأمم، واختلفت إليها أنواع الطوائف.

وأما بر الديار المصرية فإنه ريف ممتد بين حاجزين، وأعقبه رمل مفصل بالقرى، وهى مبنية بالطوب، سود الظواهر يحف بها نخل، وتقل فى بعض وتكثر فى الأخرى، كلها على أنموذج واحد، من رأى واحدة منها فكأنما رآها كلها.

الإسكندرية

والاسكندرية مدينة قديمة جليلة عظيمة وكانت فى القديم أكبر مما هى الآن وأعظم

فى كثرة الأهل والبنيان، بناها الاسكندر ذو القرنين على شاطئ البحر الرومى،وكان بها على ما يقال سرير ملكه ومستقر أمة وجميع بنايتها بالحجر والكلس، مبيضة البيوت باطنًا وظاهرًا، كأنها الحمامة البيضاء، ذات شوارع مشرعة الأرجاء، كل خط بذاته كأنها رقعة الشطرنج، يستدير بها أسوار ممنعة، وبروج محصنة، عليها الستائر المسترة، والمجانيق المنصوبة، وبها عسكر مستخدم لحفظها، وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطانة سوى الإسكندرية.

لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر، ومخالسة العدو، وبها الديار الجليلة، والجوامع والمساجد، والربط والخوانق، والمشاهد والفنادق، والرباع والأسواق الممتدة، ومعامل البز والقماش والطرز الفائق المثل، إليها تهوى ركاب التجار برًا وبحرًا من كل فج عميق ومكان سحيق.

وعلى الاسكندرية البساتين الأنيقة والغيطان الفساح وفيها لجلة أهلها القصور الناهدة والجواسق الشاهقة، محصنة جميعها بأحكام البناء، وعلو الجدر خشية من طرّاق الفرنج ودعّار العرب.

وبها من الفواكه المنتجة الثمار وهى تفوق مصر بحسن ثمراتها، ورخص الفواكه بها، وليس للاسكندرية من إزدراع القمح والشعير والحبوب إلا ما قل، وغالب أقواتها محمول من أرياف مصر.

دمياط

مدينة على ضفة البحر، عند مصب أحد فرعى النيل، بناؤها الآن غير موثق، يطوف بها جسر، يبارى النيل إلى مصبه، وهى موضع غرة للعدو من قبل البحر، وقد علقت بهاجمة الكفر زمانًا طويلًا حتى نصر الله عليهم فى أخريات الدولة الأيوبية.

حدثنى من رأى دمياط أنها مدينة لطيفة فيها مدرسة واحدة وأسواق ليست بالكثيرة، ومنها الإفضاء إلى بحيرة تنبس المذكورة فى القديم بحسن الأوضاع، وجودة القماش والمتاع، وإنما هى الآن جون من البحر المالح كالجون.

وهذه جملة الكلام فى مدن الديار المصرية الشهيرة وأما برها فيأخذ بخناقة جيلان، تضيقا فى أوله بأعلى الصعيد ثم يأخذ فى التقليص إلى الجزيرة، فانفرجا واتسع مدى ما بينهما حتى انقطع بالبحر الرومى إلى آخر الأعمال، فأوسعه مدى نحو يومين وأضيقه نحو ساعة، وغالبه نحو ساعتين وما بين ذلك، وهذا هو عرض الديار المصرية حقيقة.

إن الديار المصرية وجهان؛ قبلى وبحرى،جملتها خمس عشرة ولاية، فالوجه القبلى أكبرهما، وهى تسعة أعمال وهى عمل قوص، وقوص شرقى النيل، وهو أجلها، ومنه أسوان، وعرب قموله، وأسوان نهاية حد المملكة من الجنوب، وعمل آخميم وهو شرقى النيل أيضًا، وعمل سيوط، وعمل منفلوط، وعمل الأشمونيين، وبها الطحاوية، وعمل البهنسا، وعمل العرانى وهى عبارة عن غربى المنهى المؤدى إلى الفيوم، وعمل الفيوم، وهو منقطع، وعمل أطفيج وهو شرقى النيل، وعمل الجيزة، والوجه البحرى وهو ستة أعمال؛ عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية، وبرقة، وعمل العزبية جزيرة واحدة، يشتمل على ما بين البحرين والبحر المار ومسكبه عند دمياط، وهو المسمى بالشرقى،والبحر الثانى ومسكبه عند رشيد، وهو المسمى بالغربى،والمنوفية وكانت منف المنسوبة إليها هذا العمل هى مصر قديمًا، ومنها أبيار المسماة بجزيرة أبى نصر، وهى جزيرة وتأخذ فى وسط البحر الغربي) وعمل قلبوب، وقلبوب شرقى النيل، وعمل الشرقية وهو متصل البر بين الشام والقلزم والحجاز.

وكذلك أشموم (ويعرف باشموم طناج) ومنها الدقهلية، والمرناحية، وهنا موقع ثغر البرلس، وموقع ثغر رشيد، والمنصورة المبنية زمان حصار دمياط.

وفى هذه الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان بندران على البحر لا عمل لهما، وأما الواحات فمنقطعة وراء الوجه القبلى فى مغاربيه، ولا تعد فى الولايات ولا فى الأعمال، ولا يحكم عليها من قبل السلطان والٍ، وإنما يحكم عليها من قبل مقطعها، وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة، بعضها داخل بعض.

ومما يتعلق بذيل هذه المملكة:

ذكر برقة

قال ابن سعيد: هى سلطنة طويلة وإن لم تكن يمكن بها استقلال، لأنه قد استولت عليها العرب، وكان سريرها فى القديم مدينة طبرق. قلت: وليس لها سلطان بل ولا سوى أهل العُمد سكان، وقربها إلى أفريقية أكثر من قربها إلى مصر، ولكن ما دون العقبة، لصاحب مصر وأمرها إليه.

وبها القصور العليَّة، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة، وهى اليوم بيد العرب، وهم أصحاب ماشية ودواب سائمة كثيرة من الإبل والغنم، ومنهم من يزرع فى بعض أرضها، فتخصب زروعها، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع.

ذكر المملكة الثانية
وهى مملكة الشام

وقاعدتها مدينة دمشق، وكانت الشام يقال لها أرض كنعان ثم جابر بنو إسرائيل، فقتلوهم بها، ونفوهم عنها، وبقيت الشام لبنى إسرائيل إلى أن غلبت عليهم الروم، وانتزوعها منهم.

وحدود الشام من الجنوب وادى القرى، ومن الغرب عسقلان والحاجز الذى بين البحرين حيث مدائن لوط عليه السلام وطوله أكثر من شهر ونحوه، بعض فى الإقليم الرابع، وبعضه فى الثالث، والتوجه فى قبلته إلى الميزاب إلى الركن الشامى من جهة الشرق، وأكثر أهل يمن وفيهم معدنه.

وكانت الشام يقال لها: أرض كنعان ثم جاء بنو إسرائل فقتلوهم بها، ونفوهم عنها، وكانت الشام لبنى إسرائيل، ووثبت على بنى إسرائيل فقتلوهم؛ وأجلوهم إلى العراق إلا قليلًا منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام.

جملة أعمال دمشق

أما جملة أعمال دمشق فهى ثمانية وعشرون عملًا، وهى ما يذكر عمل ضواحيها، وتسمى بولاية البر، وهى الغوطة والمرج وجبة عسال والإقليم، كل هذا عمل واحد، والبلاد الساحلية القبلية وما تبعها وهى عبارة عن بلاد غزة وعمل قريتا وما جاورها سهلًا ووعرًا وهى نسخة أعمال خاصة غزة ثلاثة أعمال وهي؛ عمل غزة وعمل قريتا، وعمل بيت جبريل، والساحل ثلاثة أعمال وهى عمل الرحلة وعمل قاقون وعمل لدّم، والجبل وهو ثلاثة أعمال، عمل نابلس وعمل القدس الشريف، وعمل بلد الخليل عليه السلام.

بعلبك

مدينة قديمة البناء، شمالى دمشق يقال: إنها من بناء سليمان بن داود عليهما السلام، لها قلعة عظيمة مُرجلة على وجه الأرض، مثل قلعة دمشق يستدير بها.

وبالمدينة سور منيع محصن عظيم البناء بالحجارة الثقل الكبار من الصخر الشديد المانع، وبه ثلاثة أحجار عظيمة ممتده تحت برج وبدنتين كوامل ذوات أطوال وعروض وسمك مرتفع كأفلاق الجبال وفى القلعة عمد عظيمة شواهق وسيعة الدور منيفة العلو.

وفى هذه البقعة من عمائر من تفرد بها من الملوك الأيوبية أثار ملوكية جليلة القدر جلية الحسن كالدار الأمجدية والمجرة.

حمص

حمص مدينة قديمة اسمها القديم سوريا، كانت معظمة عند ملوك الروم كرسى ملك لهم، ولم تزل يشار إليها بينهم بالتعظيم وهى فى وطأةٍ ممتدة على جانب نهر العاص فى شماليه مبنية بالحجر الأسود الصغير، وبها قلعة لا تمنع ويستدير بها سور هو أمنع من

القلعة، واسمح من أبراجها فى الرفعة، ولها من العاص ماء مرفوع يجرى إلى دار نائب السلطنة بها، وظاهرها أحسن من باطنها، لا سيما فى زمان الربيع، وما تلبس به ظواهرها من حلل الربيع الموشِحة بالأزهار ما مد النظر، يرنو بأحداق النرجس وثغور الأقاح وتتوسط بها البحيرة الصافية الماء الضافية النماء، ذات السمك المنقول من الفرات إليها حتى تولد فيها، والطير المبثوث فى نواحيها.

حماة

حماة مدينة قديمة وهى فى وهدة حمراء ممتدة عليها نشزان عاليان مطلان عليها، يسميان قرون حماة، ذكرها امرؤ القيس، هى وسيزر فى شعره طامر بهما فى طريقه إلى قيصر.

وهى مدينة على ضفة العاص بناءً مكينًا بالحجارة، ولها قلعة ملونة الأحجار يستدير بها سور وبيوت ملوكها وسرواتها مطلة على النهر، بها القصور الملوكية والدور السرية والمساجد والمدارس والربط والزوايا والأسواق التى لا تعدم نوعًا من الأنواع، ولا صنفًا من الصنوف، جليلها وحقيرها.

حلب

مدينة عظيمة قديمة، أم أقاليم وبلاد وأغوار وأنجاد؛ وبها معظم قلاع الشام ومعاقله وحصونه وثغوره، وتسمى حلب الشهباء.

وبها الديار العظيمة والجامع ذو المئذنة العليا الفائقة والمارستان والمساجد والمدارس والربط والخوانق ووجوه البر الدائم والصدقات الجارية، ويجرى إلى داخل المدينة فرع ماء، يتشعب فى دورها ومساكنها، وهو قليل نزر، لا يبل صداها، ولا يكفى بغيتها ولها الصهاريج المملوءة من ماء الأمطار، صافية الغطاف، باردة الزلال، منه شرب أهلها.

طرابلس

بنيت عند الفتح عوض طرابلس العتيقة، وكانت تسمى قديماً بدار العلم، وتداولها ملوك بنى عمار، وكانوا فى الأول لهم القضاء بها، ولما بنيت هذه المدينة الجديدة كانت وخيمة البقعة. ذميمة المسكن، فلما طالت مدة سكنها، وكثر بها الناس والدواب وصرفت المياه الآسنة التى كانت حولها نقائع، وعملت بساتين ونصب بها المنصوب والغراس فخف ثقلها وقل وخمها، وقد كان بها أسد مر الكرجى نائبًا، وبقى لا يستقل من لون وخم، فشكا إلى الحكيم الفاضل أمين الدين سليمان بن داود المتطبب، وخامتها، وسأله عما يخفف بعض ذلك، فأشار عليه أن يستكثر بها من الجمال وبقية الدواب ففعل ذلك، وأمر به الأمراء والجند، فخف ما بها، وكان الأمر كما أشار به الحكيم، وسألت عن تعليل هذا كثيرًا من الأطباء فقال: إنه لا يعرفه، وفوق كل ذى علم عليم.

صفد

مدينة فى سفح جبل، صحيحة الهواء، خفيفة الماء يحمل إليها الماء على الدواب من واديها، وبها عين ماء لو أنها دمع لما بلت الآفاق، ولا ملت بلى البكاء به الأحداق وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادى بها، ولا يرضى حمامات المدينة لقلة مائها، وسوء بنائها، وبها عسكر من الجند.

القدس

والقدس الشريف الأرض المقدسة مشتملة على مدينة القدس وما حوله إلى نهر الأردن المسمى بالشريعة إلى فلسطين المسماة بالرملة طولًا، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عرضًا، غالبها جبال وأودية إلا ما هو فى جنباتها.

وأما مدينة القدس الشريف فعلى جبل مدينة مستديرة فى وسطها السور المحيط على الصخرة والمسجد المسمى الآن بالمسجد الأقصى، وإنما حقيقة المسجد الأقصى جميع ما يحيط به السور المذكور، وهى المعروف بالسور السليمان، ويشرف عليها من شرقيها

جبل أعلى منها، يفصل بينهما الوادى المعروف بوادى جهنم، ويعرف بالطور وبه إلى الآن بناء جليل رومى يقال أن منه كان صعود المسيح عليه السلام إلى السماء وبهذا الوادى عين سلوان وهى تخرج من مكان فى الجبل الذى عليه بناء مدينة القدس.

ومدينة القدس مبنية بالحجر والكلس وغالب حجرها أسود وهى وعرة المسالك وكان بها آثار قلعة قديمة خربة، جددت فى أيام هذا السلطان سنة عشرة وسبعمائة على ما يذكر الجوكندار. إذ كان كافل الممالك ووجودها وعدمها سواء، إذ لا نفع بها، ولا تحصين لها.

وبالقدس مدارس وخانقاه وربط وزوايا وترب والمسجد الأقصى بها وقوف كثيرة جارية على مصالحه والمؤذنين به وخدمه وجماعة من العلماء والقراء به.

الكرك

مدينة ذات قلعة تعرف بكرك الشوبك، والشوبك أقدم منها، والكرك مدينة محدثة البناء، كانت ديرًا يتديره الرهبان ثم كثروا، فكبروا بناءه، وكثروا أبناءه، وآوى إليهم أناس من مجاوريهم من النصارى، فقامت لهم به أسواق، ودارت لهم به معايش، وأوت إليه الفرنج، فأدارت أسواره فصارت مدينة مشهورة، ثم بنوا حصنه فكانت قلعة مذكورة فاستولى عليها الفرنج حتى فتح الله فى زمان السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبى المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى.

الشوبك

والشوبك المنسوب إليه الكرك مدينة صغيرة أكثر فى البر دخولًا منها، وانحرافًا إلى التغريب فى القبلة عنها ذات أكواب من جداول الأنهار موضوعة وسرر من مقاعد الأبراج مرفوعة وفاكهة كما قال الله تعالى فى الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة.

غزة

مدينة بين مصر دمشق، بها دفن هاشم بن عبد مناف وبها ولد الشافعى رحمه الله،

وهى مبنية بالحجر والكلس، مونقة البناء، على نشز عالٍ، على نحو ميل عن البحر الشامى،ذات هواء صحيح، وماء مصرفها خم، لا يستلذ، وشرب أهلها من الآبار، ولها مجمع للمطر، يدوم به ماء الشتاء، لكنه يستثقل.

ولها فواكه كثيرة أجلها العنب والتين وبها مرستان بناه هذا السلطان أثابه الله لحوج ما كانت المارة إليه فى مكانه، وبها من المدارس والترب ما ازدانت به، وهى نيابة جليلة، وبها طائفة من العسكر والعرب والتركمان.

السفر الرابع

ممالك اليمن والغرب الإسلامى
وقبائل العرب

الباب السابع
فى مملكة اليمن

وفيه فصلان:

الفصل الأول: فيما بيد أولاد رسول.

الفصل الثانى: فيما بيد الأشراف.

فى مملكة اليمن

واليمن إقليم متسع، وله ذكر قديم، ذكر البكرى أن عرضه ست عشرة مرحلة، وطوله عشرون مرحلة، المرحلة ستة فراسخ، وهو كرسى ملك التبابعة من حمير، وبه كانت سبأ.

وهو يشتمل على عدة بلاد وقلاع وحصون حصينة، ولكن مدنه يفصل البر ما بين بعضها عن بعض، وبلادها مختلفة: نجود وتهائم، فالنجود باردة الهواء، طيبة المسكن، والتهائم حارة شديدة الحر.

وقاعدة الملك بها تعز وزبيد، وتعز من النجود مبنية على جبل شاهق، وزبيد من التهائم مبنية فى وطاءة.

واليمن مفرق الملك بعضه بيد الشرفاء المطيعين لإمام الزيدية، لا يطيعون إلا لائمتهم القائمين منهم إمامًا بعد إمام، وقاعدة تملكه صنعاء، وبعضه بيد أكراد عصاة على ملوك اليمن، وبعضه بيد عرب لا تطيع.

الفصل الأول
فيما بيد أولاد رسول

فأما معظم اليمن فمع تعز وزبيد، وصاحبهما هو المشار إليه إذا قيل: صاحب اليمن، وأخبرنى بجملة ما أذكر من أحوالها أبو جعفر أحمد بن محمد المقدسى عرف بابن غانم، وكان من كتاب الإنشاء بمصر ودمشق، ثم دخل اليمن وخدم بها صاحبها إذ ذاك الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر رحمه الله فى كتابة الإنشاء واختص به، وأبو محمد عبد الباقى بن عبد المجيد اليمنى الكاتب، وجملة ما أذكره عنهما وهو: أن صاحب اليمن يصيف بتعز ويشتى بزبيد.

وتعز بلد كثير الماء، بارد الهواء، كثير الفاكهة من العنب والرمان والسفرجل والتفاح والخوخ والتوت والموز والبطيخ الأخضر والأصفر، ويوجد به كثير من أنواع الفاكهة.

وأما زبيد فإنها شديدة الحر، ولا يبرد ماؤها ولا هواؤها، وهى أوسع رقعة، وأكثر بناء، ولها نهر جار بظاهرها.

وأما مساكن الملك فيهما فنهاية فى العظمة، وفرش الرخام والسقوف المدهونة، وأخصاء الملك بها الخصيان هم خاصته المقربون وهو متوفر فى غالب وقته على لذاته.

وباليمن الخيل العراب الفائقة، والبغال نوعان: سروجية للركوب، وحبشية للأحمال، وبها الجمال والحمير وأنواع الدواب من البقر والغنم والطير من الأوز والدجاج والحمام وغير ذلك.

وهى بلاد رخية كثيرة الحبوب، وأقل حبوبها القمح والشعير، وأكثر الأرز والذرة والسمسم، وبها العسل الكثير، وأنواع المقل، ووقودها السليط وهو الشيرج، ولا يوجد بها الزيت ولا الزيتون إلا إن جلب من الشام.

وباليمن عدن، وهى من أعظم المرسى بها، وتكاد تكون ثالثة تعز وزبيد فى الذكر، وبها قلعة السمدان المشهورة بالمنعة، وبها قعلة وهى خزانة مال ملوك هذا الإقليم.

وأما ظفار فهى لأولاد الملك الواثق عم صاحب اليمن، وهم وإن أطلق عليهم اسم الملك نواب له، وظفار أقصد إلى الهند من عدن، وهى على جون خارج من البحر، تنقل البضائع فى زوارق صغار فيه حتى تقطع ذلك الجون، ثم توسق ذلك فى السفائن.

قال ابن البرهان: وملوك اليمن أوقاتهم مقصورة على لذاتهم والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين، فلا يكاد السلطان يرى بل ولا يسمع أحد من أهل اليمن له على الحقيقة خبرًا مع شدة ضبطهم لبلادهم ومن فيها، واحترازهم على طرقها برًا وبحرًا من كل جهة، فلا يخفى داخل إليها، ولا خارج يخرج منها.

الفصل الثاني
فيما بيد الأشراف

قد تقدم القول على من قام ياليمن من أهل هذا البيت الشريف، وهم إلى الآن، وأمرهم على ما كان، وأول قائم منهم: الإمام يحية الهادى بن الحسين الزاهد بن أبى محمد الرسى بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن السيد أبى محمد الحسن بن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب سلام الله عليهم ورحمته وبركاته.

قام بهذه الدعوة فى اليمن، وأعلن مناديه بالإمامة، ورفع بيته، وشيد له الدعامة، واستجاب الخلق لندائه، وصلوا بصلاته، وأمنوا على دعائه، وقام منهم مقامًا محمودًا.

وقام بعده الهادى ولده المرتضى، وتمت له البيعة، ثم اضطرب أمره، واضطر إلى تجريد السيف، وقاتله الناس.

وأئمة الزيديين كثيرون، والمشهور منهم: المؤيد بالله، والنصور بالله، والمهدى بالله، والمطهر بن يحيى.

ولهؤلاء دعوة بالجيلان، وهى كيلان، ولهم دعوة هناك، يجبون لهم الزكوات من تلك البلاد، وممن يجيب داعيهم فيها.

وحدثنى الحكيم الفاضل صلاح الدين محمد بن البرهان أن اليمن تنقسم إلى قسمين: سواحل وجبال، فالسواحل كلها لبنى رسول، والجبال كلها أو غالبها للأشراف وهي أقل دخلا من السواحل لمدد البحر لتلك واتصال سبيلها منه، وانقطاع المدد عن هذه البلاد لانقطاع سبيلها من كل جهة.

الباب الثامن
فى ممالك المسلمين بالحبشة

وهذه الممالك السبعة بأيدى سبعة ملوك، وهى ضعيفة البناء، قليلة الغناء لضعف تركيب أهلها، وقلة محصول البلاد، وتسلط ملك ملوك الحبشة صاحب أمحرة عليهم مع ما بينهم من عداوة الدين ومباينة ما بين النصارى والمسلمين، ومع هذا فكلمتهم متفرقة، وذات بينهم فاسدة.

وبهذه الممالك السبعة الجوامع والمساجد، وتقام بها الخطب والجمع والجماعات، وعند أهلها محافظة على الدين، ولا تعرف عندهم مدرسة ولا خانقاه ولا رباط ولا زاوية، وليست لهم إبل، وهى بلاد حارة ليست بمائلة إلى الاعتدال، وألوان أهلها إلى الصفار، وفيهم الزهاد والأبرار.

الفصل الأول
فى أوفات

طولها خمشة عشر يومًا، وعرضها عشرون يومًا، وكلها عامرة آهلة بقرى متصلة، وبها نهر جار، وهى أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامتة لليمن، وهى أوسع هذه الممالك أرضًا، والأجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد.

وملكها يحكم على الزيلع، والزيلع اسم ميناء التجار الواردين إليها، وهو فى وقتنا اليوم شافعى المذهب، وغالبها شافعية.

ويسمى الملك عندهم فاط، والملك يعتصب على رأسه بعصابة من حرير تدور بدائر رأسه، ويبقى وسط الرأس مكشوفًا.

وأما الأمراء والجند فتعصب رؤوسهم بعصائب من قطن على مثل هذا الوضع، ولا يعتصب بالحرير إلا الملك، وقل من يلبس منهم قميصا أو ثوبًا مخيطًا، وإنما يتزرون وزرات، وتلبس طائفة أرباب السيوف منهم سراويلات.

وأما الفقهاء فتلبس العمائم، وعامة الناس تلبس كوافى بيضًا طاقيات، ومن الفقهاء وأرباب النعم من يلبس القمصان.

وعندهم من قصب السكر مقار صالح، ويخرج منه القند، وعندهم الموز والجميز والأترج والليمون، وقليل من النارنج والرمان الحامض والمشمش والتوت والعنب، ولهم فواكه أخرى لا تعرف بمصر والشام والعراق، فمنها: شجر كشياد، وشجر كوسى،وشجر طانة، وشجر أوجات، وشجر جات.

وليس بأوفات ولا بلادها دار ضرب ولا سكة، ومعاملتهم بدنانير مصر، ودراهمها مما يدخل مع التجار إلى بلادهم.

الفصل الثاني

فى دوارو

هذه المملكة طولها خمسة أيام، وعرضها يومان، وهى على هذا الضيق ذات عسكر جم نظير عسكر أوفات فى الفارس والراجل، وزيهم مثل زيهم فى اللبس والركوب والهيئة سوى أن ملكها لا يحمل على رأسه جتر، وأقواتهم والموجودات التى عندهم من الحبوب والفواكه والخيول والدواب من نسبة ما تقدم إلا أنهم حنفية المذهب، ومعاملتهم بالحديد، وتسمى حكنه، وهى فى طول الإبرة، وتباع البقرة الجيدة بخمسة آلاف حكنه، ويباع رأس الغنم الجيد بثلاثة آلاف حكنة، وهذه المملكة مجاورة لأوفات.

الفصل الثالث

فى أرابيني

هذه المملكة مربعة على شكل اليربيع، طولها أربعة أيام، وعرضها كذلك، وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس، وأما الرجالة فكثيرة جدا، وأهلها حنفية المذهب، وهى تلى

دوارو، وزى أهلها زى أهل دوارو، وفى كل شيء، والموجودات التى عنهم من الحبوب والفواكه والبقول والدواب وغير ذلك مثل دوارو، ومعاملتهم بالحكنه.

الفصل الرابع
فى هدية

إن صاحب هدية أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة، وأكثر خيلا ورجلا، وأشد بأسًا على ضيق بلاده عن مقدار أوفات، وهذه البلاد طولها ثمانية أيام، ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس من غير الرجالة، وهم فى زيهم ومعاملتهم وما يوجد عندهم من الحبوب والفواكه والبقول مثل أرابينى ودوارو، وبلاد هدية تلى أرابينى،وإلى مدينة تجلب الخدام من بلاد الكفار.

الفصل الخامس
فى شرحا

هذه المملكة طولها ثلاثة أيام، وعرضها أربعة أيام، وعسكرها ثلاثة آلاف فارس ورجالة مثلها مرتين وأكثر، وهى كأخواتها دوارو وأرابينى فى بقية أحوالها من الزى والمعاملة والحبوب والفواكه والبقول، وسائر ما لهم وما عليهم، وهى تلى هذية، وأهلها حنفية المذهب.

الفصل السادس
فى بالي

هذه المملكة طولها عشرون يومًا، وعرضها ستة أيام، وعسكرها ثمانية عشر ألف فارس والرجالة بها كثير، عددهم وأهلها مثل باقى أخواتها فى جميع زيهم وأحوالهم وأقواتهم، والموجودات عندهم، ولكنهم أكثر خصبا، وأطيب سكنًا، وأبرد هواء

وماء، ولكنهم لايتعاملون بالنقود مثل أوفات، ولا بالحكنه مثل بقية ما تقدم، ولكن بالأعواض مثل البقر والغنم والقماش، وهى تلى شرحا، وأهلها حنفية المذهب.

الفصل السابع
فى دراة

هذه المملكة طولها ثلاثة أيام، وعرضها مثله، وهى أضعف أخواتها حالا، وأقلها خيلا ورجالا، وعسكرها لا يزيد على ألفى فارس ومثلهم رجالة، وهم فى بقية أحوالهم وأحوالها مثل أخواتها ومعاملتها بالأعواض مثل بالى،وهى تليها، وأهلها حنفية المذهب.

الباب التاسع
فى ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل إلى مصر

الفصل الأول
فى الكانم

الكانم بلد مسلم مستقل بينه وبين بلاد مالى مسافة بعيدة جدًا، قاعدته مالكه، بلد اسمها جيمى،مبدأ مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زلا، وآخرها طولا بلدة يقال لها: كاكا، وبينهما نحو ثلاثة أشهر، وعسكرهم يتلثمون، وملكهم على حقارة سلطانه فى غاية لا تدرك من الكبرياء يمسح برأسه عنان السماء، محجوب لا يراه أحد إلا فى يوم العيدين، وفى سائر السنة لا يكلمه أحد ولو كان أميرًا إلا من وراء حجاب، وغالب عيشهم الآن الأرز والقمح والذرة، وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان والرطب.

الفصل الثاني
فى النوبة

تلى مصر فى نهاية جنوبها على ضفتى النيل الجارى إلى مصر، وقاعدتها دنقلة، ومدنها أشبه بالقرى والضياع من المدن، قليلة الخير والخصب، يابسة الهواء، وكذلك زهد فيها بنو أيوب فى مدة السلطان صلاح الدين لما تجهز أخوه شمس الدولة لأخذها، فعدل إلى اليمن لأنهم خافوا من الشهيد نور الدين محمود بن زنكى أن يقصدهم إلى مصر وينتزع المملكة من أيديهم، فأرادوا فتح بلاد من ورائهم تكون ملجأ لهم، فقصدوا النوبة، فلما رأوها بلادًا لا تصلح لمثلهم عدلوا إلى اليمن.

وأديان أهل هذه البلاد دين النصرانية، وملكهم كأنه واحد من العامة، ومن بلادهم لقمان الحكيم، وقد ذكره البيهقى فى مفاخر النوبة، ثم سكن مدينة أيلة مع اليهود، ورحل إلى بيت المقدس، ورأى أنبياء بنى إسرائيل وجالس داود عليه السلام.

والنوبة لهم قتال، وبأسهم بينهم على ضعف قواهم وقلة بأسهم.

الباب العاشر
فى مملكة بالى وما معها

هذه المملكة فى جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، قاعدة الملك بها مدينة بيتى،وهذه المملكة شديدة الحر، قشفة المعيشة، قليلة أنواع الأقوات، وأهلها طوال فى غاية السواد، وتفلفل الشعور، وغالب طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم.

والذى تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم: غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانبقوا، وزرنطابنا، وبيترا، ودومورا، وزاغا، وكابرا، وبراغورى،وكوكو، وسكان كوكو قبائل يرتان.

وإقليم مالى هو الذى به قاعدة الملك مدينة بيتى،وكل هذه الأقاليم مضافة إليه، والاسم المطلق عليه فى هذه الأقاليم كلها مالى،قاعدته أقاليم هذه المملكة ذات المدن والقرى والأعمال، وهى أربعة عشر إقليماً.

وفى شمال بلاد مالى قبائل من البربر تحت حكم سلطانها وهم: نيتصر، ونيتغراس، ومدوسة، ولمتونة، ولهم أشياخ تحكم عليهم صاحب مالى،وكذلك فى طاعته قوم من الكفار، ومنهم من يأكل لحوم بنى آدم، ومنهم من أسلم، ومنهم من هو باق على هذا.

ومدينة بيتى ممتدة طولا وعرضا تكون طول بريد تقريبًا، وعرضها كذلك لا يحيك بها سور، وأكثرها متفرقة، وللملك عدة قصور، يستدير بها سور محيط بها، وفرع من النيل يستدير بهذه المدينة من جهاتها الأربع.

وغالب أقواتهم الأرز والفونى،وعندهم الحنطة وهى قليلة، والذرة وفيها لهم قوت، ويزرع عنهم القاقى والقرع واللفت والبصل والثوم والكرنب.

وأغنامهم ومعزهم لا مرعى لها، وإنما هى جلالات على القمامات والمزابل، وتلد الواحدة من المعز فى بطن واحد سبعة وثمانية.

وبصحاريهم أنواع الوحوش من الحمر والبقر والغزلان والنعام وما يجرى مجراها، والفيلة والآساد والنمور، وكلها لا تؤذى إلا من تعرض لها أو تحرش بها، وربما يمر الرجل بها إلى جانبها فلا تعترضه ما لم يهجها.

وملوك هذه المملكة يجلب إليها الخيل العراب، وتبذل الأثمان الكثيرة فيها، ومقدار عسكره مئة ألف نفر، منهم نحو عشرة آلاف فارس فرسان خيالة، وسائرهم رجالة لا خيل لهم ولا مركب، والجمال والمراكب عندهم موجودة، ولا يعرف بها ركوب.

ومن عادتهم أنه لا يدفن عندهم ميت إلا إذا كان ذا قدر وحشمة، وإلا فكل من سوى هؤلاء ممن لا قدر له، والفقراء والغرباء فإنه يرمى رميًا فى الفلاة مثل ما ترمى باقى الميتات.

وبلاد مالى وغانة وما معها يسلك إليها من غربى صعيد مصر على الواحات فى بر مقفر تسكنه طوائف من العرب ثم من البربر إلى عمران يتوصل منه إلى مالى وغانة، وهى مسامتة لجبال البربر فى جنوب مراكش وما يليها فى قفار طويلة وصحار ممتدة موحشة.

وأهل هذه المملكة كثير فيهم السحر والسم، ولهم عناية بهما وتدقيق فيهما، وعندهم حشائش وحيوانات يركبون منها السموم القتلة ولا سيما من نوع السمك يوجد عندهم، ومرارات التماسيح، فإنها سموم لا دواء لها.

الباب الحادى عشر
فى مملكة جبال البربر

وبلاد السودان أيضًا مثلثة: ثلاثة ملوك مستقلين مسلمين بيض من البربر: سلطان أهير، سلطان دموسة، وسلطان دامكة.

هؤلاء الملوك الثلاثة البيض ملك أهير ودموسة وتادمكة، ثلاثتهم ملوك مسلمون فى جنوب الغرب الأقصيبين بر العدوة مملكة السلطان أبى الحسن وبين بلاد مالى وما معها، وكل واحد منهم ملك مستقل بنفسه لا يحكم أحد منهم على الآخر، وأكبر ملوكهم أهير.

وهم بربر زيهم نحو زى المغاربة دراريع إلا أنها أضيق، وعمائم بأحناك، وركوبهم الإبل، ولا خيل عندهم ولا للمرينى عليهم حكم، ولصاحب مالى،وعيشهم عيش أهل البر من اللحوم والألبان، والحبوب قليلة عندهم.

الباب الثانى عشر
فى مملكة إفريقية

هى مملكة عظيمة، ولها شهرة عظيمة، صحيحة الهواء، عذبة الماء، وسيعة المدى، فى أول منشأ الدولة الفاطمية.

وإفريقية اسم الإقليم، وقاعدة الملك بها مدينة تونس، وأضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس يكون طولها خمسة وثلاثين يومًا، وعرضها عشرين يومًا، وطولها من تدلس إلى حدود برقة، وطرابلس أول مدنها مما يلى برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلى الغرب الأوسط، وحدها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جناوة المسكنة بأمم من السودان، ومن الشرق آخر حدود طرابلس وهى داخلة من المحدود.

ومن الشمال البحر الشمالى،ومن الغرب آخر حدود تدلس لجزائر بنى مزغنة.

ورطلها ست عشرة أوقية، وزن الأوقية أحد وعشرون درهمًا من دراهمها، والكيل اثنان: قفيز وصحفة، فأما القفيز فهو ست عشرة ويبة كل ويبة اثنا عشر مدًا قرويًا يقارب المد النبوى،وهى ثمانية أمداد بالكيل الحفصى،والحفصى هو كيل قرره ملوكها الحفصيون آباء ملوكها الآن بقدر مد ونصف من المد المقدم ذكره، وأما الصحفة فهى عشر صحاف كل صحفة اثنا عشر مدًا بالحفصى.

وأما مدنها الكبار، فالقاعدة تونس والمشرقيات على الساحل: سوسة، والمهدية، وصفاقس، وقصر زياد، وقابس، والمغربيات على الساحل: بنزرت وبلد العناب وهى: بونة، والقل، وجيجل، وبجاية، وتازروت، وآزفون، وتدلس، وقبلى تونس إلى الجنوب القيوان، وجنوبيها بلاد الجريد، وأمها توزر، وبقربها تقيوس، وهى ثلاث بلاد ذات

نخيل وزيتون، وكامة البهاليل بين توزر وتونس على طريق القيروان وقفصة ذات نخيل وزيتون، وبغربى توزر على نصف يوم منها نفطة، وغربى تونس بعيدًا من البحر باجة على يومين منها، وبالقرب خولان على نهر بجردة فى جنوبيها بغربى تونس جامة، وتبرسق، وكسرة، وبالقرب من ذلك مما يلى الغرب الأربس، وشقبنارية، وفى القرب منها مما يلى الغرب أبة، وهى قصور مجتمعة نحو مئة وخمسين قصرًا.

فأما تونس فهى قاعدة الملك وبها مما يلى بجاية قاعدة ملك ثانية، وهى مدينة مسورة فى وطاءة من الأرض بسفح جبل يعرف بأم عمرو، ويستدير بها خندق حصين وثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها، وأرضها سباخ، وبها قصبة وهى القلعة فى مصطلح المغاربة هى سكن السلطان، وجميع بناء تونس بالحجر والآجر، وأبنيتها مسقوفة بالأخشاب وتفرش ديار أكابرها بالرخام.

وأما بجاية فهى مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جنبها ربض أدير على سور ضام لنطاق المدينة فصارا به كالشىء الواحد، والربض فى وطاءة، والمدينة القديمة المتصلة به فى سفح جبل يدخل إليها جون من البحر الشامى يعبر بالمراكب إليها، وبها عينان اثنتان من الماء إحداهما كبيرة منها شرب أهل البلد.

وبقية مدن إفريقية جميعها ممنعة ممدنة ذوات جوامع ومساجد وحمامات وطواحين وأسواق وديارات سرية لكنها عاطلة من حلى البر والمعروف لا يكاد يوجد بها مدرسة ولا خانقاة ولا زاوية ولا رباط ولا مارستان إلا فاس ومراكش، وإن لم يبلغا أدنى رتب أمثالها، ولا تعلقا بأذيالها على أن الذى بمراكش أجود.

قال القاضى أبو القسم بن بنون: «طبقات الجند بإفريقية أشياخ كبار، وأشياخ صغار، ثم الواقافون، ثم عامة الجند، فأما البركات فهى ما ذكروا، وأما مقدار ما لكل واحد فحرث عشرة أزواج بقرًا، والزوج هو محرث أربع من البقر لأن الزوج بشعبتين، والشعبة رأسان من البقر".

قال ابن القويع: «والجند الغرباء يتميزون فى العطيات على الموحدين، وسألته عن حقيقة معنى الوقافين ما هم؟ فقال: هؤلاء لهم خاصية بالسلطان يسكنون معه فى

القصبة يعنى القلعة، وهم طبقتان: وقافون كبار ووقافون صغار، وهؤلاء يقفون بين يديه فى أوقات جلوسه إذا جلس للناس، وهم بمنزلة الأمراء الخاصكية بمصر».

الباب الثالث عشر
فى مملكة بر العدوة

هو الآن مجموع لسلطان واحد، وفيه ثلاث ممالك: فاس وهى أعظمها، ومملكة تلمسان، ومملكة سبتة، مع ما أضيف إليه من بلاد الأندلس، وبلاد بر العدوة بلاد خصيبة ذات زرع وضرع وفواكه.

قال ابن سعيد: وبر العدوة فى الثالث والرابع، ثم قال: والإقليم الثالث صاحب سفك الدماء والحسد والحقد والغل، وما يتبع ذلك.

قال أبو عبد الله محمد بن محمد السلالجى: إن بمدينة فاس أربع مدارس وخانقاة واحدة.

ومكان السلطان من بر العدوة هو بفاس الجديدة المسماة بالبيضاء فى دار لا يختص فيها بزيادة رفعة على نشز ولا ربوة، وتسمى القصر، وهو عالى البناء ذو قباب عالية ضخمة لائقة بالملوك، وغرف مرتفعة ورفارف علوية، ومجالس سلطانية، وبداخله القبة المعروفة بقبة الرضا، وهى قبة عظيمة الارتفاع خارقة الاتساع، وقدامها بركة ممتدة بها مركب لاتساعها وكبرها، وخلفها بركة أخرى مثلها، وفى نهاية كل بركة قبة لطيفة المقدار، وفى جميع جدر القباب شبابيك مطلة، والبستان حاف بالجميع، وهو بستان جليل منوع بصفوف الأشجار والغراس على اختلافها.

وقاعدة الملك بها مدينة فاس، ثم مراكش وهى التى كانت قديما فى زمان بنى عبد المؤمن قاعدة الملك العظمى، فلما انتقل الملك إلى بنى مرين، وتحلى جيده بعقدهم الثمين أبوا إلا أن يتخذوا لهم مدينة فاس دار الملك، فاستوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها على ضفة الوادى المعروف بوادى الجوهر غربا بقبلة.

فأولها المدينة البيضاء، وتعرف بالبلد الجديد بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، وهو أول من استقل بالملك بعد الموحدين؛ لأن أخاه أبا يحيى أبا بكر ثار عليهم ومات وما استقل له سلطان، ولا استقر له من عز الملك أوطان.

ثم مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح، بناها ولده أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف والد سلطانها القائم الآن، بناها إلى جانب البيضاء.

وربض النصارى المتخذ لسكنى الطائفة الفرنجية المختصة بخدمة السلطان، ويطلق على هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة.

وهناك فاس العتيقة على الضفة الشمالية، والقصبة بها فى غربيها مرجلة على الأرض لا تتميز على المدينة برفعة ولا ببناء عال، وتلك المتخذات كلها على الضفة الغربية، ويبقى النهر مستديرًا بفاس الجديدة من جانبى الشمال على المجرى المركبة عليه حمص، ومن الشرق حيث انعطف النهر عند فاس العتيقة.

وبفاس العتيقة داخل سورها جناين ورياض ذوات أشجار ورياحين فى دار الكبراء وبيوت الأعيان، وبها أرحاء كثيرة دائرة على الماء.

وأما تلمسان: فمملكة تمادى الأمر عليها، وهى مستقلة بنفسها، وقد استضافها هذا السلطان إليه فصارت له قاعدة ثالثة.

وأما المدن الكبار بهذه المملكة فهى اثنتان وأربعون مدينة، القائم فيها هذا السلطان عن آبائه ست وعشرون مدينة، وهى فاس، ومراكش، وأغمات، وآسفى،وآنفا، وآزمور، وتيط، وأزيلا، والعرائش، وطنجة، والقصر الصغير، وسبتة، وبادس، وتيجياس، وعصاصة وهى المسماة باللدية، وقصر عبد الكريم، وتـازا، وصا، وسجلماسة، وتطاوين، ومليلة، والمزمة، وتازوطة، ومكناسة، والمستجد لهذا السلطان عند فتحه بسيفه لمدينة تلمسان وقتل ملكها أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو عبد الوادى، فهى تسع عشرة مدينة، وهى تلمسان، ووجدة، ومديونة، وندرومة، وهنين، ووهران، وتيمزغران، وبرشك، وشرشال، وتونت، ومستغانم، وتنس، والجزائر، والقصبات، ومازونة، وتاحجحمت، ومليانة، والمدية.

وبر العدة به من أرزاق الحبوب القمح والشعير والفول والحمص والعدس والسلت وغير ذلك، إلا الأرز فإنه قليل، وإن ازدرع فى بعض الأماكن من بر العدوة، ولكنه يجلب إليهم من بلاد الفرنج، وما لهم نهمة فى أكله ولا عناية به، ويزرع به السمسم، ولكنه ليس بكثير لا يعتصر منه بالغرب شيرج، ولا يأكل الشيرج منهم إلا من وصفه له الطبيب، وإنما أكلهم عوضه الزيت ومزورات الضعفاء، وهم يعملون الحلوى بالعسل والزيت.

وبها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المتعددة الأنواع والأجناس من النخل والعنب والتين والرمان والسفرجل، والتفاح على أصناف، والكمثرى كذلك، ويسمى ببر العدوة الإنجاص كما يسمى بدمشق، والمشمش والعين والبرقوق والقراسيا والخوخ، وأما التوت فقليل، وبها اللوز والجوز.

وبها الأترج والليمون والليم والنارنج والزنبوع وهو المسمى بمصر والشام الكباد، والبطيخ الأصفر، وأما الأخضر فهو يسمى عندهم بالدلاع، وهو قليل والموجود منه لا يستطاب.

وبها من الدواب الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، ولا يعدم عندهم إلا الجاموس فإنه لا يوجد عندهم.

وأما مراكش فهى متوسطة بين المحيط إلى الصحراء إلى البحر أربعين ميلا وإلى الصحراء، وهى كما قدمنا ثانية قواعد الملك.

حكى لى غير واحد عن سعة دورها وضخامة عمائرها وما فيها من قصور بنى عبد المؤمن وأولادهم وأجنادهم، حتى يقال: إنه إذا كان الرجل فى صدر الدار ونادى رفيقه وهو فى صدرها الآخر بأعلى صوته لا يكاد يسمعه لاتساعها.

وأما تلمسان وهى قاعدة الملك الذى فتحه السلطان بسيفه، واستضافه إلى ملكه.

قال الشريف: وهى فى سفح جبل وبها آثار الأول، وماؤها مجلوب من عيون على ستة أميال، ولها أسواق ضخمة، ومساجد جامعة، وأنهار وأشجار، وشجر الجوز كثير بها، وفيها المشمش المقارب فى حسنه لمشمش دمشق وعلى نهرها الأرحاء، ويصب نهرها

فى بركة عظيمة من آثار الأول، ويسمع لوقعه خرير على مسافة ثم يصب فى نهر آخر بعدما يمر على البساتين، ويستدير بقبليها وشرقيها، وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب فى النهر.

وهى دار علم متوسطة فى قبائل البربر، ومقصد تجار الآفاق، زكية الأرض من الزرع والضرع، وبها حصون كثيرة، وفرض عديدة أشهرها فرضة هنين وهى قبالة المرية من الأندلس، ووهران فى شرقى تلمسان بشمال قليل على مسيرة يوم من تلمسان، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس.

وأما **سبتة** فهى على ضفة بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهى فى طرف من الأرض شديد الضيق من جهة الغرب، والبحر المحيط محيط بها شرقا وغربا وقبلة، ولو شاء أهلها أن يصلوها به من جهة الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة، ولها فاكهة كثيرة وبها قصب سكر ليس بالكثير، وعليها أبراج كثيرة، وأسوارها عظيمة من صخر محيط بها، وكذلك محيط بجبل مينائها الذى بشرقيها، ويربضها أسوار، وبها حمامات يجلب إليها على الظهر من البحر فى الشوانى،وطول المدينة من السور الغربى المحيط بها على ربضها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال.

وأما **طنجة** فهى مدينة مسورة متقنة على ساحل بحر الزقاق، وهو محط السفن اللطاف، وكانت قاعدة تلك الجهات قبل الإسلام وحين الكتب القديمة والمصنفة فى هذا الشأن ذكرها، وهى كثيرة الفواكه وخصوصًا العنب والكمثرى.

ثم نذكر **سجلماسة** لأنها من أجل مدن بر العدوة، وهى باب الصحراء إلى أرض السودان وبلاد مغزارة الذهب ولموقع عجيب فى زرعها.

وهى مدينة جليلة فى جنوبى بر العدوة متصلة بالصحراء الكبيرة من أكبر مدن الغرب وأشهرها ذكرًا فى الآفاق، وعليها نهر كبير، ذات قصور مشيدة، وأبنية علية، وأبواب رفيعة، صحيحة الهواء لمجاورة البيداء، وأرضها سهلة سبخية، ولها أرباض كثيرة، مخصوصة بأن لا يجذم أحد من أهلها، لكن تلحقهم رطوبة فى أجفانهم، وبها نخيل كثير، ثمره على أصناف يحمل منه إلى عامة الغرب، ويفضل ثمرها ما سواه حتى يضاهى به تمر العراق، وبتمرها يضرب فى الغرب المثل، ولها بساتين خضرة نضرة على قشف مكانها وجفاء سكانها.

الباب الرابع عشر
فى مملكة الأندلس

المملكة الإسلامية بالأندلس حماها الله تعالى طول مسافتها عشرة أيام، وعرضها ثلاثة أيام، وسلطانها الآن أعنى عام ثمانية وثلاثين وسبع مائة هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، مستقره غرناطة، وهى الآن دار هذه المملكة، وأضخم بلادها.

مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر، كثيرة الأشجار والأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهب الرياح، لا تجرى بها الرياح إلا نادرًا لاكتناف الجبال إياها.

وأصل أنهارها نهران عظيمان شنيل وحدره، أما شنيل فينحدر من جبل شلير بجنوبها، وهو طود شامخ لا ينفك عنه الثلج شتاء ولا صيفًا، فهو لذلك شديد البرد، وغرناطة كذلك فى الشتاء بسببه، إذ ليس بينها وبينه سوى عشرة أميال.

وأما حدرة فينحدر من جبل بناحية مدينة وادى آش شرقى شلير فيمر بين بساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهى إلى غرناطة، فيدخلها على باب الدفاف بشرقيها يشق المدينة نصفين تطحن به الأرحاء بداخلها وعليه بداخلها قناطر خمس: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة القاضى،وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود، وعلى القنار أسواق ومبان محكمة.

وبالمدينة جبلان يشقان وسطها، وفحصها دور حسان وعلالى مشرفة على الفحص فترى منظرًا بديعًا من مزدرعاته، وفروع الأنهار تسقيها وغير ذلك مما يقصر عنه التخيل والتشبيه، يعرف حد الجبلين بالخزة وموزور، ويعرف الثانى بالقصبة القديمة وبالسند.

وحول غرناطة أربعة أرباض: ربض الفخارين، وربض الأجل، وهو كثير القصور والبساتين، وكلا الربضين يلى شنيل، وربض الرملة، وربض البيازين الذى بناحية الدفاف، وهو كثير العمارة يخرج منه نحو من خمسة عشر ألف مقاتل كلهم شجعان مقاتلين معتادون بالحروب، وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته.

وجامع غرناطة محكم البناء، بديع جدًا، لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين للشهود والعطارين، وقد قام سقفه على أعمدة ظراف، وباخله الماء، وبه أسانيد منتصبون لإقراء العلوم، وهو معمور بالخير كل حين.

والبلاد البحرية أولها من جهة المشرق المرية، وهى ذات مرسى على البحر الشامى،وهو أول مراسى البلاد الإسلامية بالأندلس، وكانت العمارة قبل البجانة فانتقلت إلى الساحل لمنافع الناس.

وبجانة على وادى المرية، وهى الآن قرية عظيمة جدًا ذات زيتون وأعناب وفواكه مختلفة وبساتين ضخمة كثيرة الثمرات.

ووادى المرية يقال فيه: إنه أبدع الأودية على أن الماء فيه يقل فى فصل الصيف، فيكون بالقسط للبساتين، ويبلغ متصلا بمرشانة، وقراها أربعين ميلا.

والمرية كثيرة الفواكه، وأما الحنطة فبحسب السنسن الممطرة لأن أكثر زرعها بالمطر، وترتفق بما يجلب إليها من الحنطة من بر العدوة.

وأما مالقة فمدينة بديعة كثيرة الفواكه، لها ربضان عامران أحدهما من علوها، والآخر من سفلها، وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق، وجمعها بديع وبصحنه نارنج ونخلة، وتختص بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم، وبصنائع الحديد كالسكين والمقص، وبها الفخار المذهب الذى لا يوجد مثله فى بلد، والتين الغزير الذى يجلب منها إلى جميع البلاد الغريبة بالأندلس وغيرها فيعم البلاد شتًاء وصيفًا فلا يكاد يخلو منه دكان بياع، واللوز مثله فى الكثرة والحسن والطيب، وكذلك الزبيب، وهى خصيبة جدًا.

وتليها أشبونة، وهى مثلها ساحلية كثيرة الفواكه.

ويلى أشبونة جبل الفتح وهو طود شامخ يخرج فى بحر الزقاق ستة أميال، وبحر الزقاق أضيق مكان فى البحر الغربى سعته ستة فراسخ، وجرية الماء به قوية، ولا يكاد يرقد، ويسمى بحر القنطرة.

ويلى الجبل الجزيرة الخضراء، وهى مدينة محكمة كثيرة الزرع والماشية، وبها نهر يعرف بوادى العسل عليه بساتين وأرحاء وغير ذلك، وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق، وهى آخر البلاد البحرية الإسلامية بالأندلس.

ويليها بلدة أنتقيرة ثم أرحصونة ثم لوشة، وبين المرية وغرناطة مدينة وادى آش، وهى بلدة حسنة بديعة منيعة جدا، كثيرة الماء والفواكه، والمزارع قريبة من شنيل، فلذلك هى شديدة البرد بسبب الثلوج، وهى بلدة مملكة، وأهلها موصوفون بالشعر، ويحكم بها الرؤساء، وهم من قرابة السلطان، أو من يستقل بها سلطانا، أو من خلع من سلطان بنفسه، والمياه تشق أمام أبوابها كغرناطة.

الباب الخامس عشر
فى ذكر العرب الموجودين فى زماننا وأماكنهم

قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: بائدة، وعاربة، ومستعربة.

أما البائدة فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم، وهم عاد وثمود وجرهم الأولى.

وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان.

وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

العرب البائدة

فالعرب البائدة: طسم وجديس، وكانت مساكن هاتين القبيلتين باليمامة من جزيرة العرب، وكان الملك عليهم فى طسم، واستمروا على ذلك برهة من الزمان حتى انتهى الملك إلى رجل ظلوم غشوم قد جعل سنته أن لا تهدى بكر من جديس إلى بعلها حتى تدخل عليه فيقترعها.

ولما استمر ذلك على جديس أنفوا منه، واتفقوا على أن دفنوا سيوفهم فى الرمل، وعملوا طعاما للملك ودعوه إليه، فلما حضر فى خواصه من طسم عمدت جديس إلى سيوفهم فانتزعوها من الرمل وقتلوا الملك وغالب طسم، فهرب رجل من طسم وشكا إلى تبع بن حسان ملك اليمن، فسار ملك اليمن إلى جديس وأوقع بهم وأفناهم، فلم يبق لطسم وجديس ذكر بعد ذلك.

العرب العاربة

والعرب العاربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام، فمنهم بنو جرهم بن قحطان، وكانت منازلهم بالحجاز، ولما سكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام مكة، كانت جرهم نازلين بالقرب من مكة واتصلوا بإسماعيل وزوجوه منهم، وصار من ولد إسماعيل العرب المستعربة؛ لأن أصل إسماعيل ولسانه عبرانيا، فلذلك قيل له ولولده: العرب المستعربة.

ومن العرب العاربة: بنو سبأ، واسم سبأ عبد شمس، فلما أكثر الغزو والسبى سمى سبأ، وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسيأتى نسب قحطان.

بنو حمير بن سبأ

فمن بنى حمير بن سبأ: التبايعة، ومنهم: قضاعة، وهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر، وقبر قضاعة فى جبل الشحر.

ومن قضاعة كلب، وهم بنو بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وكانت بنو كلب فى الجاهلية ينزلون فى دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام.

ومن قضاعة بهراء.

ومن قضاعة جهينة، وهو قبيلة عظيمة ينسب إليها بطون كثيرة، وكانت منازلها بأطراف الحجاز الشمالى من جهة بحر جدة.

ومن قضاعة بلى.

ومن قضاعة تنوخ، وكان بينهم وبين اللخمين ملوك الحيرة حروب.

بنو كهلان بن سبأ

ومن بنى كهلان بن سبأ المذكور أحياء كثيرة والمشهور منها سبعة وهى: الأزد، وطى،ومذحج، وهمدان، وكندة، ومراد، وأنمار.

الأزد

أما الأزد فهم من ولد بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان.

فمن قبائلهم الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازنُ بن الأزد.

ومنهم: الأوس والخزرج أهل يثرب، وهم الأنصار رضى الله عنه.

ومن الأزد: خزاعة، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق، فهؤلاء بطون الأزد.

طيئ

وأما طيئ فإنها نزلت بعد الخروج من اليمن بسبب سيل العرم بنجد الحجاز فى جبلى أجأ فعرفا بجبلى طيئ إلى يومنا هذا.

وأما طيئ فهو ابن أدد بن زيد بن كهلان، فمن بطون طيئ: جديلة، ونبهان، وبولان، وسلامان، وهنيء، وسدوس - بضم السين - وأما سدوس التى فى قبائل ربيعة بن نزار فمفتوحة العين. ومن طيئ حاتم طيئ المشهور بالكرم.

مذحج

وأما بنى مذحج، واسم مذحج مالك بن أدد بن زيد بن كهلان، وهم بطون كثيرة، فمنها: خولان، وجنب، ومنهم معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب بنى وائل، وكان مع تغلب. ومن مذحج أود قبيلة الأفوه الأودى الشاعر.

همدان

وأما همدان، فهم من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان، ولهم صيت فى الجاهلية والإسلام.

كندة

وأما كندة فهم بنو ثور، وثور هو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث من ولد زيد بن كهلان، وسمى كندة؛ لأنه كند أباه، أى كفر نعمته.

وبلاد كندة باليمن تلى حضر موت، وقد تقدم ذكر ملوكهم.

ومن كندة حجر بن عدى صاحب على بن أبى طالب، قتله معاوية صبرًا.

ومنهم شريح القاضى. ومن بطون كندة السكاسك.

مراد

وأما مراد فبلادهم إلى جانب زبيد من جبال اليمن، وإليه نسب كل مرادى من عرب اليمن.

أنمار

وأما أنمار ففرعان وهما: بجيلة وخثعم، وبجيلة رهط جرير بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ، وكان يقال لهذا: جرير يوسف الأمة لحسنه.

بنو عمرو بن سبأ

وأما القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ فمنهم لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ.

ومن لخم بنو الدار رهط تميم الدارى.

ومن لخم المناذرة ملوك الحيرة، وهم بنو عمرو بن عدى بن نصر اللخمى،وكانت دولتهم من أعظم دول العرب.

ومنهم جذام بن عدى بن عمرو بن سبأ، وهو أخو لخم، وجميع جذام من ابنيه حرام وحشم.

وكان فى بنى جذام الشرف، ومن بطون حشم بن جذام عتيب بن أسلم.

بنو الأشعر بن سبأ

أما بنو الأشعر بن سبأ، فهم الأشعريون، وهم رهط أبى موسى، واسمه عبد الله بن قيس.

بنو عاملة بن سبأ

وأما بنو عاملة بن سبأ فمن القبائل الشمالية التى خرجت إلى الشام زمن سيل العرم، ونزلوا قرب دمشق فى جبل عاملة، فمن عاملة عدى بن الرقاع الشاعر.

العرب المستعربة

وأما العرب المستعربة فهم ولد إسماعيل، وقيل لهم: المستعربة؛ لأن إسماعيل لم يكن لغته عربية بل عبرانية، ودخل فى العربية، فلذلك سمى ولده المستعربة.

طوائف العرب الموجودين فى زماننا
عرب الشام

وأما طوائف العرب الموجودين فى زماننا فهم : عرب الشام ثعلبة الشام تلى مصر إلى الخروبة، وهم من درما آل غياث الجواهرة، ومن الحنابلة، ومن بنى وهم، ومن الصبيحين، ومن أحلافهم فرقة من النعيميين، ومن العار والخمان.

ثم جرهم، وهى ببلاد غزة والداروم مما يلى الساحل إلى الجبل وبلد الخليل ﷺ، وفى العرب جروم كثيرة: جرم قضاعة، ومنهم بنو جشم، وبنو قدامة، وبنو عوف، وجرم بجيلة، وجرم عاملة، وجرم طيئ، ومنها هؤلاء الذين نحن ذكرناهم.

آل ربيعة

وأما آل ربيعة، وهم ملوك البر وأمراء الشام والعراق والحجاز، فهم: آل فضل، وآل مراء، وآل على من آل فضل.

قال الحمدانى: وزبيعة رجل من سلسلة، نشأ فى أيام أتابك زنكى،وولده نور الدين رحمهما الله تعالى، ونبغ بين العرب، قال: ويقال: إن أباه رجل من علقى، قال: وتقول ربيعة الآن: إنه من ولد جعفر بن خالد بن برمك، قال: وهذا ليس بصحيح.

قال الحمدانى: والأصح فى نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن على بن مفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حريث بن السكن بر رفيع بن علقى بن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدى بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن غنم بن ثوب بن معن بن عنود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، فهذا ما ذكره الحمدانى.

آل فضل

فضل منهم آل عيسى وقد صاروا بيوتا: بيت مهنا بن عيسى وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مهنا، وبيت فضل بن عيسى وأميرهم سيف بن فضل، وبيت حارث بن عيسى وأميرهم قناة بن حارث.

وأما بقية بيوت آل فضل فمنهم آل فرج، والأمير فيهم زيد بن طاهر، وغنام بن وهيبة، وآل سميط، والإمرة فيهم فى صافية بن حجير بن الصميد، وآل مسلم، والإمرة فيهم فى طامى بن عباس، وآل عامر، والإمرة فيهم فى بنى عامر بن دراج.

وأما آل علي،فهم وإن كانوا من ضئضئ آل فضل، فقد انفردوا منهم واعتزلوا عنهم حين صاروا طائفة أخرى، وسيأتى ذكرهم، فهؤلاء آل فضل.

وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم فمن يذكر وهم: زغب، والحريث، وبنو كلب، وبعض بنى كلاب، وآل بشار، وهو موال، وخالد حمص، وطائفة من سنبس، وسعيدة، وطائفة من فرير، وبنو خالد الحجاز، وبنو عقيل من كرز، وبنو رميم، وبنو حى،وقمران والسراحين.

آل علي

وأما آل على فأميرهم رملة بن جماز بن محمد بن أبى بكر بن على بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة، وقد كان جده أميرًا ثم أبوه، وقلد الملك الأشرف جده محمد بن أبى بكر إمرة آل فضل حين أمسك مهنا بن عيسى، ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه حين بعث قجليس فى طرد مهنا وسائر إخوته وأهله، ولما أمر رملة كان حديث السن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبى بكر فقدموا على السلطان بتقادمهم وترامو على الخواص وسائر الأمراء وذوى الوظائف.

آل مرا

وأما آل مرا، فبيت الإمرة فيهم آل أحمد بن حجى،وبقيتهم آل منيخر، وأميرهم سعد ابن محمد، وآل نمى،وأميرهم برجس بن سكال، وآل بقرة، وأميرهم علوان بن أبى

غراء، وآل شماء، وأميرهم عمرو بن واصل، ثم صارت الإمرة فى بيتين فى آل أحمد، فمن بيت نجاد بن أحمد، قناة بن نجاد، ومن بيت سليمان بن أحمد شطى بن عمرو بن توبة ابن سليمان، وأحمد هذا هو ابن حجى بن يزيد بن نيل بن مرا بن ربيعة، والإمرة مقسومة بين هذين الأميرين نصفين، ويدخل فى إمرتهم من يذكر، وهم: حارثة، والحاص، ولام، وسعيدة، ومدلج، وفرير، وبنو صخر، وزبيد حوران، وهم زبيد صرخد، وبنو غنى،وبنو عز، ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير، والمفارجة، وآل سلطان، وآل غزى،وآل برجس، والخرسان، وآل المغيرة، وآل بنى فضيل، والزراق، وبنو حسين الشرفاء، ومطير، وخثعم، وعدوان، وعنزة.

بقية العرب وديارهم

بنو خالد

بنو خالد عرب حمص: يدعون النسب إلى خالد، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه، ولعلهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فخرًا أن يكونوا من قريش.

بنو كلاب

وبنو كلاب: عرب أطراف حلب والروم، ولهم غزوات معلومة، وغارات لا تعد، ولا تزال تباع بنات الروم وأبناؤهم من سباياهم، وهم يتكلمون بالتركية، ويركبون الأكاديش، وهم عرب غز، رجال حروب، وأبطال جيوش.

آل بشار

وآل بشار ديارهم الجزيرة، والأحص ببلاد حلب، والأحلاف منهم حالهم فى عدم الانقياد لأمير واحد حال بنى كلاب، ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم، وهم على تفرق كلمتهم وتشتت جماعتهم لا يزال فضل منهم على وجل، وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملأى بالحذر، وعيونهم وسنى من السهر، وبينهم دماء، وهم بنو ربيعة وبنو عجل جيران، وديارهم من سنجار، وما يدانيها إلى البارة قريب الجزيرة العمرية إلى أطراف بغداد.

غزية

قال الحمدانى: هم بطون وأفخاذ، ولهم مشايخ منهم من وفد على السلاطين فى زماننا، وهم متفرقون فى الشام والحجاز وبغداد وفيما بين العراق والحجاز.

فأما شيوخ غزية الذين فى طريق بغداد إلى الحجاز الذين مياهم اليحموم، واللصف، والنخيلة، والمغيثة، ومياه البطنين، ومياه الأجود لينة، والثعلبية، وزرود.

خفاجة وعبادة

خفاجة وعبادة عرب بغداد والعراق، وقال ابن عرام: منازل عبادة من بغداد إلى الموصل، وبمرج دمشق قوم من عبادة.

وخفاجة من هيت، والأنبار إلى الحلة إلى بئر ملاحا إلى الكوفة إلى قائم عنقاء، والثرثار إلى المثنى دون البصرة، وهو غاية مرماهم ونهاية بعدهم.

عربان العذار

وهم عرب المسى بالبطائح، وقد كانوا يعصون على الخلفاء وملوك التتار لتمنعهم بالماء والمقاصب المعلقة والأجم المتأشبة، ومقدمهم ابن رؤوف، وهم من سنبس، والجبور، وآل نطاح إلى بطون أخرى، وقد صاروا أهل مدرة وحلال دارة لا يبارحونها، ورزقهم مقدار عليهم.

عرب العارض

والعارض وراء الوشم، والوشم هو الذى ينتهى إليه آل فضل إذا توسعوا فى البر، وهم بنو زياد، والجميلة، وعرب الخرج، وهم العقفان، والبرحان، ومن بلادهم: البريك والنعام، وهما قريتان فى واد منيع إذا حصن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله.

عائذ بنى سعيد

دارهم من حرمة إلى جلاجل والتويت وادى القرى وليس الوادى المقارب للمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفًا، وتعرف بالعارض ورماح والحفر.

بنو يزيد

ودارهم ملهم، وبنيان، وحجر، ومنفوحة، وصباح، والبرة، والعوبند، وجو.

المزايدة

والمزايدة دارها البخراء، وحرمة، وهى حرمة أخرى غير الذى تقدم ذكرها، وسبخة الدبيل، والحلوة، والهزيم، والبريك، ونعام، والخرج.

عقيل

وهم من آل عامر.

قال الحمدانى: وهى غير عامر المنتفق، وغير عامر بن صعصعة، وقال: ومنهم القديهات، والنعائم، وقبات، وقيس، ودنقل، وحرثان، وبنو مطرق، وذكر أنهم وفدوا فى الأيام الظاهرية صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدى بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، وعوملوا بأتم الإكرام، وأفيض عليهم سابغ الإنعام، ولحظا بعين الاعتناء.

شمر ولام

من عرب الحجاز، وديارهم جبلا طيئ أجأ وسلمى، وظفير من بنى لام، ومنزلهم الظعن قبالة المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

حرب

وهى ثلاثة بطون: بنو مسروج وهم بنو سالم، وبنو عبد الله ومنهم: زبيد الحجاز وبنو عمرو وهم من أكثر العرب عددًا، وأجرأهم رجلا باطشة ويدًا، ومساكنهم الحجاز.

أما بقية عرب الحجاز، والمصارحة، والمساعيد، والرزاق، وآل عيسى، ودغم، وآل جناح، والجبور، فدارهم تتلو بعضها بعضًا بالحجاز، وقد تقدم من ذكر هؤلاء ما تقدم فى آل ربيعة.

مصر ودمشق

وأما مصر ودمشق فمصران جامعان، ولا يخلو من بيوت العرب وذوى الحسب منهم والنسب.

قيل: وبدمياط سنبس وهم من الغوث بن طيئ، وكان لهم أيام الخلفاء الفاطميين شأن وأيام، وهم الخزاعلة، وجموح، وعبيد، وحلفاؤهم من عذرة فرقة غير من تقدم ذكره، ومدلج، وديار هؤلاء من ثغر دمياط إلى ساحل البحر، يجاورهم فرقة من كنانة بن خزيمة، أتوا أيام الفائز الفاطمى فى وزارة الصالح بن زريك، ومقدمهم لاحق، ومن ولده قاضى القضاة شمس الدين بن عدلان، وفرقة من بنى عدى بن كعب، وفيهم رجال من بنى عمر بن الخطاب، ومقدمهم خلف بن نصر العمرى، فنزلوا بالبرلس وكانوا هم والكنانيون من ذوى الآثار نوبة دمياط.

قال الحمدانى: أول من سكن مصر جذام حيث جاءوا مع عمرو بن العاص، وأقطعوا فيها بلادًا بعضها بأيدى بنيهم إلى الآن، ثم عد من بها من الصعيد من العربان فى زمانه فقال: أولهم بنو هلال ولهم بلاد أسوان وما تحتها، ثم بلى ولهم بلاد إخميم وما تحتها، ثم جهينة ولهم بلاد منفلوط وأسيوط، ثم قريش ولهم بلاد الأشمونين، ثم لواثة ويقال فيهم: لواثا ولهم معظم بلاد البهنسا، ومنهم أناس بالجيزة، وأناس بالمنوفية، وأناس بالبحيرة، وهم قبائل متفرقة تجمعهم لواثة، ثم بنو كلاب ولهم بلاد الفيوم.

وأما جهينة فمن قضاعة، وهم أكثر عرب الصعيد، وكانت مساكنهم فى بلاد قريش فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الخلفاء المصريين، فهم اليوم فى بلاد إخميم أعلاها وأسفلها.

بنو طلحة

فأما بنو طلحة فمن بنى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق t، وهم ثلاث فرق هم وأقارباؤهم، وأطلق على الكل اسم بنى طلحة.

فالأولى: بنو إسحاق، ويقال: إن إسحاق ليس بجد لهم ولكن موضع تحالفوا عنده سموه إسحاق كناية كما تحالفة الأزد عند أكمة سموها مذحجا.

والثانية: فضا طلحة، وهم بطون كثيرة، وأكثرهم أشتات بالبلاد لا حد لهم.

والثالثة: يعرفون ببنى محمد من ولد محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما.

ومنازل بنى طلحة بالبرجين، وسقط سكرة، وطحا المدينة بالأشمونين.

بنو الزبير

وأما بنو الزبير فمنهم بنو عبد الله بن الزبير، وهم بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان، ومنهم بنو مصعب بن الزبير، ويعرفون بجماعة محمد بن رواق، وبنو عروة بن الزبير، وهم بنو غنى، وبلادهم بالبهنسا وما يليها، وأكثرهم ذوو معايش وأهل فلاحة وزرع وماشية وضرع.

بنو مخزوم

وأما بنو مخزوم فيدعون بنو خالد بن الوليد، وكان ادعى ذلك خالد بالحجاز وخالد حمص وغير هؤلاء، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه، ولعلهم من سواهم فهم من أكثر قريش بقية، وأشرفهم جاهلية، وبلادهم متأخمة لما يليهم، وفيهم بأس ونجدة.

بنو شيبة

وأما بنو شيبة فيعرفون بجماعة نهار، وهم من جماعة شيبة بن عبد الدار، وديارهم من نواحى سقط وما يليها ويقاربها ويدانيها.

كنانة طلحة

وأما كنانة طلحة فهم من بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهم بنو الليث وبنو ضمرة، وهما ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

لواثة

وأما لواثة، وهم يقولون: إنهم من قيس من غضفان بن سعد بن قيس عيلان.

وقال بعض النسابين: هم من ولد بر من ولد قيدار بن إسماعيل كان قد ارتكب

معصية فطرده أبوه، وقال له: البر البر، اذهب يا بر فما أنت بر، فأتى فلسطين، فتزوج امرأة من العماليق، فولد له منها أولاد منهم: لواثة، ومزاتة، وزنارة، وهوارة، وزويلة، ومغيلة، ومليكة، وكتامة، وغمارة، ونفوسة، وكانوا من ذوى جالوت، فلما قتل دخلوا المغرب، وقيل: إن البربر من ولد فقط بن حام، وقيل غير هذا كله.

عرب الحوف

وأما عرب الحوف فمنهم جذام، وجذام من كهلان من اليمن، وقد قيل: إنهم من ولد يعفر بن مدين بن إبراهيم الخليل u.

بنو زيد بن حرام بن جذام

قال: ونبدأ قبل كل شيء بولد زيد بن حرام بن جذام، وهم بنو سويد، وبعجة، وبرذعة، ورفاعة، وناتل، ومن هؤلاء بطون كثيرة، فمنهم هلبا مالك، ومالك هو ابن سويد، ومنهم بنو عبيد، وهم بنو عبيد بن مالك، ومن بنى عبيد المذكور، الحسنيون.

والغوارنة وهم أولاد الحسن والغوار ابنى أبى بكر موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد، ومنهم بنو أسير وهو ابن عبيد بن مالك بن سويد، ومنهم العقيليون وهم بنو عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد، وفيهم إمرة وهى فى نجم وبنيه، وفيهم من أمر بالبوق والعلم وهو أبو راشد بن حبشى بن نجم بن إبراهيم بن مسلم بن يوسف بن واقد بن غدير بن عقيل بن قرة، ودحية وثابت ابنا هانئ بن حوط بن نجم بن إبراهيم.

هلبا بعجة بن زيد

قال: وأما هلبا بعجة بن زيد بن سويد بن بعجة فهم: بنو هلبا، ومنظور، ورداد، وناتل، فمن ولد هلبا مفرج بن سالم المقدم ذكره، ثم خلفه على إمرته ولده حسان، ومنهم أولاد الهريم من بنى غياث بن عصمة بن نجاد بن هللبا بن بعجة، وجوشن صاحب السراة المضروب به المثل فى الكرم والشجاعة من منظور بن بعجة، والغويثية فى عدد رداد بن بعجة.

بنو سليم

وهم أكثر قبائل قيس عيلان، قال: ومساكنهم ببرقة مما يلى الغرب، ومما يلى مصر، وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد، والإمرة فيهم فى أولاد عزاز بن مقدم، ومنهم مزيد بن عزاز وكان رجلا جليل القدر جميل الذكر، معظمًا فى الدول، وبنوه زايد وحمدى وريان كلهم كرام سراة أماجد وعطاء الله بن عمر بن عزاز وكان للقرى والقراع، مطاعًا فى قومه، وهو أبو خالد وهم أهل بيت فيهم عدد جم من ذوى القدر، وبنو معز وعمر، ومن المشاهير منهم علوى بن إبراهيم بن عزاز، وسلطان بن زيدان بن عزاز، وعمر بن مشعل بن عزاز، ومن أكابر جماعاتهم جماعة ابن مليح المنصورى أصحاب غازى بن نجم، وعليان بن عريف.

قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب

فأما منازل العرب من لدن الجيزية ضاحية القاهرة على البحيرة آخذا إلى أقصى الغرب فسأذكر منه ما أملاه الشيخ المقرئ الورع أبو يحيى زكريا المغربى أحد الأئمة بقلعة الجبل، حرست، قال: قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب:

جماعة قائد: زنارة، ومزاتة، وخفاجة، وهوارة، وسماك، ومنازلهم من الإسكندرية إلى العقبة الكبرى.

ثم لبيد وهم جماعة سلام: فزارة، محارب، قطاب، الزعاقية، بشر، الجواشنة، البعاجنة، القبايص أولاد سلمان، القصاص، العلاونة، ومنازلهم من العقبة الكبيرة إلى السوسة.

ثم جماعة جعفر بن عمر وهم: قتيلة المثانية، الباسة، عرعرة، العظمة، العكمة، المزابيل، العزة، ومن جملة هؤلاء العزة، الجعافرة، جماعة جعفر بن عمر، ومنهم البدارى أيضًا.

وكذلك منهم السهاونة والجلدة منهم أيضًا.

وكذلك منهم أولاد أحمد أيضًا، ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة، وهى آخر حدود الديار المصرية، ومسافتها عن الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل.

ثم منها طيموم العلاونة وهم غير أولئك، المهاملة، بنو بدر، ناصرة، وانتهاؤهم إلى قصر ابن أحمد فى طرف مسراتة من الساحل، ومن القبلة أرض فزان وودان، وحكمها لأرض البرنو والسودن، ومسافة ما بين بئر السدرة وبين مسراتة عشرة أيام.

ومنهم من أرض مسراتة إلى بلاد طرابلس: سليمان جماعة غانم بن زايد، ولهم الأرض من أرض مسراتة إلى باب مدينة طرابلس، ثم من طرابلس إلى قابس ذباب، وهى تجمع المحاميد، والجوارى جماعة عبد الله بن صابر، وملغم بن صابر وليسا بأخوين، بل هم بنو عم من القبيلة.

عرب الطرق المسلوكة إلى مكة المكرمة

وأما عرب الطرق المسلوكة التى تتوجه فيها المحامل إلى مكة المعظمة فقد ذكرنا فيما تقدم أنها أربعة طرق، ولا تقصد مكة غالبًا إلا منها.

وهى أربع جهات: مصر ودمشق وبغداد وتعز، وقد ذكرنا آنفا من العربان الذين بهذه الطرق من ملاكها، ومن يتحكم عليهم إذا حل بأرضهم كآل فضل وآل مرا وبنى عقبة من لم يكن بد من ذكره فيما تقدم، ونحن الآن نسوقهم طريقًا طريقًا، وفريقًا فريقًا فيكون أوضح، إذ ذكر هذه الطرق وعربانها من المهم المقدم

طريق الركب المصرى

فأما طريق الركب المصرى فمن القاهرة إلى عقبة أيلة لعائذ، ومن العقبة إلى الدأماء ما دون عيون القصب لبنى عقبة.

ومن الدأماء إلى أكى، وهى فم الضيقة لبلى.

ومن أكدى إلى نما، وهى آخر الوعرات لجهينة.

ومن نما إلى نهاية بدر على الفرعاء، وإلى الصفراء على نقب على لبنى حسن أصحاب الينبع، ويليهم من أقاربهم من بنى حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج فى طرف قاع البزواء.

ومن الصفراء إلى الجحفة، ورابغ لزبيد الحجاز.

ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق لسليم.

ومن الثنية على خليص إلى الثنية المشرفة على عسفان للشريف جسار من بنى حسن.

ومن الثنية المشرفة على عسفان إلى الفج، وهو المسمى بالمحاطب لبنى جابر، وهو فى طاعة صاحب مكة المعظمة.

ومن المحاطب إلى مكة لصاحب مكة المعظمة وبنى حسن.

السفر الخامس

القـراء والمحدثـون

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

القسم الثانى من الكتاب
فى سكان الأرض من طوائف الأمم

وهم أنواع:

النوع الأول: فى الإنصاف بين المشرق والمغرب.

هذا النوع له شبهان: شبه بالقسم الأول بحسب موضوعه، وما اندرج معه، وتعلق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن.

وله شبه بالقسم الثانى بحسب ما اندرج فيه من ذكر طوائف العلماء الذين هم أعيان الناس، وذكر سائر الحيوان، إلا أن هذا الشبه أقوى لأن المقصود من المكان ساكنه، فألحقناه بهذا القسم.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: خطابى.

الفصل الثانى: على حكم التحقيق.

الفصل الأول: وهو الخطابى

اعلم أن هذا مغلق لم يكن فى عزمى أن أفتح بابه، ولا أتعرض إليه لأمرين:

أحدهما: لأننى أخشى توغر صدره على.

والثانى: لأن فضل الشرق ظاهر كوضوح الشمس منه، فلا يحتاج إلى قول.

ثم إننى رأيت من أهل المغرب من يطاول ممتد الشرق بباعه القصير، ويكاثر بحره الزاخر بوشله القليل، على أننا لا نجحد أن لكل منهما فضلا، وأن فى كل منهما للمدح والذم أهلا، ولكن الأغلب يغلب، وقد ذكر الله تعالى المشارق والمغارب فى غير موضع من القرآن، فبدأ بالمشارق، وإن لم تكن الواو تقتضى الترتيب، ولكن مداومة تقديم المشارق لا يخفى ما فيها من معنى، ومحاسن كل شىء غالبًا فى الشرق أكثر، ودست كل سلطنة بها أعظم، ولا يخالف فى هذا من لم ينازع الحق أهله.

وبالشرق معارج الملائكة صلوات الله عليهم، وبه أنزلت كتب الله المنزلة، ومدت ينابيع الشرائع، وعلت سرادقات الدين، ونشرت ملاءات الملل، وتفرعت العلوم، وانبثت التصانيف شرقًا وغربًا، وبه جزيرة العرب، والسلطان سلطانها، واللسان لسانها.

فأما الشعر فمنهم من طالت نبعته، وعنهم طارت سمعته، والشعر هو نبعة البيان وحلية الفضل.

وها أنا أرجع إلى الجدد، فأقول: وهل وقعت فى غير الشرق الجهات الشريفة المعظمة: كالحرمين الشريفين مكة والمدينة وبيت المقدس الذى لا تشد الرحال إلا إليها، وكذلك جبل الطور وهو بين القدس والحجاز.

وأما من عظمائهم فما لا يعد كثرة كالأكاسرة، والقياصرة، والتبابعة، وملوك الترك، وفرسان العرب، وبهالوين العجم، وهل فى الغرب مثل: عنترة، وذى الخمار سبيع بن الحارث، وعمرو بن ود العامرى،ودريد بن الصمة، ومهلهل، وبسطام بن قيس، وزيد الخيل المسمى بزيد الخير، وعمرو بن معدى كرب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وخارجة بن جذافة، وقيس بن سعد، والأشتر النخعى،أو مثل رستم بن دستان المسمى أبو هزال، واسفنديار بن كشتاسب، وبهرام جوبين، وبهرام الأرمينى مقاتل سعد بن أبى وقاص.

وهل شموس الأمة وأقمار الأئمة إلا من المشرق مثل: أبى حنيفة، ومالك، والشافعى،وأحمد، وبقية الأئمة الذين انقطعت الآن مذاهبهم، وبقيت فى أسماء التصانيف كواكبهم، مثل: الحسن البصرى،وسفيان الثورى،وطاووس، ومن عاصرهم أو تقدم أو تأخر عنهم أو انسحب على آثارهم من ذوى العلوم المفننة والأقوال المرجحة، وكذلك أئمة المحدثين، وأعلام الحفاظ، وحسبك أصحاب الكتب الصحاح، الشرق دارهم، ومنه امتدت أنهارهم.

وانظر إلى تفاوت درجات الرواة بين أهل القطرين تعرف ما بين الأوج والحضيض، وتعلم أيهما الصحيح والمهيض، وكفى المشارقة فخر اتصال نسبهم بالنبى ﷺ فى الرواية.

وهل اطلع الغرب مثل ما أطلع الشرق من السادات الأولياء أقطاب الأرض من مشايخ الطريق، وأئمة التحقيق، مثل: عبد الله بن المبارك، وعتبة الغلام، وأبى القاسم الجنيد، وأبى يزيد البسطامى، وأبى الحسن النورى،ومعروف الكرخى،وبشر الحافى،وسرى السقطى،وإبراهيم بن أدهم، وأبى سعيد بن الجلاء، ومن كان قبلهم أو معهم أو جاء بعدهم من أهل هذا النمط، وتأمل رسالة القشيرى وحلية الأولياء لأبى نعيم، وتاريخ السلمى،والمعارف للسهروردى،وما فى معناها، هل تجد للغرب مثل ما سبق الشرق بإدراك فضله، وتحلى به من أهلة أهله، على أن لكل أرض أقطابًا عليهم مدارها، ولكنهم بالشرق أشهر، ومع مكاثرة أنوار النبوة بها أظهر، وأى القطرين أقدم إسلامًا، وأقوم أعلامًا، وأكثر أولادًا كرمًا، وآثر مآثر باقية وأياما، وأيهما بادر إلى تلقى راية الفصاحة.

وهل فى الغرب من الفلاسفة والحكماء مثل الشرق، فأما قبل الإسلام فالمرجع إلى حكماء اليونان والهند، ومن اليونان مثل: فيثاغورس، وأرسطيغوس، وديوجانس، وفورون، وأفلاطون، وأسطوطاليس، وسقراط.

ومن الهند مثل: كنكه الهندى، وطمطم الهندى، وصاحب كتاب السند هند فى الفلك، وصاحب كتاب باقر فى الموسيقى، وصاحب كتاب العدد، وصاحب كتاب كليلة ودمنة، وهل مثل هذا الكتاب فى إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

وأما من كان فى الإسلام فمثل: عبد الله بن المقفع، ومحمد بن إبراهيم الفزارى، والحسن بن الأدمى، وأبى جعفر محمد بن موسى الخوارزمى، ويحيى بن أبى منصور المنجم، وخالد بن عبد الله المروزى، والعباس بن سعيد الجوهرى، وأحمد بن مروان السرخسى، ومحمد بن زكريا الرازى طبيب المسلمين عير مدافع، وأبى نصر محمد بن نصر الفارابى فيلسوف المسلمين غير مدافع، ويعقوب بن طارق صاحب كتاب المثلات.

فإن قلت أيها القائل: لم خلطت بهؤلاء اليونان ومدينتهم واقعة فى الغرب بلا خلاف؟

قلنا: قد نسلم إليك أن فى الغرب مدينتهم ومن أرضه طينتهم، ولكن من الشرق أصل مددهم، وحاصل ذات يدهم، فإنهم إنما أخذوا عن حكماء الهند غالب علومهم، وغامض معقولهم، ومنهم أوقدوا مصابيح أفهامهم.

فأما أصحاب الموسيقى وإجادة الغناء، فلمن تقدم من هؤلاء الحكماء فى الموسيقى ما يؤخذ عنه علمه اليقين، وأما توقيع الألحان، وترتيب الأنغام، فإذا طالعت جامع أبى الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى، هداك النفس الطيب، وعلمت إلى الشرق أم الغرب يميل سمعك، وبأيهما يهتز عطفك، وما قصبات السبق إلا لمعبد، مثل: ابن مسجح، وابن محرز، وابن سريج، والهذلى، والغريض، ومالك بن أبى السمح، ومعبد، وحنين الحيرى، وحكم الوادى، وإبراهيم الموصلى، وإسحاق، وابن جامع، ويحيى المكى، ومخارق، وعزة الميلاء، وبصبص، وسلامة، وحبابة، والزرقاء جارية بن

رامين، وعنان جارية الناطفى،وغير هؤلاء ممن تصغى الصم لسماعه، وتغنى الطير على إيقاعه.

ثم نأخذ الآن فى أصحاب الصنائع العملية، وأشرفها رسم الكتابة، وما أظن المغاربة تتطاول إلى مفاخرة أهل الشرق فيها، ولا تتنازع أهلها فى القطر الشرقى مثل: أبى الحسن على بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب، والولى على التبريزى،والشيخ الكاتب عماد الدين أبى عبد الله محمد بن محمد بن هبة الله الشيرازى،وجمال الدين ياقوت المستعصمى،وشرف الدين محمد بن الوحيد الزرعى،وغير هؤلاء من الكتاب، ومن يطرب وضع خطهم الأباب.

فأما سائر أصحاب الصنائع والمهن، فأجل الصنائع الفلاحة، ولا يقال: إلا الفلاحة النبطية، أو الفلاحة الرومية، وهى قوام المعائش، ومادة الرزق، وسبب العمارة، وحفظ بقاء النوع، وسمعنا يقال: سيف هندى،ورمح يزنى،وقوس عربية، وسردة داودية، وبيضة عادية، وديباج خسروانى،وأطلس رومى،وصوف آذرى،وقطن سابورى،وكتان روسى، وتوصف ملاءات الهند، وحبرات اليمن، وأبراد صنعاء، ووشى العراق، وغضار الصين، وفخار قاشان، وزجاج الشام، ولا أسمع للمغرب هاتفة، ولا أحس به نابسة إلا ما كان يقال من قباطى مصر، ثم فى آخر العهد من قماش تنيس، ثم الإسكندرية الآن، هذا إن سلم أن مصر من الغرب، وإلا فدون التسليم ألسنة قائلة وحجج قاطعة.

فأما ما عدا الإنسان، فللشرق أيضًا فى أكثره بل كله التفضيل من الخيل العراب بالحجاز، ونجد، والبحرين، وبلاد الفرات، والشام، وأطراف الجزيرة، وبراذين الروم، وكيلان، وبغال الروم، وأرمينية، والعواصم، والشام، والجمال البغروات البساريك، والبخت ذوات السنامين، وذوات السنم، والعباديات، وجمال بغداد، وحلب، ومهارى بلاد مهرة، وعمان، والبحرين، وأطراف العراق، والشام، والأغنام التركية ذوات اللوايا المستديرة بخلاف أغنام المغرب اللواتى كأنها المعز لا لوايا لها، وغير ذلك من الحيوانات التى لا يفتخر شيء من الملابس على جلودها كالسمور، والقندس، والقاقم، والوشق، والسنجاب، والبرطاسى.

وأما المعادن فكثيرة فى الأرض، والذهب موجود فى أماكن كثيرة بالجنوب، فبالشرق وبالهند وبالدامغان، وبالغرب فى غانة وبلاد السودان، وكذلك معادن الفضة فى مواضع، وحظ الشمال وافر منه على أن المحيط يقذف منه ذهبًا فى بعض الأقطار الشمالية.

فأما الجوهر فللشرق معظمه وأثمنه، وأعظمه وأحسنه من البهرمان، واليواقيت على اختلاف أنواعها، والماس، واللعل المسمى بالبلخش، والفيروزج، وما يندرج فى ذلك من الأحجار، ومن ممتهنات الأحجار اليشم واليصم، والفولاذ، والرصاص القلعى،ومن منابت الشرق العود الهندى،والبلنجوج، والصندل، والكافور، والراوند التركى،والجوزبوا، والبسباسة، والكبابة، واللبان الذى يزيد على الجاوى،والسنبل، والقرنفل، والفوفل، والفلفل، وأنواع الطيب الأفاوية، والعاقير النافعة.

ومع ثبوت هذه المحاسن للشرق فما نسلب المغرب حلله، ولا ننقصه حقه، ولا ندعى ما ليس له بالغرب فى وقتنا ملك صب على عباد الصليب يدرأ فى نحور الأعداء، ويجاهد فى سبيل الله من جاوره منهم برًا وبحرًا، والغرب هو أحد جناحى الأرض، وبه من كرائم الخيل والمعادن، ويقذف بحره العنبر، ويجيء منه الكرلاط المنوع الذى لا يوجد فى غير جزائر القطر الغربى،والمصطكى، والزعفران المنقول إلى الآفاق، وبه الدهنج الأفرنتى.

الفصل الثاني
فى الإنصاف بين المشرق والمغرب على حكم التحقيق

والذى نقوله على سبيل التحقيق أن الذى صور فى لوح الرسم على ما رسمه صاحب جغرافيا هو قسمة المعمور على قسمين: شرقى،وغربى،يتلاقى فيه خطان وهميان فى الطول والعرض على زوايا قائمة، وهما خطا الأطوال والعروض سموا ملتقى الخطين حيث انفرق المعمور على قسمين بقبة أرين وهو وسط نقطة خط الاستواء الخارجة عنه الأقاليم إلى الشمال، والمقدران بإقليمين إلى جهة الجنوب.

فلما انقسمت المعمورة بقسمين وقع فى الغربى منها أشرف البقاع: مكة، والمدينة، والقدس، والطور، ومصر، وطور سيناء، والمواضع المذكورة بصريح الاسم فى القرآن، والمدائن المذكورة فى الحديث المشهور على قائله أفضل الصلاة والسلام، وأجل الأقاليم الغربية كفارس والعراق والشام وجزيرة العرب، ولم يبق للشرق بقية يباهى بها المغرب.

على أن الأمر ليس كذلك والله أعلم، فإن كلا من الشرق والغرب من حيث هو أمر نسبى ألا ترى أن أهل إفريقية يعدون بر العدوة غربًا وبرقة شرقًا، وأهل برقة يعدون إفريقية ومصر شرقًا، وأهل مصر يعدون برقة غربًا وأهل الشام شرقًا، وأهل الشام يعدون مصر غربًا والعراق شرقا، وهلم جرا إلى نهاية المشرق، فيتبين حينئذ أن قول الشرق والغرب أمر نسبى،وإذا تبين هذا وقد تقرر أن العالم كروى،وأنه لا يمتنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الناحية الأخرى مسكونًا صار مشرق هذا العالم مغربا لتلك الجهة، ومغربه مشرقا، فكيف يجوز الإطلاق ولا يبق إلا المصطلح العرفى،والمغاربة على هذا المصطلح أعنى سكان الجانب الغربى عن مصر غاية ما سمت همتهم إليه، وتعلقت

أيديهم بنسبته إلى قطرهم هو إقليم مصر، ألا ترى ما قدمناه فى الفصل الذى قبل هذا من قول ابن سعيد أن مصر أول المغرب والشام أول المشرق.

قال البيهقى: للمشرق الفخر بتقديمه فى القرآن والحديث، وفى الحديث النبوى: «خير الأرض مشرقها»، قال: وهى مطلع الأنوار، وإليها كانت قبلة الأوائل، وأنى للمغرب بمفاخرة المشرق وعندنا ظهرت مباعث النبوة، وفينا نبتت شجرة الأبوة، ومنا نشأت الدول والملك، ومن أفقنا طلع العلم والعمل، وكل شيء يفخر به، فإن المشرق فيه للمغرب رأس، وكلما أحكم عندكم بنيانه إتقانه كان فيه الأساس.

وفاخر مشرقى مغربيًا فطال بينهما الكلام إلى أن قال المشرقى: لو لم يكن لنا عليكم من الفضل إلا أن الشمس التى بها إنارة العالم وحياتهم تطلع من عندنا، فقال المغربى: ونحن أيضًا تطلع من عندنا فى وقت، فقال المشرقى: الله لا يرينا ذلك الوقت.

وها أنا ذاكرًا لهم فى كل من قسمى المشرق والمغرب على هذا الترتيب وأسوقهم زمرا للدخول فى هذا التبويب، وآتى بمشاهيرهم جاهلية وإسلامًا، وأمواتًا وأحياءً إلى عصرنا الذى شرعت شمسه تجنح، وآن لبحر الليل على نهر نهاره أن يطفح.

أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر الأنصارى:

أقرأ الأمة، وأرقى القراء رتبة، وأخذ القراءة عنه عبد الله بن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة وأبو عبد الرحمن السلمى،وحدث عنه: سويد بن غفلة وعبد الرحمن بن أبزى وأبو المهلب.

شهد بدرًا والمشاهد كلها، ومناقبه كثيرة، وكان ربعة من الرجال، شيخًا، أبيض الرأس واللحية، وتوفى أبى بن كعب بالمدينة.

قال ابن معين: سنة عشرين أو تسع عشرة.

وقال الواقدى وابن نمير والترمذى وغيرهم: سنة اثنتين وعشرين.

أبو عبد الرحمن السلمى مقرئ الكوفة واسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة:

ولد فى حياة النبى ﷺ، وقرأ القرآن وجوده، وبرع فى حفظه، وعرضه على عثمان وعلى وابن مسعود وأبى بن كعب وزيد بن ثابت، وحدث عن عمر، وأخذ عنه القراءة عرضًا عاصم بن أبى النجود ويحيى بن وثاب وعطاء بن السائب وعبد الله بن عيسى بن أبى ليلى وأبو عون محمد بن أيوب الثقفى والشعبى وإسماعيل بن أبى خالد، وعرض عليه الحسن والحسين.

توفى سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: فى إمرة بشر بن مروان على العراق، وقيل: فى أوائل ولاية الحجاج، والله أعلم.

مجاهد بن جبر:

الإمام أبو الحجاج المكى المقرئ، أحد الأعلام والمتقدمين من قراء الإسلام، قرأ على ابن عباس، وروى عن عائشة وأبى هريرة وسعد وعبد الله بن عمرو، وقرأ عليه ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن، وحدث عنه قتادة والحكم وعمرو بن دينار وخلق، وجاء عنه أنه قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، والذى صح عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية، أسأله فيما نزلت، وكيف كانت ؟

توفى سنة ثلاث ومائة، وقد نيف عن الثمانين.

عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمرن اليحصبى:

إمام أهل الشام فى القراءة، ولى ابن عامر قضاء دمشق بعد أبى إدريس الخولانى، وكان على نظر جامع دمشق، وذكر الأهوازى فى الإيضاح ستة وأربعين نفسًا أخذوا القراءة عن ابن عامر.

وقال يحيى بن الحارث: كان ابن عامر قاضى الجند، وكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيرها.

توفى ابن عامر سنة ثمان عشرة ومائة.

عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان :

أبو معبد الكنانى الدارى المكى،مولى عمرو بن علقمة الكنانى،إمام المكيين فى القراءة، أصله فارسى،قرأ على عبد الله بن السائب المخزومى ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وخلق كثير.

وكان فصيحًا بليغًا مفوهًا أبيض اللحية طويلا جسيما، أسمر، أشه العينين، عليه سكينة ووقار.

قال سفيان بن عيينة: حضرت جنازة عبد الله بن كثير سنة عشرين ومائة.

وقال ابن سعد: اثنين وعشرين، وقيل: عاش خمسا وسبعين سنة.

يزيد بن القعقاع أبو جعفر القارئ:

قرأ القرآن على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى وفاقا، وقال غير واحد: قرأ أيضًا على أبى هريرة وابن عباس عن قراءتهم عن أبى بن كعب، وصلى بابن عمر، وحدث عن أبى هريرة وابن عباس، وتصدى لإقراء القرآن دهرا، فورد أنه أقرأ القرآن فى مسجد النبى ﷺ من قبل وقعة الحرة، وأنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش، وأنه أتى به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة.

وتوفى سنة سبع وعشرين ومائة فى قول محمد بن المثنى، وقيل: سنة ثمان وعشرين.

وقال خليفة: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين عن نيف وتسعين سننة.

عاصم بن أبى النجود بهدلة الأسدى:

مولاهم الكوفى،قرأ القرآن على أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش، وحدث عنهما وعن غيرهما، وقرأ عليه أبو بكر بن عياش وأبو عمرو البزار.

واختلفوا اختلافًا كثيرًا فى حروف كثيرة، وتصدى لإقراء كتاب الله تعالى وانتهت

إليه الإمامة فى القراءة بالكوفة بعد شيخه أبى عبد الرحمن السلمى،وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن.

توفى آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثمان وعشرين ومائة، فلعله فى أولها، وكانت وفاته بالكوفة رحمه الله.

حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفى الزيات:

أحد السبعة، مولى آل عكرمة بن ربعى التميمى،ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فلعله رأى بعضهم، وقرأ القرآن عرضًا على الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وغيرهم، وتصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير منهم: أبو الحسن الكسائى،وحدث عن خلق، وحدث عنه أمم.

وكان إمامًا حجة قيمًا بكتاب الله، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا قانتًا، ثخين الورع، عديم النظير، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب من حلوان أعواضه إلى الكوفة.

توفى سنة ست وخمسين ومائة.

أبو عمرو بن العلاء المازنى:

المقرئ النحوى البصرى،أحد السبعة، ومقرئ أهل البصرة، وقد اختلفوا فى اسمه على تسعة عشلر قولا أصحها زبان بالزاي والباء الموحدة، ولد سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين، وعرض بمكة على مجاهد وابن جبير وعطاء وعكرمة وابن كثير، وقيل: إنه قرأ على أبى العالية الرياحى ولم يصح، مع أنه أدرك من حياته نيفًا وعشرين سنة، وقيل: إنه عرض بالمدينة على أبى جعفر ويزيد بن رومان وشيبة، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم والحسن وغيرهم.

قال الأصمعى وغيره: توفى سنة أربع وخمسين ومائة.

نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى:

مولاهم، أبو رويم المقرئ المدنى،أحد السبعة الأعلام. روى أبو خليد الدمشقى عن الليث بّن سعد أنه قد المدينة سنة عشر، فوجد نافعًا إمام الناس فى القراءة لا ينازع، والمحفوظ عن الليث أنه قال: قدمت المدينة سنة ثلاث عشرة.

توفى سنة تسع وستين ومائة، وهو معدود فى صغار التابعين، وأصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكًا، صاحب دعابة، وطيب أخلاق.

إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين أبو إسحاق المخزومى:

مولاهم المكى،المقرئ المعروف بالقسط، قارئ أهل مكة فى زمانه، وآخر أصحاب ابن كثير وفاة.

عرض على ابن كثير وعلى صاحبيه شبل بن عباد ومعروف بن مشكان، وأقرأ الناس دهرًا، وكان الناس يجيئون بمصاحفهم فيصلحون بقراءته، وكان يجلس على موضع مرتفع.

نقل أبو عبد الله القصاع أن وفاته سنة تسعين ومائة، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى: فلعله سنة سبعين تصحفت عليه.

حفص بن سليمان أبو عمر الأسدى:

مولاهم الغاضرى الكوفى البزار، صاحب عاصم وابن زوجته، أقرأ الناس دهرًا ممتدًا، وكانت القراءة التى أخذها ترتفع إلى على.

وقال يحيى بن معين: القراءة قراءة حفص بن سليمان.

توفى سنة ثمانين ومائة، ومولده سنة تسعين.

سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب:

أبو عيسى، ويقال: أبو محمد الحنفى،مولاهم الكوفى المقرئ، كان صاحب حمزة بن

حبيب الزيات، وكان أمس من أخذ عنه، وأخذقهم بالقراءة، وأقومهم بالحروف، وهو الذى خلف حمزة فى الإقراء بالكوفة.

قرأ عليه خلف بن هشام البزار وخلاد بن خالد الصيرفى وأبو عمر الدورى وعدد كثير.

قال يحيى الزيدى: كنا نقرأ على حمزة ونحن شباب، فإذا جاء سليم قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبتوا قد جاء سليم.

قال خلف وهارون بن حاتم: توفى سنة ثمان وثمانين ومائة، وقال أبو هشام الرفاعى: توفى سنة تسع وثمانين ومائة، ومولده سنة ثلاثين ومائة، وقال خلف: بل سنة تسع عشرة.

على بن حمزة الكسائى:

الإمام أبو الحسن الأسدى،مولاهم الكوفى،المقرئ النحوى،ولد فى حدود سنة عشرين ومائة، وسمع من جماعة، وقرأ القرآن، وجوده على حمزة الزيات وعيسى بن عمر الهمدانى وزائدة، ونقل أبو عمرو الدانى وغيره أن الكسائى قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضًا، واختار لنفسه قراءة، ورحل إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وأخذ الحروف أيضًا عن أبى بكر بن عياش وغيره، وخرج إلى البوادى فغاب مدة طويلة، وكتب الكثير من اللغات، والغريب عن الأعراب بنجد وتهامة، ثم قدم وقد أنفذ خمس عشر قنينة حبر، وقرأ عليه أبو عمر الدورى وأبو الحارث الليث وخلق سواهم.

قال أبو عمر الدورى: توفى الكسائى بالرى بقرية أرنبوية، وقال مجاهد: برنبوية سنة تسع وثمانين ومائة على الصحيح، وقيل: إنه عاش سبعين سنة.

أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى:

ولد سنة خمس وتسعين، وقرأ القرآن ثلث مرات على عاصم وعمر دهرًا، وكان

يقول: أنا نصف الإسلام، وكان سيدًا إمامًا حجة، كثير العمل والعلم، منقطع القرين، قرأ عليه أبو الحسن الكسائى وجماعة، وروى عنه خلق.

وتوفى فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة.

يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى أبو محمد:

جود القرآن على أبى عمرو، وحدث عنه وعن ابن جريج، وقرأ عليه الدورى والسوسى وطائفة، وله اختيار كان يقرأ به أيضًا خالف فيه أبا عمرو فى أماكن يسيرة، وهو الذى خلف أبا عمرو فى القيام بالقراءة بعده.

توفى اليزيدى سنة اثنتين ومائتين، وله أربع وسبعون سنة، وكان له عدة أولاد فضلاء علماء أخذوا عنه، وأخذ عنه أيضًا ابنه أحمد بن محمد.

يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى:

قرأ القرآن على أبى المنذر سلام بن سليمان، وعلى أبى الأشهب العطاردى وغيرهما، وسمع من حمزة الزيات وجماعة، وبرع فى الإقراء، وكان أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحن فى كلامه، وله فى القرآن رواية مشهورة منقولة عنه، وكان من بيت العلم بالقراءات والعربية وكلام العرب، والرواية الكثيرة للحروف والفقه.

قال ابن سوار وغيره: توفى فى ذى الحجة سنة خمس ومائتين عن ثمان وثمانين سنة.

يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا القرشى:

مولى أبى معيط الكوفى،صاحب أبى بكر بن عياش، قال أبو أسامة: ما رأيت يحيى بن آدم إلا ذكرت الشعبى أنه كان جامعًا للعلم، كان عمر فى زمانه رأس الناس، وكان بعده ابن عباس، ثم كان بعده الشعبى فى زمانه، وكان بعد الشعبى الثورى يحيى بن آدم.

توفى يحيى بفم الصلح فى ربيع الأول سنة ثلاث ومائتين، وهو فى عشر السبعين.

حسين بن على الجعفى:

مولاهم الكوفى،أبو عبد الله الزاهد، قرأ القرآن على حمزة، وأخذ الحروف عن أبى عمرو وأبى بكر بن عياش، وبرع فى القراءات والحديث، وأقرأ الناس بعد حمزة.

توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث ومائتين عن أربع وثمانين سنة.

قالون أبو موسى:

واسمه عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقى،مولى بنى زهرة، قارئ أهل المدينة فى زمانه ونحويهم، كان لأهل المدينة المنورة حلية مسجدهم، وزينة معبدهم، وأنس قائمهم ومتهجدهم.

توفى سنة عشرين ومائتين، وله نيف وثمانون سنة.

خلاد بن خالد:

وقيل: ابن عيسى، أبو عيسى، وقيل: أبو عبد الله الشيبانى،مولاهم الصيرفى الكوفى الأحول المقرئ.

أقرأ الناس مدة، وحدث عن زهير بن معاوية والحسن بن صالح بن حى،وقرأ عليه محمد بن شاذان الجوهرى ومحمد بن الهيثم قاضى عكبرا ومحمد بن يحيى الخنيسى والقاسم بن يزيد الوزان، وحدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم، وكان صدوقًا، توفى سنة عشرين ومائتين.

أحمد بن عبد الله بن القاسم بن أبى بزة أبو الحسن البزى:

المكى، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام، ومولى بنى مخزوم.

مولده سنة سبعين ومائة، وقرأ القرآن على عكرمة بن سليمان وأبى الإخريط وعبد الله بن زياد، عنهم أخذ عن إسماعيل بن عبد الله القسط.

توفى البزى سنة خمسين ومائتين.

خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البغدادى:

المقرئ، البزار، أحد الأعلام، قال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعت خلف بن هشام يقول: أشكل باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حذفته.

وقال خلف: أعدت الصلاة أربعين سنة كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين.

توفى فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين، ومولده سنة خمسين ومائة.

الليث بن خالد أبو الحارث البغدادى:

كان صاحب الكسائى، والمقدم من بين أصحابه، قرأ عليه، وسمع الحروف من حمزة بن قاسم الأحول وأبى محمد اليزيدى.

قال أبو عمرو: وقد غلط أحمد بن نصر فى نسبته، قال: الليث بن خالد المروزى، وذلك رجل آخر سمع من مالك بن أنس وجماعة، يكنى أبا بكر.

وممن قرأ على الليث: سلمة بن عاصم ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير، وتوفى سنة أربعين ومائتين.

عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو البهرانى:

ولد يوم عاشور سنة ثلاث وسبعين، وقرأ على أيوب بن تميم وغيره، وقيل: إن الكسائى قدم دمشق فقرأ عليه ابن ذكوان.

قال أبو زرعة: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان فى زمن ابن ذكوان أقرأ عندى منه.

توفى ابن ذكوان يوم الإثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنين وأربعين ومائتين.

هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمى:

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقرأ القرآن على عراك بن خالد وأيوب بن تميم

وغيرهما من أصحاب يحيى الذمارى،وسمع من مالك بن أنس وخلق كثير، وحدث عنه البخارى فى صحيحه وأبو داود والنسائى وابن ماجة، وكان طلابة للعلم، واسع الرواية، متبحرًا فى العلوم.

قال البخارى وغيره: مات فى آخر المحرم سنة خمس وأربعين ومائتين.

أبو عمر الدورى:

واسمه حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان، ويقال: صهيب الأزدى البغدادى المقرئ النحوى الضرير، نزيل سامراء، مقرئ الإسلام، وشيخ العراق فى وقته.

قرأ على إسماعيل بن جعفر والكسائى ويحيى اليزيدى،وسمع الحروف من أبى بكر، وروى عن أحمد بن حنبل وهو من أقرانه، وطال عمره، وقصد من الآفاق، وازدحم عليه الحذاق لعلو وسعه وعلمه.

توفى فى شوال سنة ست وأربعين ومائتين.

أبو شعيب السوسى:

واسمه صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل الرستبى الرقى،قرأ القرآن على اليزيدى،وسمع بالكوفة عبد الله بن نمير وأسباط بن محمد، وبمكة سفيان بن عيينة، وقرأ عليه جماعة، وأخذ عنه الحروف أبو عبد الرحمن النسائى.

ومات السوسى فى أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة.

قنبل مقرئ أهل مكة:

أبو عمر محمد بن عبد الرحمن المخزومى،مولاهم المكى،جود القراءة على أبى الحسن القواس، وأخذ القراءة عن البزى أيضًا، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، وقرأ عليه خلق كثير منهم: أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسن بن شنبوذ، وولى الشرطة بمكة فى وسط عمره فحمدت سيرته، ثم أنه طعن فى السن وشاخ وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين.

مولده سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد:

شيخ العصر، أبو بكر البغدادى،قرأ على ابن عبدوس عشرين ختمة، وعلى قنبل المكى،وسمع القراءات من طائفة كثيرة، وسمع الحديث، وتصدر للإقراء، وازدحم عليه أهل الآداء، ورحل إليه من الأقطار، وبعد صيته، وفاق فى عصره سائر نظرائه من أهل صناعته مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه، وتصدر للإقراء فى حياة محمد بن يحيى الكسائى الصغير.

ومولد سنة خمس وأربعين ومائتين بسوق العطش ببغداد، وتوفى فى شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ البغدادى:

قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار، وكان يرى جواز الصلاة بها جاء فى مصحف أبى ومصحف ابن مسعود، وبها صح فى الأحاديث ويتعاطى ذلك، وكان ثقة فى نفسه، صالحًا دينًا، متبحرًا فى هذا الشأن.

قال محمد بن يوسف الحافظ: كان ابن شنبوذ إذا أتاه رجل من القراء قال: هل قرأت على ابن مجاهد؟ فإن قال: نعم لم يقرئه.

قال أبو بكر الجلاء المقرىء: كان ابن شنبوذ رجلا صالحا.

توفى ابن شنبوذ فى صفر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة.

محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعى الإمام أبو الحسن بن الأخرم الدمشقى:

قرأ على هارون بن موسى بن شريك وجعفر بن أحمد بن كراز وأحمد بن نصر بن شاكر، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وكانت له حلقة عظيمة وتلامذة جله.

قال أبو عمرو الدانى: روى القراءة عنه عرضًا جماعة لا يحصى عددهم.

وتوفى ابن الأخرم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وقيل: سنة اثنتين.

وقال عبد الباقى بن الحسن: توفى بعد سنة أربعين، وصليت عليه فى المصلى بعد الظهر، وكان يومًا صائفًا، وضعت غمامة على جنازته من المصلى إلى قبره، فكان شبه الآية له رحمه الله، ومولده سنة ستين ومائتين.

عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم أبو طاهر البغدادى:

قرأ القرآن على أحمد بن سهل الأشنانى وجماعة، وقرأ القراءات على ابن مجاهد، وأطنب أبو عمرو الدانى فى وصفه وقال: لم يكن بعد ابن مجاهد مثله، وكان ينتحل فى النحو مذهب الكوفيين، وكان بارعًا فيه.

قال الخطيب: كان ثقة أمينًا مات فى شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

وقال غيره: عاش سبعين سنة.

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد أبو بكر النقاش الموصلى ثم البغدادى:

ولد سنة ست وستين ومائتين، وعنى بالقراءات من صغره، وسمع الحروف من جماعة كثيرة، وطاف الأقطار وتجول فى البلدان، وكتب الحديث، وقيد السنن، وصنف المصنفات فى القراءات والتفسير، وطالت أيامه فانفرد بالإمامة فى صناعته مع ظهور نسكه وصدق لهجته، وبراعة فهمه، وحسن اضطلاعه، واتساع معرفته، روى القراءة عنه عرضًا خلق لا يحصى عددهم.

توفى فى ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

محمد بن أيوب بن إبراهيم أبو الفرج البغدادى المقرئ الشنبوذى:

ولد أبو الفرج سنة ثلاثمائة، وقرأ على ابن شنبوذ وابن مجاهد وإبراهيم بن نفطويه وابن الأخرم وغيرهم، وأكثر الترحال فى طلب القراءات وتبحر فيها، واشتهر اسمه، وطال عمره، وقرأ عليه خلق، وكان عالمًا بالتفسير، وعلل القراءات.

قال التنوخى: توفى أبو الفرج فى صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

على بن داود أبو الحسن الداراني القطان:

قرأ القرآن بالروايات على طائفة منهم ابن الأخرم، وسمع من جماعة، وقرأ عليه آخرون.

قال رشأ بن نظيف: لم ألق مثله حذقًا وإتقانًا فى رواية ابن عامر.

وقال عبد المنعم بن النحوى: خرج القاضى أبو محمد العلوى وجماعة من الشيوخ إلى داريا إلى ابن داود، فأخذوه ليؤم بجامع دمشق فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وجاءوا به بعد منهم أهل داريا وتنافسوا.

وتوفى فى جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة وقد نيف على الثمانين.

على بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسين بن الحمامى البغدادى:

قرأ على النقاش وجماعة، وبرع فى الفن، وسمع الحديث من خلق كثير، وحدث عنه أبو بكر الخطيب والبيهقى وطراد الزينبى وغيرهم.

قال الخطيب: كان صدوقًا دينًا فاضلا، تفرد بأسانيد القراءات وعلوها.

مولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وتوفى فى شعبان سبع عشرة وأربعمائة، وهو فى تسعين سنة.

أبو على الأهوازى:

واسمه الحسن بن على بن إبراهيم المقرئ الأستاذ المحدث، ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقدم دمشق سنة إحدى وتسعين فاستوطنها، وكان أعلى من بقى فى الدنيا إسنادًا فى القراءات، عنى بالرواية والأداء من صغره، وصنف عدة كتب فى القراءات، ورحل إليه القراء لتبحره فى الفن وعلو إسناده، وكان عالى الرواية فى الحديث أيضًا.

وتوفى فى رابع ذى الحجة سنة ست وأربعين وأربعمائة.

عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار الرازى العجلى:

كان مقرئًا فاضلا، كثير التصانيف، حسن السيرة، زاهدًا، متعبدًا، خشن العيش، منفردًا، قانعًا باليسير، يقرئ أكثر أوقاته، ويروى الحديث، وكان يسافر وحده، ويدخل البرارى،سمع بمكة والرى ونيسابور وأصبهان وطوس وجرجان وبغداد والكوفة والبصرة ودمشق ومصر، وكان الشيوخ يعظمونه، وكان لا ينزل الخوانق، بل يأوى إلى مسجد خراب، فإذا عرف مكانه تركه، وإذا فتح عليه بشيء آثر به.

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وله شعر رائق فى الزهد، وتوفى فى جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

أبو على غلام الهراس:

واسمه الحسن بن القاسم بن على الواسطى المقرئ، شيخ القراء، ومسن العراق، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ورحل فى القراءات شرقًا وغربًا، وقرأ على صاحب ابن مجاهد وعمر، وتأخرت وفاته عن رفقائه، وقرأ بالروايات قبل الأربعمائة وبعدها على طائفة بواسط وبغداد والكوفة والبصرة وحران ومصر، وقرأ بدمشق على أبى على الأهوازى وغيره، وتصدر للإقراء بدمشق فى حياته، ثم حج وجاور، وتوفى يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة.

أبو طاهر بن سوار الضرير الحنفى:

ولد سنة اثنتى عشرة وأربعمائة، وقرأ القراءات على عتبة بن عبد الملك العثمانى وأبى على الشرمقانى والحسن بن على العطار، وسمع الحديث الكثير من طائفة، وقرأ عليه القراءات أبو على بن سكرة الصفدى وجماعة، وحدث عنه آخرون.

توفى فى شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ببغداد، واسمه أحمد بن على بن عبيد الله ابن عمر بن سوار البغدادى.

محمد بن الحسين بن بندار:

الأستاذ أبو العز الواسطى القلانسى،مقرئ العراق، وصاحب التصانيف، قرأ بالروايات المشهورة والشاذة على أبى غلام الهراس وغيره، وأخذ أيضًا عن أبى القاسم الهذلى،ورحل إلى بغداد سنة إحدى وستين وأربعمائة، وسمع من جماعة، وتصدر للإقراء حصرًا، ورحل إليه من الأقطار، وكان بصيرًا بالقراءات وعللها وغوامضها، عارفًا بطرقها، عالى الإسناد.

مولده سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وتوفى بواسط فى شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

عبد الله بن على بن أحمد الأستاذ البارع أبو محمد البغدادى النحوى:

ولد سنة أربع وستين وأربعمائة، وسمع من جماعة، وقرأ القراءات على طائفة كثيرة، وأقرأ الناس بمسجد ابن جرده، وأم بد دهرًا، وكان رئيس المقرئين فى عصره، ختم عليه خلق كثير، وعرض عليه جماعة.

وتوفى فى ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وصلى عليه الشيخ عبد القادر الجيلى،ودفن عند جده أبى منصور على دكة الإمام أحمد، وكان الجمع يفوق الإحصاء وغلق أكثر البلد ذلك اليوم.

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد:

الأستاذ أبو العلاء الهمذانى العطار، الحافظ المقرئ، شيخ أهل همذان، ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وارتحل إلى أصبهان فقرأ بها القراءات والحديث على أبى على الحداد، وإلى بغداد فقرأ على أبى عبد الله البارع وغيره، وقرأ على أبى العز القلانسى،وسمع من ابن بيان وطبقته، وحصل الأصول النفيسة، والكتب الكبار، وانتهت إليه مشيخة العلم ببلده، وبرع فى فنى القراءات والحديث، وروى عنه خلائق.

توفى فى تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة.

عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة:

الأستاذ أبو بكر الربعى الواسطى المعروف بابن الباقلانى،مسند القراء بالعراق، ولد فى أول سنة خمسمائة، وقرأ القراءات على أبى العز القلانسى وسبط الخياط وغيرهما، ونظر فى الفقه والعربية، وقال الشعر، وقدم دمشق، فسمع بها وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه الطلبة، وطار ذكره بعد وصيته، وروى عنه من شعره ابن السمعانى وابن عساكر، وماتا قبله بدهر، وقرأ عليه بالروايات أبو الفرج بن الجوزى وابنه يوسف وجماعة ودار عليه إسناد العراق.

وتوفى فى سلخ ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم المقدسى ثم الدمشقى الشافعى:

ولد فى أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقرأ القرآن صغيرًا، وأكمل القراءات على شيخه السخاوى سنة ست عشرة وستمائة، واعتنى بأولاده قبل الأربعين، وأسمعهم الكثير، وقرأ بنفسه، وكتب الكثير من العلم، وأحكم الفقه، ودرس وأفتى، وبرع فى العربية، وصنف وشرح واختصر، وحصل له الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة، وولى كشيخة القراءة بالتربة الأشرفية، ومشيخة الحديث بالدار الأشرفية، وكان مع فرط ذكائه وكثرة علمه متواضعًا، مطرحًا للتكلف.

وتوفى فى تاسع عشر رمضان من السنة المذكورة، وكان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، فلذا قيل له: أبو شامة.

أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع أبو العباس موفق الدين الكواشى الشافعى:

ولد فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وقرأ على والده، وقدم دمشق، وأخذ عن السخاوى وغيره، وسمع من ابن روزبة، وتقدم فى معرفة القراءات والتفسير والعربية.

وكان منقطع القرين، عديم النظير، زهدًا وصلاحًا وصدقًا وتبتلا وورعًا واجتهادًا، صاحب أحوال وكرامات، وصنف التفسير الكبير والتفسير الصغير.

وتوفى فى سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمانين وستمائة.

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الأستاذ برهان الدين أبو محمد الربعى الجعبرى:

قرأ بالسبع على أبى الحسن الوجوهى صاحب الفخر الموصلى، وبالعشر على المنتجب بن حسن التكريتى، وروى القراءات بالإجازة، وتصدر للإقراء دهرًا، وصنف التصانيف الرائقة فى فنون العلم، وهاجر إليه الطلبة من الآفاق، وله شرح الشاطبية، وله نحو من مائة مصنف.

ولد فى حدود سنة أربعين وستمائة أو قبلها بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد ثم قدم دمشق فنزل بالسميساطية، وأعاد بالغزالية، ثم ولى مشيخة حرم الخليل بعد البديع فبقى هناك إلى أن توفى فى شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن بصخان بن عين الدولة الإمام بدر الدين بن السراج:

ولد سنة ثمان وستين، وسمع الكثير بعد الثمانين، واعتنى بالقراءات سنة تسعين وبعدها، وحج غير مرة، وانتقل إلى مصر سنة سبعمائة، وجلس فى حانوت تاجرًا، ثم أقبل على العربية فأحكمها، وقدم دمشق بعد ستة أعوام، وتصدر لإقراء القراءات والنحو، وقصده القراء والمشتغلون، وظهرت فضائله، وبهرت معارفه.

ثم ولى مشيخة الإقراء بتربة أم الملك الصالح بعد التونسى لكونه أقرأ من وجد بدمشق من المتصدرين، وكذلك ولى إمامة مسجد أبى الدرداء بقلعة دمشق ثم تركها، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وتوفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

فأما القراء بالجانب الغربي

محمد بن عمر بن خيرون المعافرى أبو عبد الله المغربى:

قال أبو عمرو الداني: روى عنه عامة أهل القيروان وسائر المغرب، وكان رجلا صالحًا فاضلا، كريم الأخلاق، إمامًا فى القرآن، شديد الأخذ، ولم يقرأ أهل أفريقية بحرف نافع إلا خواص حتى قدم ابن خيرون، فاجتمع عليه الناس، وتوفى بمدينة سوسة فى نصف شعبان سنة ست وثلاثمائة.

أبو عمر الطمنكى أحمد بن محمد بن عبد الله المعافرى الأندلسى:

ولد سنة أربعين وثلاثمائة، وسمع سنة اثنتين وستين، وهو أول سماعه، وقرأ على أبى الحسن على بن محمد الأنطاكى وأبى الطيب بن غلبون ومحمد بن على الأذفوى،وقيل: سمع منه ولم يقرأ عليه، وروى عن جماعة، ورجع إلى الأندلس بعلم جم، وروى عنه أبو عمر بن عبد البر وأبى محمد بن حزم، وطائفة كثيرة.

وقال ابن بشكوال: كان سيفًا مجردًا على الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على أهل الشريعة، شديدًا فى ذات الله، أقرأ الناس محتسبًا، وأسمع الحديث، وأم بمسجد متعه، ثم إنه خرج إلى الثغر فجال فيه، وانتفع الناس بعلمه، ثم قصد بلده فى آخر عمره، فتوفى به فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسى المغربى القيروانى ثم الأندلسى القرطبى:

ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان، وحج وسمع بمكة، وقرأ القراءات على أبى الطيب بن غلبون وابنه طاهر، وسمع من محمد بن على الأذفوى،وكان متبحرًا فى علوم القرآن محسنًا مجودًا، عالمًا بمعانى القراءات، سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين بالحساب، وأكمل القرآن، ورجع إلى القيروان، ثم رحل إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه وجل قدره.

توفى فى ثانى المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى:

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، قال أبو عمرو: ابتدأت بطلب العلم فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورحلت إلى المشرق، فمكثت بالقيروان أربعة أشهر أكتب، ثم دخلت مصر فى شوال من السنة فمكثت بها سنة وحججت، ودخلت الأندلس فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين، وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة، قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة.

قال الذهبى: فاستوطنها حتى مات، وقرأ بالروايات، وسمع كتاب ابن مجاهد فى اختلاف السبعة، وسمع الحديث.

وتوفى بدانية يوم الاثنين منتصف شوال أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن ليومه بعد العصر، ومشى صاحب دانية أمام نعشه، وشيعه خلق عظيم.

سليمان بن أبى القاسم نجاح أبو داود:

قال ابن بشكوال: كان من جلة المقرئين وفضلائهم وأخيارهم، عالمًا بالقراءات وطرقها، حسن الضبط، ثقة دينًا، له تواليف كثيرة عدتها ستة وعشرون مصنفًا، ومن تصانيفه كتاب «البيان الجامع لعلوم القرآن» فى ثلاثمائة جزء.

ولد ثلاث عشرة وأربعمائة، وتوفى ببلنسية فى سادس عشر سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتزاحموا على نعشه.

عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق بن خلف العلامة الأستاذ أبو القاسم بن الفحام الصقلى:

قرأ القراءات على أبى العباس أحمد بن سعيد بن نفيس وأبى الحسين نصر بن عبد الغافر الفارسى وعبد الباقى بن فارس وأبى إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المالكى، وقرأ العربية على ابن بابشاذ وشرح مقدمته، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية علوًا ومعرفةً.

توفى فى ذى القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة وقد جاوز التسعين، وتردد فى مولده هل هو فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة أو فى سنة خمس وعشرين؟

على بن محمد بن على بن هذيل الإمام أبو الحسن البلنسى:

كان منقطع القرين فى الفضل والدين والورع والزهد مع العدالة والتواضع والإعراض عن الدنيا والتقلل، صوامًا قوامًا، كثير الصدقة، كانت له ضيعة يخرج لتفقدها فتصحبه الطلبة، فمن قارئ وسامع، وهو منشرح لذلك، وانتهت إلية رئاسة الإقراء عامة عمره، وحدث عن جلة لا يحصون، وروى العلم نحوًا من ستين سنة، ولد سنة سبعين وأربعمائة أو سنة إحدى وسبعين، وتوفى يوم الخميس سابع عشر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة.

القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد أبو محمد وأبو القاسم الرعينى الشاطبى:

ولد فى آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وقرأ ببلده القراءات وأتقنها، ثم ارتحل إلى بلنسية وهى قريبة من شاطبة، فعرض بها القراءات، والتيسير من حفظه، وسمع الحديث، ارتحل ليحج، واستوطن مصر، واشتهر اسمه، وبعد صيته، وقصده الطلبة من النواحى.

وعاش اثنتين وخمسين سنة، وتوفى بمصر فى ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة.

على بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس أبو الحسن الهمذانى السخاوى علم الدين:

ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، وقدم من سخا، فسمع الحديث، وأخذ القراءات عن الشاطبى وأبى الجود اللخمى وغيرهما، واقتصر فى إسناد القراءات عليهما، وأقرأ الناس نيفًا وأربعين سنة، وقرأ عليه خلق كثير بالروايات.

وتوفى الشيخ علم الدين فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين بمنزله بالتربة المعروفة بأم الملك الصالح.

أبو عبد الله الفاسى الإمام العلامة جمال الدين محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربى:

ولد بفاس سنة نيف وثمانين وخمسمائة، وقدم مصر بعد موت أبى الجود فقرأ على اثنين من أصحاب الشاطبى، وأخذ القراءات بحلب عن بهاء الدين بن شداد، وتفقه على مذهب أبى حنيفة، وكان إمامًا متفننًا ذكيًا متقنًا، واسع العلم، كثير المحفوظ، بصيرًا بالقراءات وعللها، مشهورها وشاذها، خبيرًا باللغة، مليح الكتابة، وافر الفضائل، متين الديانة، ثقة حجة، انتهت إليه رئاسة الإقراء ببلد حلب، ومات سنة ست وخمسين وستمائة.

محمد بن عبد الرحيم بن الطيب أبو القاسم القيسى الضرير:

ولد فى حدود الثلاثين وستمائة بالجزيرة الخضراء، وقرأ القرآن على خطيبها أبى محمد الركينى وعلى أبى عبد الله الشريشى،ثم تحول إلى سبتة فأكرمه أميرها أبو القاسم محمد بن أبى العباس الغرفى،فلما جاء رمضان سأله أن يقرأ السيرة على الناس، فصار يدرس كل يوم ميعادًا ويورده، وكان من أسرع الناس حفظًا، وأحسنهم صوتًا، وكان إليه المنتهى فى معرفة القراءات وضبطها وآدائها، وكان عارفًا بالتفسير والعربية والحديث، حمل عنه أهل سبته، وتوفى سنة إحدى وسبعمائة فى رمضان.

أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الثقفى الغرناطى:

ولد سنة نيف وعشرين وستمائة، وقرأ بالروايات على أبى الحسن على بن محمد الشارى،وسمع التفسير من أبى عبد الله بن جوير البلنسى،وسمع الحديث من أبى الخطاب بن خليل وأبى عبد الله الأزدى،وانتهت إليه معرفة الحديث ورجاله، ثم معرفة القراءات، وقرأ عليه خلق لا يحصون، ومات بغرناطة فى آخر سنة ثمان وسبعمائة.

عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان أبو سعيد المصرى القبطى:

مولى آل الزبير بن العوام الملقب بورش، ولد سنة عشر ومائة، وقرأ القرآن وجوده

على نافع عدة ختمات فى حدود سنة خمس وخمسين ومائة، ونافع هو الذى لقبه بورش لشدة بياضه، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية فى زمانه.

توفى ورش سنة سبع وتسعين ومائة.

عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف أبو بكر التجيبى المصرى:

قرأ القرآن على أبى يعقوب الأزرق، وعمر دهرًا طويلا، وحدث عن محمد بن رمح صاحب الليث بن سعد، وقرأ عليه خلق، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة.

محمد بن على بن أحمد الإمام أبو بكر الأذفوى المصرى:

قرأ القرآن على أبى غانم، وكان سيدًا أهل عصره بمصر، قال أبو عمرو الدانى: انفرد أبو بكر بالإمامة فى وقته فى قراءة نافع مع سعة علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعانى،روى عنه القراءة جماعة من الأكابر.

توفى فى سابع ربيع الأول سنة ثمان وثلاثمائة، وعاش خمسا وثمانين سنة، سكن مصر.

غياث بن فارس بن مكى الأستاذ أبو الجود اللخمى المنذرى:

قرأ القراءات على الشريف أبى الفتوح الخطيب، وسمع من عبد الله بن رفاعة، وتصدر للإقراء من شبيبته، وتلا بالتيسير وطرقه، واشتهر وقرأ عليه خلق كثير، منهم علم الدين السخاوى،وخلق آخرهم وفاة أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجى.

تصدر بالجامع العتيق بمصر، وبمسجد الأمير موشك بالقاهرة، وبالمدرسة الفاضلية إلى أن توفى فى تاسع رمضان سنة خمسين وستمائة، ومولده سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن على بن سالم بن مكى المقرئ:

مسند العصر تقى الدين أبو عبد الله الصائغ المصرى،حصل الفقه والقراءات وطرفًا

من العربية، وأعاد بالطيبرسية وغيرها، وولى عقد الأنكحة، وعمر دهرًا، وازدحم عليه القراء لتفرده، فتلا عليه بالسبع طلبة الديار المصرية، وكان عارفًا بالقراءات معرفة جيدة، متين الديانة، قوى العربية، وحج وجاور أشهرًا.

توفى الصائغ فى صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ومولده سنة ست وثلاثين وستمائة.

المحدثون بالجانب الشرقي

أبو هريرة الدوسى اليمانى:

كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد ﷺ، وقال أبو هريرة: لا أعرف أحدًا من أصحاب محمد ﷺ أحفظ لحديثه منى.

وقال الشافعى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره.

وكان أبو هريرة من كبار أئمة العلم والفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، وكثرة التلاوة والذكر.

توفى سنة ثمان وخمسين فى قول جماعة، وقيل: سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة تسع.

وأما ما نذكره من مشاهير الحفاظ

قتادة بن دعامة بن قتادة الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسى البصرى:

قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس.

وقال معمر: سمعت قتادة يقول: ما فى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا.

وقال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه والحفظ. وقال: قل أن تجد من يتقدمه.

وقال قتادة: ما أفتيت بشيء منذ عشرين سنة.

وقال ابن المسيب: ما آتانا عراقى أحفظ من قتادة.

ومات بواسط فى الطاعون سنة ثمانى عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة، وله سبع وخمسون سنة.

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشى الزهرى:

ولد سنة خمسين، ورأى جماعة من الصحابة، وحدث عنهم وعن كبار التابعين، وروى عنه جماعة من الأئمة منهم: مالك بن أنس والسفيانان.

وقال أبو داود: حديثه ألفان ومائتان، النصف منها مسند.

وقال عمر بن عبد العزيز: لم يبق أحد أعلم بسنة ماضيه من الزهرى.

وقال مالك: بقى أن شهاب وما له فى الدنيا نظير.

وتوفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وقيل بعد ذلك، ودفن فى ضيعته ادامى بين الحجاز والشام.

شعبة بن الحجاج بن الورد:

الحجة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو بسطام الأزدى العتكى،مولاهم، الواسطى،نزيل البصرة ومحدثها.

قال عمر بن هارون: كان يصوم الدهر.

وقال أبو قطن: رأيت شعبة قد ركع إلا ظننت أنه نسى، ولا سجد إلا قلت نسى،وكانت ثيابه لونها كالتراب.

واتفقوا على موته سنة ستين ومائة.

عبد الرحمن بن مهدى،أبو سعيد البصرى:

إمام ثبت أثبت من يحيى بن سعيد، وكان عرض حديثه على سفيان.

وقال القواريرى: أملى على ابن مهدى عشرين ألف حديث حفظًا.

وقال ابن مهدى: ما تركت حديث رجل إلا ودعوت الله له واسميه.

وقال ابن مهدى: لو كان لى سلطان لألقيت من يقول بخلق القرآن فى دجلة بعد أن أضرب عنقه.

ومات فى جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين ومائة.

أبو داود الطيالسى:

واسمه سليمان بن داود بن الجارود، الفارسى الأصل، البصرى.

قال أبو داود: كتبت عن ألف شيخ.

وقال وكيع: ما بقى أحد يحفظ لحديث طويل من أبى داود، فبلغه ذلك، فقال: ولا قصير.

وقال عمر بن شبه: كتبوا عن أبى داود من حفظه أربعين ألف حديث.

قال الحافظ الذهبى: كان يتكل على حفظه فغلط فى أحاديث.

مات سنة أربع ومائتين، وكان من أبناء الثمانين.

يحيى بن يحيى أبو زكريا التميمى النيسابورى:

قال الحاكم: هو إمام عصره بلا مدافعة، ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة.

وقال ابن راهوية: ما رأيت مثل يحيى، ولا أظنه رأى مثل نفسه.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأى يحيى بن يحيى مثل نفسه.

وقال الذهلى: ما رأيت أحدا أجل ولا أخوف لربه من يحيى بن يحيى، ولو أشاء لقلت: هو رأس المحدثين فى الصدق.

ومات فى صفر سنة ست وعشرين ومائتين، وكان أسن من الشافعى بثمانية أعوام.

على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى:

ولد سنة إحدى وستين ومائة.

قال أبو حاتم: كان ابن المدينى علماً فى الناس فى معرفة الحديث والعلل، وما سمعت أحمد بن حنبل سماه قط إنما كان يكنيه تبجيلا له.

وقال ابن عيينة: تلومونى على حب ابن المدينى،والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى،وكان ابن عيينه يسميه حية الوادى.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: أعلم الناس بحديث رسول الله r ابن المدينى وخاصة بحديث سفيان.

ومات بسامراء فى ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين.

يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسام البغدادى:

قال على بن المدينى: انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبى كثير وقتادة، وعلم الكوفة إلى أبى إسحاق والأعمش، وعلم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو بن دينار، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبى عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبى عوانة، ومن أهل الكوفة سفيان الثورى وسفيان بن عيينه، ومن أهل الحجاز إلى مالك بن أنس، ومن أهل الشام إلى الأوزعى،وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق والهيثم ويحيى بن سعيد وابن أبى زائدة ووكيع وابن المبارك، وهو أوسع هؤلاء علماً، وابن مهدى ويحيى بن آدم، وصار علم هؤلاء جميعا إلى يحيى بن معين.

المتوفى حاجا بالمدينة المنورة فى ٢٢ ذى الحجة من سنة ٢٣٣ هـ، وكانت ولادته سنة ١٥٩ هـ.

عبد الله بن محمد بن أبى شيبة إبراهيم بن عثمان العبسى:

قال الفلاس وأبو زرعة الرازى: ما رأينا أحفظ من أبى بكر بن أبى شيبة.

وقال أبو عبيد: انتهى الحديث إلى أربعة: فأبو بكر بن أبى شيبة أسردهم له، وأحمد أفقههم له، وابن معين أجمعهم له، وابن المدينى أعلمهم.

وقال صالح بن محمد: أعلم من أدركت بالحديث وعلله على بن المدينى،وأحفظهم له عند المذاكرة أبو بكر بن أبى شيبة.

قال البخارى: مات فى المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين.

عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمى الدارمى السمرقندى:

سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان، وحدث عنه مسلم وأبو داود والترمذى وخلائث.

وقال أبو بكر الخطيب: كان أحد الحفاظ والرحالين، موصوفًا بالثقة والزهد والورع، استقضى على سمرقند، فقضى قضية واحدة، ثم استعفى فأعفى، وكان على غاية العقل، وفى نهاية الفضل، يضرب به المثل فى الحلم والديانة والاجتهاد والعبادة، صنف المسند والتفسير وكتاب الجامع.

توفى يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين.

الإمام العلم أبو عبد الله البخارى :

واسمه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى،رحل فى طلب الحديث إلى أكثر محدثى الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والشام ومصر والحجاز، ولما قدم اجتمع إليه أهلها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده فى علم الرواية والدراية.

وقال محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالرى،ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بسمرقند.

مات ليلة السبت عند صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك، ومولده يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس أبو عبد الله النيسابورى الذهلى:

سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق والرى وخراسان والشام واليمن والجزيرة، وبرع فى هذا الشأن، وحدث عنه خلق والجماعة سوى مسلم، وانتهت إليه مشيخة العلم بخراسان مع الثقة والصيانة والدين ومتابعة السنن.

قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه.

وقال أبو بكر بن زياد: كان الذهلى أمير المؤمنين فى الحديث.

وقال الذهلى: ارتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفًا.

توفى فى ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو فى عمر التسعين.

أحمد بن الفرات الحافظ الحجة أبو مسعود الرازى:

قال أبو مسعود: كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ، فعملت من ذلك فى تواليفى خمسمائة ألف حديث.

وقال أحمد بن حنبل: ما أظن بقى أحد أعرف بالمسندات من ابن الفرات.

وقال ابن عدى: لا أعرف له رواية منكرة، وهو من أهل الصدق والحفظ، وكانت وفاته فى شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين.

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أبو الحسن:

رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر، وقدم بغداد غير مرة، وآخر قدومه إليها سنة تسع وخمسين ومائتين.

قال مسلم: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.

وقال الحافظ أبو على النيسابورى: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم فى الحديث.

توفى مسلم عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين لخمس، وقيل: لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، ومولده سنة ست ومائتين، وقيل: سنة أربع ومائتين.

عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشى مولاهم الرازى أبو زرعة:

سمع بالحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكان من أفرد الدهر حفظًا وذكاءً ودينًا وإخلاصًا وعلمًا وعملًا.

قال عبد الله بن أحمد حنبل: نزل عندنا أبو زرعة، فقال لى أبى: يا بنى قد اعتضت عن نوافلى بمذاكرة هذا الشيخ.

وقال أبو حاتم: ما خلف أبو زرعة بعده مثله، ولا أعلم منه كان يحفظ هذا الشأن مثله، وقل من رأيت فى زهده.

توفى أبو زرعة فى آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين.

محمد بن يزيد بن ماجة الربعى:

أبو عبد الله الحافظ، مصنف كتاب السنن، ارتحل إلى العراق والبصرة والرى والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر لكتابة الحديث، وله تفسير القرآن، وتاريخ مليح، وكتابه أحد الكتب الستة.

توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وصلى عليه أخوه أبو بكر، ومولده سنة تسع ومائتين.

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدى السجستانى أبو داود:

كان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح، طوف البلاد، وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين، وجمع السنن القديمة، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه، وعده أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الأمام أحمد.

توفى بالبصرة يوم الجمعة منتصف شهر شوال سنة خمسين وسبعين ومائتين، ومولده سنة اثنتين ومائتين.

محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلى أبو حاتم الرازى:

قال أبو حاتم: أول ما رحلت أقمت سبع سنين، ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيًا، ثم إلى الرملة، ثم إلى طرسوس ولى عشرون سنة، وكتبت عن النفيلى نحو أربعة عشر ألفًا.

قال موسى بن إسحاق الأنصار: ما رأيت بعد محمد بن يحيى الذهلى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبى حاتم.

توفى أبو حاتم فى شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين، وله ثنتان وثمانون سنة.

أبو عيسى الترمذى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى:

صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن، وكان يضرب به المثل فى الحفظ، وهو تلميذ أبى عبد الله البخارى، ومع هذا فشاركه فى بعض شيوخه.

توفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.

أبو عبد الرحمن النسائى أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الحافظ:

كان إمام عصره فى الحديث، سكن مصر وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس.

قال ابن يونس فى تاريخ مصر: قدم أبو عبد الرحمن النسائى مصر قديماً فكان إمامًا فى الحديث ثقة ثبتًا حافظًا، وخرج من مصر فى ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة.

وقال ابن خلكان: رأيت فى مسوداتى أن مولده سنة خمس عشرة ومائتين، وتوفى بالرملة سنة ثلاث وثلاثمائة هـ، وله من التصانيف أغراب شعبة على سفيان وسفيان على شعبة فى الحديث، خصائص على بن أبى طالب كرم الله وجهه، السنن الكبيرة فى الحديث، كتاب الجمعة، المسند مالك فى الحديث، مناسك الحج.

أبو جعفر الطبرى محمد بن جرير بن يزيد بن كثير:

كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعانى، فقيها فى أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، بصيرا بأيام الناس وأخبارهم، له الكتاب المشهور الكبير فى تاريخ الأمم، وله كتاب التفسير، وله كتاب تهذيب الآثار، وله فى الأصول والفروع كتب كثيرة.

توفى عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن بداره برحبة يعقوب، وشيعه إلى المسجد ثم إلى القبر خلق لا يحصيهم إلا الله.

محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمى النيسابورى:

ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعنى بهذا الشأن فى الحداثة، وسمع فأكثر، وجود وصنف، واشتهر اسمه، وانتهت إليه الإمامة والحفظ بخراسان، وحدث عنه الشيخان فى غير الصحيحين.

توفى فى ثانى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وهو فى تسع وثمانين سنة.

أبو عوانة الإسفرايينى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابورى:

الحافظ، صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج.

قال الحاكم: أبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم، ومن الرحالة فى أقطار الأرض لطلب الحديث، وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وقبره باسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق.

عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى أبو بكر:

ولد بإقليم سجستان سنة ثلاث ومائتين، وسمع سنة أربعين باعتناء أبيه، ولذكائه بخراسان والعراق والحرمين ومصر والشام وغير ذلك، وبرع وساد الأقران، وحدث عنه خلق كثير.

قال الخطيب: رحل أبوه من سجستان، فطوف به شرقًا وغربًا يسمع ويكتب، واستوطن بغداد، وصنف المسند والسنن والتفسير والقراءات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، وكان فقيهًا عالمًا حافظًا.

قال محمد بن عبيد الله بن الشخير: كان ابن أبى داود زاهدًا ناسكًا، صلى عليه يوم مات نحو من ثلاثمائة ألف إنسان وأكثر، ومات فى ذى الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة، وله سبع وثمانون سنة، وصلى عليه ثمانين مرة.

عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى:

ولد سنة أربعين ومائتين، وارتحل به أبوه، فأدرك الأسانيد العالية، وسمع بالأقاليم خلائق لكنه لم يرحل إلى خراسان.

قال أبو يعلى الخليلى: أخذ علم أبيه، وكان بحرًا فى العلوم ومعرفة الرجال، صنف فى الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، وكتابه فى الجرح والتعديل يقضى له بالرتبة المنيفة فى الحفظ، وكتابه فى التفسير عدة مجلدات، وله مصنف كبير فى الرد على الجهمية يدل على إمامته.

توفى فى المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة.

أحمد بن محمد بن سعيد أبو العباس الكوفى:

مولى بنى هاشم، المعروف بابن عقدة، قال الدارقطنى: قال ابن عقدة: أنا أجيب فى ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبنى هاشم.

وقال ابن عقدة: أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها.

وقال الدارقطنى: يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده.

وقال أبو سعيد المالينى: أراد ابن عقدة أن ينتقل، فكانت كتبه ستمائة حملة.

مولده سنة تسع وأربعين ومائتين، وتوفى سنة إحدى، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان:

الحافظ العلامة أبو حاتم التميمى البستى صاحب كتاب «الأنواع والتقاسيم»، سمع أممًا لا يحصون من مصر إلى خراسان، وحدث عنه خلق.

قال أبو سعد الإدريسى: كان على قضاء سمرقند زمانًا، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالمًا بالظن والنجوم وفنون العلم، صنف المسند الصحيح والتاريخ وكتاب الضعفاء، وفقه الناس بسمرقند.

توفى فى شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو فى عمر الثمانين.

أبو بكر بن الجعابى محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمى البغدادى:

قال أبو على التنوخى: ما شاهدنا أحدًا أحفظ من أبى بكر بن الجعابى،وسمعت من يقول: إنه يحفظ مائتى ألف حديث، ويجيب فى مثلها، وكان يفضل الحفاظ بأنه كان يسوق المتون بألفاظها، وكان أكثر الحفاظ يتسمحون فى ذلك، وكان إمامًا فى معرفة العلل وثقات الرجال وتاريخهم، وما يطعن على الواحد منهم، لم يبق فى زمانه من يتقدمه.

توفى ابن الجعابى ببغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى الطبرانى أبو القاسم:

ولد سنة ستين ومائتين، وسمع سنة ثلاث وسبعين بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغير ذلك، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون، وصنف المعجم الكبير وهو المسند سوى حديث أبى هريرة، فكأنه أفرده فى مصنف، والمعجم الأوسط فى ست مجلدات كبار على معجم شيوخه، يأتى عن كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب فهو نظير كتاب الأفراد للدارقطنى بيَّن فيه فضيلته، وسعة روايته.

توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة، وقد كمل من العمر مائة عام وعشرة أشهر.

أبو الحسن الدارقطنى واسمه على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى:

كان عالمًا حافظًا فقيهًا على مذهب الشافعى،أخذ الفقه عن أبى سعيد الاصطخرى، وقيل: بل أخذه عن صاحب لأبى سعيد، وأخذ القراءة عرضا وسماعًا عن النقاش، ومن فى طبقته، وتصدر فى آخر أيامه للإقراء ببغداد، وكان عارفًا باختلاف الفقهاء، ويحفظ كثيرًا من دواوين العرب، منها ديوان السيد الحميرى،فنسب إلى التشيع لذلك، روى عنه الحافظ أبو نعيم وجماعة.

ومولده فى ذى القعدة سنة ست وثلاثمائة، وتوفى يوم الأربعاء لثمان خلون من ذى القعدة، وقيل: ذى الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ببغداد، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراييني الفقيه، ودفن قريبًا من معروف الكرخى.

محمد بن إسحاق بن محمد بن أبى زكريا يحيى بن مندة أبو عبد الله:

ولد سنة عشر وثلاثمائة، وقيل: فى التى تليها، وسمع بالبلاد من ألف وسبعمائة شيخ، ولما رجع من الرحلة الطويلة كانت كتبه عدة أحمال حتى قيل: إنها كانت أربعين حملا، وكان ختام الرحالين، وفرد المكثرين، مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف.

وقال الباطرقانى: سمعت أبا عبد الله يقول: طفت الشرق والغرب مرتين.

توفى فى سلخ ذى القعدة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

أبو عبد الله الحاكم واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى الطهمانى النيسابورى الحافظ المعروف بابن البيع :

كان إمام الحديث فى عصره، ألف فيه الكتب التى لم يسبق إلى مثلها، وتفقه على ابن سهل الصعلوكى الشافعى،ثم انتقل إلى العراق، وقرأ على أبى على بن هريرة الفقيه، ثم طلب الحديث، وسمعه سنة ثلاثين، وغلب عليه فاشتهر به، وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة، فإن معجم شيوخه يقرب من ألفى رجل، وصنف فى علومه ما يبلغ ألفًا وخمسمائة جزء منها: الصحيحان والعلل والأمالى وفوائد الشيوخ وأمالى العشيات، وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين، وبالعراق سنة سبع وستين.

مولده فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور، وتوفى بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة.

وقال الخليلى فى كتاب الإرشاد: توفى سنة ثلاث وأربعمائة.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهرانى الأصبهانى:

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة وله ست سنين، وتهيأ له من لقى الكبار ما لم يقع لحافظ، وتفرد فى الدنيا بالإجازات من جماعة وبالسماع من آخرين، ورحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده، وله كتاب تاريخ أصبهان، ودلائل النبوة، والمستخرج على كل واحد من الصحيحين، وفضائل الصحابة، وغير ذلك من تصانيف كبار وصغار.

توفى فى صفر، وقيل: فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان.

أبو ذر الهروى واسمه عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصارى المالكى عرف بابن السماك:

سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر، وجاور بمكة، وألف معجماً لشيوخه، وعمل الصحيح، وصنف التصانيف.

وقال عبد الغافر فى تاريخ نيسابور: كان أبو ذر زاهدًا ورعًا عالمًا سخيًا لا يدخر شيئًا، وصار من كبار مشيخة الحرم، مشار إليه فى التصوف، خرج على الصحيح تخريجًا حسنًا، وكان حافظًا، كثير الشيوخ، قال: وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، والصواب قول أبى على بن بكرة أنه توفى فى عقب شوال سنة أربع وثلاثين، وقال الخطيب: فى ذى القعدة سنة أربع.

أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله البيهقى الخسروجردى:

أخذ الفقه عن أبى الفتح ناصر بن محمد العمرى الروزى،وغلب عليه الحديث واشتهر به، ورحل فى طلبه إلى العراق والجبال والحجاز، وسمع بخراسان من علماء عصره، وكذلك ببقية البلاد التى انتهى إليها، وشرع فى التصنيف، فصنف كثيرًا حتى قيل: تبلغ مصنفاته ألف جزء، وهو أول من جمع نصوص الشافعى فى عشرة مجلدات،

ومن مشهور مصنفاته: السنن الكبير، والسنن الصغير، ودلائل النبوة، والسنن والآثار، وشعب الإيمان، ومناقب الشافعى،ومناقب أحمد، وكان قانعًا من الدنيا بالقليل.

ومولده فى شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وتوفى فى عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور، ونقل إلى بيهق رحمه الله.

الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد البغدادى:

كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، فإنه يدل على إطلاع عظيم، وصنف قريبًا من مائة مصنف، وفضله أشهر من أن يوصف.

أخذ الفقه عن أبى الحسين المحاملى وأبى الطيب الطبرى وغيرهما، وكان فقيهًا فغلب عليه الحديث والتاريخ.

ومولده فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وتوفى فى سابع الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد.

أبو نصر بن ماكولا واسمه على بن هبة الله بن على بن جعفر بن على بن محمد بن دلف بن الأمير الجواد أبى دلف القاسم بن على العجلى الجرباذقانى ثم البغدادى:

مولده فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بعكبرا، وسمع ببغداد ودمشق ومصر وبما وراء النهر وخراسان والجبال والجزيرة والسواحل، ولقى الحفاظ الأعلام، وحدث عنه شيخه أبو بكر بن الخطيب وآخرون.

وقال ابن عساكر: سمعت ابن السمرقندى يذكر أن ابن ماكولا كان له غلمان ترك أحداث، فقتلوه بجرجان سنة نيف وسبعين وأربعمائة.

أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسى:

سمع ببلده وبمكة ومصر والثغر ودمشق وحلب وبغداد والجزيرة وأصبهان ونيسابور وهراة وجرجان وأمد وأستراباذ وبوشنج والبصرة والدينور والرى وسرخس وشيراز وقزوين والكوفة والموصل ومرو الروذ وتوقات ونهاوند.

وقيل: كان يمشى دائمًا فى اليوم والليلة عشرين فرسخًا، وكان قادرًا على ذلك، ومصنفاته كثيرة، ولكنه كثير الوهم، وكان لحنة، ويصحف ويرى إباحة السماع، ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

قال شجاع الذهلى: مات عند قدومه بغداد من الحج يوم الجمعة فى ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة.

إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشى التيمى الطليحى:

ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، ورحل وسمع بعدة مدائن، وصنف وتكلم فى الرجال وأحوالهم، وحدث عنه خلق.

وقال أبو موسى المدينى: إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة فى زمانه، لا أعلم أحدًا عاب عليه قولا وفعلا، ولا عانده أحد إلا ونصره الله عليه، وكان نزه النفس عن المطامع، لا يدخل على السلاطين، ولا على من اتصل بهم، قد أخلى دارًا من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده، ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يرتفع عنده.

قال: وكانت وفاته يوم الأضحى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، واجتمع فى جنازته خلق كثير لم أر مثلهم كثرة رحمه الله تعالى.

أبو سعد عبد الكريم بن تاج الإسلام أبى بكر بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المروزى:

ولد فى شعبان سنة ست وخمسمائة، وحمله والده إلى نيسابور فى آخر سنة تسع، فلحق بحضوره عدة شيوخ، ومات أبوه سنة عشر فتربى مع أعمامه وأهله، وحفظ القرآن والفقه فى عدة مجلدات، وكان ذكيًا فهمًا، سريع الكتابة ملحها، درس وأفتى ووعظ وأملى، وكتب عمن دب ودرج، وكان ثقة حافظًا، حجة واسع الرحلة، عدلا دينًا جميل السيرة، حسن الصحبة، كثير المحفوظ.

وقد ذهب أبو سعد إلى بيت المقدس، وزاره النصارى يومئذ ولادته، وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر:

قال السمعانى: أبو القاسم حافظ ثقة متقن دين خير حسن السمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم، غزير الفضل، صحيح القراءة، متثبتًا، رحل وتعب، وبالغ فى الطلب، وجمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على الأقران.

توفى فى حادى عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، ورؤى له منامات حسنة، ورثى بقصائد وقبره يزار بباب الصغير.

أبو موسى المدينى واسمه محمد بن ابى بكر عمر بن عمر بن أبى عيسى الأصبهانى:

ولد فى ذى القعدة سنة إحدى وخمسمائة بأصبهان، وكان إمام عصره فى الحفظ والمعرفة، وله فى الحديث وعلومه تواليف مفيدة، وصنف كتاب المغيث فى مجلد كمل به كتاب الغربيين للهروى،واستدرك عليه، وله مصنفات آخر، ورحل عن أصبهان فى طلب الحديث ثم رجع إليها وأقام بها، وانتهى التقدم فى هذا الشأن مع علو الإسناد والمعرفة التامة، والرواية الواسعة.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بأصبهان.

عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ثم الصالحى الحنبلى الحافظ تقى الدين أبو محمد:

ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وهو ابن خالته موفق الدين بجماعيل، واصطحبا مدة فى أول اشتغالهما ورحلتهما، وحدث أبو محمد عبد الغنى بالكثير، صنف فى الحديث التصانيف الحسنة، وكان غزير الحفظ من أهل الاتقان والتجويد، قيمًا بجميع فنون الحديث، تكلم فى الصفات والقرآن بشيء أنكره أهل التأويل، فعقد له مجلس بدار

السلطان بدمشق فأصر، وأباحوا قتله، فشفع فيه أمراء الأكراد على أن ينزح من دمشق، فذهب إلى مصر وأقام بها خاملا إلى أن مات.

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدى المقدسى ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى ضياء الدين أبو عبد الله.

ولد سنة تسع وستين وخمسمائة، ورحل مرتين إلى أصبهان، وسمع بها ما لا يوصف كثرة، وحصل أصولا كثيرة، ونسخ وصنف وصحح ولين وجرح وعدل، وكان مرجوعا إليه فى هذا الشأن.

وقال ابن النجار: حافظ متقن حجة عالم بالرجال ورع تقى ما رأيت مثله.

توفى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادى المعروف بابن النجار:

ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع وله عشر سنين، واعتنى بالطلب وهو ابن خمس عشرة سنة، وتلا بالروايات الكثيرة، وسمع بأصبهان ونيسابور وهراة ودمشق ومصر وغير ذلك، وكتب العالى والنازل، وجمع فأوعى، وخرج لغير واحد، وجمع تاريخ مدينة السلام ذيل به واستدرك فيه على الحفاظ أبى بكر الخطيب ومقداره ثلاثمائة جزء.

توفى فى خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبى يداس البرزالى الإشبيلى الأصل الدمشقى الشافعى أبو محمد:

ولد فى عاشر جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة، واعتنى بالرواية من صغره، فقرأ بنفسه الكتب الكبار، ورحل إلى الديار المصرية والثغر والبلاد الشمالية، وسمع ما نيف عن ألفى شيخ، وأجاز له ألف آخر، فاشتمل معجمه على نيف وثلاثة آلاف شيخ،

وكتب من الأبيات والتعاليق والأجزاء والتاريخ والتخاريج ما لا يحصى كثرة، حرر مسموعاته وصار مقتدى به، مرجوعا إليه فى هذا الشأن مع الحفظ والإتقان والصدق والتحرى،وكتب الشروط فأحكمها، والسجلات فأتقنها، وله فيها مصنفات.

وتوفى بخليص محرمًا بكرة الأحد الرابع من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة ونصف، وتأسف الناس عليه.

يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك القضاعى الكلبى المز الدمشقى أبو الحجاج جمال الدين:

مولده بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة، ونشأ بالمزة، وحفظ القرآن، وتفقه قليلا، ثم أقبل على هذا الشأن، ورحل سنة ثلاث وثمانين، ونسخ بخطه المليح المتقن كثيرًا لنفسه ولغيره، ونظر فى اللغة ومهر فيها وفى التصريف وقرأ العربية، وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها، والقائم بأعبائها لم تر العيون مثله، وخرج لغير واحد، وأملى مجالس، وأوضح مشكلات ومعضلات.

وكانت وفاته فى ثانى عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وصلى عليه الغد بجامع دمشق، ودفن بمقبرة الصوفية.

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبى أبو عبد الله شمس الدين:

مولده فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وعمل مع والده صناعة الذهب ثم فى سنة تسعين أحب القراءات فقرأ التجويد، وقرأ للسوسى بالإدغم فى سنة إحدى وتسعين، وقرأ لنافع بكماله على الشيخ محمد المزراب ولازمه، حصل شرح الشاطبية، وفى أيام التشريف منها شرع فى القراءات السبعة جمعًا على الشيخ جمال الدين الفاضلى،وذهب إلى الجمال البدوى فرسمه فى كيفية الجمع، ومات الفاضلى وقد جمع عليه إلى أواخر القصص سنة اثنتين وتسعين فى ربيع الآخر.

فأما الحفاظ بالجانب الغربي

فلولا مصر ما نهضت قوادمهم المخصوصة، وسدت خصاصتهم المعروفة بهم فواقرها المخصوصة، وسأذكر من لاح نجمه مصوبا فى غربهم، وسقى صيبًا من سحبهم.

يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثى الأندلسى:

سمع من مالك الموطأ غير أبواب فى الاعتكاف شك فى سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد بن عبد الرحمن اللخمى عن مالك، وسمع بمكة من ابن عيينة، وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم، وتفقه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له.

توفى يحيى فى رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين، وقبره بظاهر قرطبة بمقبرة ابن عياش.

بقى بن مخلد :

الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرطبى،ولد فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وطوف الشرق والغرب، وشيوخه مائتان ونيف وثمانون شيخًا، وروى عنه جماعة، وكان إمامًا علمًا قدوةً مجتهدًا، لا يقلد أحدًا، ثقةً حجةً صالحًا عابدًا متهجدًا أواهًا منيبًا، عديم النظير فى زمانه.

ومات فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين.

محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدى الحميدى الأندلسى الميورقى:

أصله من قرطبة من ربض الرصافة، وهو من أهل جزيرة ميورقة تجاه شرق الأندلس، روى عن أبى محمد بن حزم واختص به، وأكثر من الأخذ عنه، وشهر بصحبته، وعن

أبى عمرو بن عبد البر وغيرهما من الأئمة، ورحل إلى الشرق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فحج، وسمع بإفريقية والأندلس ومكة حرسها الله وشرفها وبمصر والشام والعراق، واستوطن بغداد، وكان موصوفًا بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع، وكانت له نغمة حسنة فى قراءة الحديث.

توفى ليلة الثلاثاء سابع عشرة ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ودفن من الغد بالقرب من قبر الشيخ أبى إسحاق الشيرازى.

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال أبو القاسم الأنصارى الأندلسى القرطبى:

ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

قال عبد الله الآبار: كان متسع الرواية شديد العناية بها، عارفا إخباريا تاريخيا ذاكرا لأخبار الأندلس، سمع العالى والنازل، وأسند عن شيوخه أزيد من أربعمائة كتاب بين صغير وكبير، ورحل إليه الناس، وأخذوا عنه، ووصفوه بصلاح الدخلة، وسلامة الاعتقاد، وصحة التواضع، وصدق الصبر للطلبة، وطول الاحتمال، ألفَّ خمسين تأليفا فى أنواع العلم، وولى بإشبيلية قضاء بعض جهاتها نيابة لأبى بكر بن العربى،وعقد الشروط، ثم اقتصر على إسماع العلم، وعلى هذه الصناعة، وهى كانت بضاعته، والرواة عنه لا يحصون.

توفى فى ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة عن أربع وثمانين سنة.

عبد الحق بن عبد الرحمن بن الحسين بن سعيد الحافظ أبو محمد الأزدى الأشبيلى ويعرف بابن الخراط:

كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع، ولزم السنة، والتقلل من الدنيا، مشاركا فى الأدب وقول الشعر، وصنف فى الأحكام نسختين كبرى وصغرى، سبقه إلى مثل ذلك أبو العباس بن أبى

مروان الشهيد ببلبلة، فحظى عبد الحق دونه، وله فى الجمع بين الصحيحين مصنف، وله أيضًا مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة، وله مصنفات أخرى منها كتاب فى اللغة حافل، ضاهى به كتاب الغربيين للهروى،وتوفى سنة إحدى وثمانين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن حيى بن سيد الناس اليعمرى الأندلسى الأشبيلى:

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وذكره الشريف عز الدين فى وفياته فقال: كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وفضلائهم المذكورين، وبه ختم هذا الشأن بالمغرب.

توفى فى رجب سنة تسع وخمسين وستمائة.

وهذا آخر المحدثين بالغرب المحض، ويأتى بعده من كان بعده من كان منهم بمصر لأنها لسوء بختها فى الغرب واقعة، وفى قسمها محسوبة إن لم يكن ثم أجوبة دافعة.

يزيد بن أبى حبيب

الإمام الكبير أبو رجاء الأزدى مولاهم البصرى المصرى،قال ابن يونس: كان مفتى أهل مصر، وكان عليما عاقلا، وهو أول من أظهر العلم بمصر، والمسائل فى الحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن.

وقال ابن لهيعة: كان أسود نوبيًا، ولد سنة ثلاث وخمسين، سمعته يقول: كان أبى من أهل دنقلة، ونشأت بمصر، وهم علوية يعنى شيعة، فقلبتهم عثمانية.

توفى سنة ثمان وعشرين ومائة.

عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان:

الحافظ النسابة أبو محمد الأزدى المصرى،قال القعنبى: كان عبد الغنى إمام زمانه فى علم الحديث وحفظه، ثقة مأمونا ما رأيت بعد الدارقطنى مثله.

وقال البرقانى: ما رأيت بعد الدارقطنى أحفظ من عبد الغنى المصرى.

توفى فى سابع صفر سنة تسع وأربعمائة، وكان له جنازة عظيمة تحدث بها الناس، ونودى له: هذا نافى الكذب عن حديث رسول الله r.

أبو طاهر الأصبهانى: واسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهانى صدر الدين:

رحل فى طلب الحديث، ولقى أعيان المشايخ، وكان شافعى المذهب، ورد بغداد واشتغل بها على الكيا الهراسى فى الفقه، وعلى أبى زكريا يحيى التبريزى اللغوى فى اللغة، وجاب البلاد، وطاف الآفاق، ودخل ثغر الأسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وأقام به، وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه وانتفعوا به.

ومولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريبًا بأصبهان، وتوفى فى ضحوة نهار الجمعة، وقيل: ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية.

عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن التونى الدمياطى الشافعى شرف الدين أبو محمد:

ولد فى آخر سنة ثلاث عشرة وستمائة، وتفقه بدمياط وبرع، ثم طلب الحديث فارتحل إلى الإسكندرية ومصر ودمشق وحماة وحلب وماردين وحران وبغداد، وحمل عن ابن خليل دابة كتبًا وأجزاء، وكتب العالى والنازل، وجمع فأوعى، وسكن دمشق فأكثر عن ابن سلمة وغيره، ومعجم شيوخه يبلغ ثلاثين ألفًا وثلاثمائة نفر.

وتوفى فجأة بعد أن قرئ عليه الحديث، فأصعد إلى بيته مغشيًا عليه فى منتصف ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة بالقاهرة، وصلى عليه بدمشق فى أول جمعة من ذى الحجة.

فقهاء المحدثين

وأبدأ فيهم بالجانب الشرقى:

علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك:

فقيه العراق، الإمام أبو شبل النخعى الكوفى،ولد فى حياة رسول الله r، ولحق الجاهلية، وسمع من عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى الدرداء، وجود القرآن على ابن مسعود وتفقه به، فكان أنبل أصحابه، حتى قال ابن مسعود: ما أقرأ شيئًا، وما أعلم شيئًا إلا علقمة يقرأوه ويعلمه.

وكان فقيها إمامًا بارعًا، طيب الصوت بالقرآن، ثبتًا فيما ينقل، صاحب خير وورع، كان يشبه بابن مسعود فى هديه وسمته، ودله وفضله، وكأن أعرج، أخذ عنه طائفة، ومات سنة اثنتين وستين.

القاضى شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى:

كان من كبار التابعين وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة فأقام بها قاضيًا خمسًا وستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين، امتنع من القضاء فيها فى فتنة ابن الزبير، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات، كان أعلم الناس بالقضاء، ذا ذكاء وفطنة ومعرفة وعقل وإصابة.

توفى شريح سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة سنة، وقيل: سنة ثمان وسبعين، قاله الحافظ أبو عبد الله الذهبى.

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم القرشى المدنى:

ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وسمع منه شيئا وهو يخطب، وكان سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع.

وكان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوالا بالحق، فقيه النفس أ

قال قتادة: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب، وكذا قال الزهري ومكحول وغير واحد وصدقوا.

توفى على الصحيح سنة أربع وتسعين.

عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشى الأسدى:

ولد عروة سنة نيف وعشرين للهجرة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، وهو شقيق عبد الله بن الزبير بخلاف مصعب، فإن أمه غير أسماء.

وقد وردت الرواية عنه فى حروف القرآن، وسمع خالته أم المؤمنين عائشة، وروى عنه خلق، وكان عالمًا صالحًا، وأصابته الأكلة فى رجله وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك، فقطعت رجله فى مجلس الوليد، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه، فلم يتحرك، ولم يشعر الوليد أنها قطعت، حتى كويت فوجد رائحة الكى،كذا قال ابن قتيبة.

وتوفى بالفرع فى سنة الفقهاء، وهى سنة أربع وتسعين، ودفن هناك.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى:

اسمه فى الصحيح، ويقال: اسمه محمد، وكان من سادات التابعين، وانتشر عنه وعن باقى الفقهاء السبعة العلم والفتيا فى الدنيا، واستصغر يوم الجمل، فرد من عسكر طلحة، وكان ثقة فقيها كثير الرواية سخيا صالحا عابدا متألها، وكان مكفوفًا، توفى بالمدينة سنة أربع وتسعين، ومولده فى خلافة عمر.

سعيد بن جبير الوائلى مولاهم الكوفى:

سمع من ابن عباس فأكثر عنه، وروى عن عدى بن حاتم وعبد الله بن مغفل

وطائفة، وروى عنه خلق، وكان ابن عباس إذا حج أهل الكوفة وسألوه يقول: أليس فيكم سعيد بن جبير؟

وقال أشعث بن إسحاق: كان يقال لسعيد بن جبير جهبذ العلماء.

وقال القاسم بن أبى أيوب: كان يبكى بالليل حتى عمش، وسمعته يردد هذه الآية ﴿واتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ بضعًا وعشرين مرة.

وقال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض رجل إلا ويحتاج إلى علمه، كان لايدع أحدًا يغتاب عنده، وكان يصلى فى الطاق، ولا يقنت فى الصبح، ويعتم عمامة، ويرخيها شبرًا من ورائه.

إبراهيم بن يزيد بن الأسود الفقيه الكوفى النخعى:

رأى عائشة رضى الله عنها، ودخل عليها وهو صبى،ولم يثبت له منها سماع، وأخذ عنه خلق، وكان من العلماء ذوى الإخلاص.

قال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير.

وقال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلى،ثم يأتينا فيبقى ساعة كأنه مريض.

وقال الأعمش: كان إبراهيم صيرفيًا فى الحديث، وكان يتوقى الشهرة، ولا يجلس إلى أسطوانة.

توفى سنة ست، وقيل: سنة خمس وتسعين للهجرة.

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى:

أحد الفقهاء السبعة، وابن أخى عبد الله بن مسعود، كان من أعلام التابعين وأعلى المتابعين، والمقفين على آثار من سلف تحت الشجرة من المبايعين، والذين كضت قراطهم أمما قبلهم، ومضوا بعدهم متتابعين، سمع ابن عباس وأبا هريرة وعائشة.

وكان ناسكًا، وتوفى سنة ثمان ومائة.

خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان أبو زيد الأنصارى:

قال مصعب بن عبد الله: كان خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله بن عوف فى زمانهما يستفتيان، وينتهى الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث من الدور والنخل والأموال بين أهلها، ويكتبان الوثائق للناس.

قال الواقدى والهيثم بن عدى والجماعة: توفى فى سنة مائة.

وقال الفلاس: توفى سنة تسع وتسعين.

عامر بن شرحيل بن عبد بن ذى كبار الشعبى الكوفى:

ولد سنة إحدى وعشرين، وقيل قبل ذلك، ويقال: إنه أدرك خمسمائة من الصحابة، وروى أن ابن عمر مر به يومًا، وهو يحدث بالمغازى،فقال: شهدت القوم وهو أعلم بها منى.

وكان إمامًا حافظًا ذا فنون، قال أحمد العجلى: مرسل الشعبى صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحا.

وروى عن جماعة من الصحابة، وروى عن طائفة كبيرة منهم: أبو حنيفة والأعمش، توفى سنة أربع ومائة، ويقال: سنة ثلاث، والله أعلم.

طاووس بن كيسان الخولانى الهمدانى اليمانى أبو عبد الرحمن:

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا مثل طاووس.

وقال قيس بن سعد: كان طاووس فينا مثل ابن سيرين فى أهل البصرة.

وقال ابن طاووس: إنى لأظن طاووسًا من أهل الجنة.

وكان طاووس شيخ أهل اليمن، وبركتهم ومفتيهم، له جلالة عظيمة، وكان كثير الحج، فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم سنة ست ومائة، وصلى عليه هشام بن عبد الملك.

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى أبو عمر:

كان من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، روى عن أبيه وغيره، وروى عنه الزهرى وطائفة.

قال أحمد وإسحاق: أصح الطرق الزهرى عن سالم عن أبيه.

وقال ابن إسحاق: رأيت سالمًا يلبس الصوف، ويعالج بيديه ويعمل.

وكانت وفاته فى آخر ذى الحجة سنة ست ومائة، وقيل: سنة ثمان ومائة، وكان هشام بن عبد الملك يومئذ بالمدينة، وكان قد حج بالناس تلك السنة، ثم قدم المدينة فوافق موت سالم، فصلى عليه بالبقيع لكثرة الناس، فلما رأى هشام كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام المخزومى: اضرب على الناس بعث أربعة آلاف فسمى عام أربعة آلاف.

القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق القرشى التيمى:

كان أفضل أهل زمانه من سادات التابعين، روى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه طائفة من كبار التابعين.

قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحد نفضله على القاسم بن محمد.

وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة.

وقال أبو الزناد: ما رأيت فقيها أعلم من القاسم، وما رأيت أحدًا أعلم بالسنة منه.

وقال ابن عيينة: كان أفضل أهل زمانه، ولد فى خلافة عثمان، وتوفى سنة سبع ومائة هـ.

سليمان بن يسار:

كان عالمًا ثقَة عابدًا ورعًا حجَة.

قال قتادة: قدمت بالمدينة فسألت من أعلم أهلها بالإطلاق؟ فقالوا: سليمان بن يسار.

وكان المستفتى إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار.

روى عن طائفة من الصحابة، وروى عنه جماعة من التابعين.

توفى فى سبع ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل قبل ذلك.

الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد:

ولد لسنتين بقيت من خلافة عمر بالمدينة، ويقال: إنه ولد على الرق، فإن أباه مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قطبة، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى ﷺ.

قال ابن سعد: كان عالمًا رفيعًا ثقَة حجّة مأمونًا عابدًا ناسكًا، كثير العلم، فصيحًا جميلا وسيمًا، وما أرسله فليس بحجة.

وتوفى بالبصرة فى مستهل رجب سنة عشر ومائة عن ثمان وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهورة، وكان من بحور العلم، فقيه النفس، كبير الشأن، عديم النظير، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأسًا فى أنواع الخير رحمه الله.

مكحول بن عبد الله الشامى:

قال الزهرى: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبى بالكوفة، والحسن البصرى بالبصرة، ومكحول بالشام.

ولم يكن فى زمانه أبصر منه بالفتيا، وكان لا يفتى حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله هذا رأى،والرأى يخطئ ويصيب، وكان سنديًا لا يفصح، وفى لسانه عجمة ظاهرة، ويبدل بعض الحروف ببعض، وكان مقامه بدمشق، توفى سنة ثلاث عشرة ومائة.

عطاء بن أبى رباح القرشى:

مفتى أهل مكة، ومحدثهم القدوة العلم، أبو محمد، ولد فى خلافة عثمان، وقيل: فى خلافة عمر وهو أشبه، وسمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وطائفة، وروى عنه

جماعة من الأئمة كابن إسحاق والأوزعى وأبى حنيفة وخلق كثير، وكان أسود مفلفلا، فصيحا كثير العلم من مولدى الجند.

قال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء.

وقال ابن جريج: كان فى المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

توفى فى رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: سنة خمس عشرة بمكة.

أبو الزناد عبد الله بن ذكوان المدنى القرشى مولاهم أبو عبد الرحمن:

سمع أنس بن مالك وأبا أمامة بن سهل وعبد الله بن جعفر وسعيد بن المسيب وهو رواية عبد الرحمن الأعرج، وحدث عنه مالك وشعيب بن أبى حمزة والليث والسفيانان وابنه عبد الرحمن وخلق.

وكان أحد الأئمة الأعلام، قال الليث بن سعد: رأيته وخلفه ثلاثمائة تابع من طالب فقه أو طالب شعر وصنوف، قال: ثم لم يلبث أن بقى وحده وأقبلوا على ربيعة.

توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين.

آخر السفر الخامس من كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ويتلوه السفر السادس إن شاء الله تعالى، وإذ قد ختمنا فقهاء المحدثين بالجانبين ولم ندع منهم زينة مشرق ولا مغرب ولا مطلع هلال ولا كوكب.

الفهرس